Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



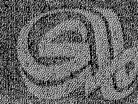
الأعمال الشعرية

٢

هذا هو اسمي

وقصائد أخرى






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للشاعر

١) شعر

قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقت بين الرماد والورد ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :
١ـ الأصول ،
٢ـ تأصيل الأصول ،
٣ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،
٤ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري .
(دار الساقي ، ١٩٩٤) .
فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .
الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .
ديوان الشعر العربي :
الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .
مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .
مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .
مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة
حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،
منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين
فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأعمال الشعرية

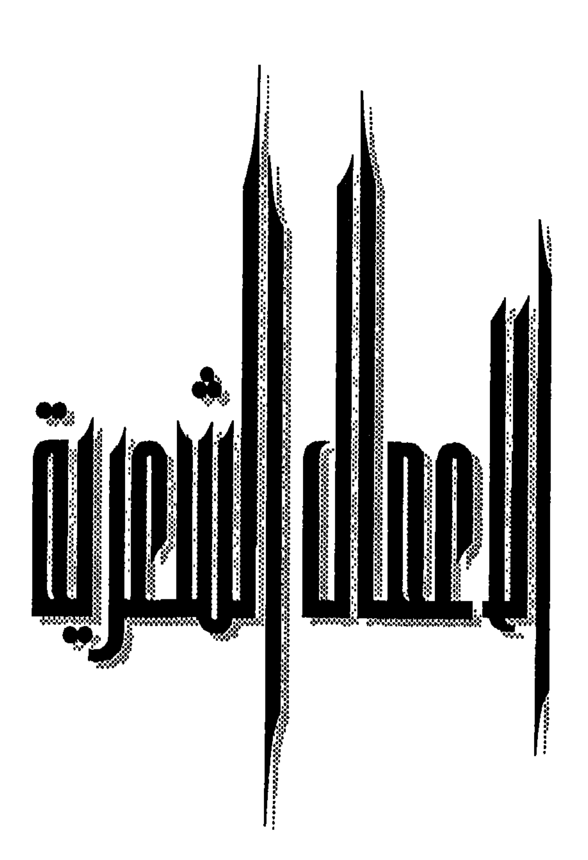
هذا هو اسمي

وقصائد أخرى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أدونيس



هذا هو اسمي

وقصائد أخرى

المدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منشورات





شعر | ٢/١١

Auther: ADONIS
Title : The Poetical Works, II
Al Mada : Publishing Company
First Published in 1996
Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس
عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية / هذا هو اسمي وقصائد أخرى
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
تاريخ الطبع : ١٩٩٦
الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in aretrieval system , or transmited in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إشارة

آثرتُ أن أنشر أعماليَ الشعرية بترتيبٍ آخر : القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد .

يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي ـ الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره .

هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها .

وهي ، إذن ، المعتمَدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦

أدونيس


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفراغ

1

حطام الفراغ على جبهتي
يمدّ المدى ويُهيلُ الترابا
يُغَلْغِلُ في خطواتي ظلاماً
ويمتدّ في ناظريّ سرابا .
هنا ، عبرَ دربي ، يموت ربيعٌ ويصفرّ ريفُ
هنا ، في عروقي ، صدىً للجفاف ودمدمةٌ وصريفُ
هنا ، في دمي يولد الخريفُ
وفي حاضري يَتَمرْأى ،
وتبعد عنّيَ ، تبعد شمس المصير ، وتنأى .
ويخطو الخريف وينمو هوىً ويحنّْ
ويكبرُ : في خطوه حالمون ،
وفي صدره ساحرونَ وجنّْ .
حطام الفراغ يغيّب نجمي ، يجمّد أرضي
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي ،
ويجعلنا كالفراغِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حطامُ الفراغِ .

2

وفي أرضنا شبحٌ يتمطّى
سراباً ورملا
ويملأُ أعماقنا يباساً
ويملؤها دُكْنةً ومحْلا .
وفي أرضنا مَلَلٌ يُبدع المقابرْ
وينثرها ، عبْرَ أيامنا ، أنيناً وعبْرَ خُطانا ، مجازرْ .
هنا الحقد ركّز راياتهِ
وشرّعها قِمّةً وطريقا
يحطّ على توقنا صقيعاً
وَيَضْرَمُ في حبّنا حريقا .
وللحقد في شعبنا
بلادٌ وشعبٌ
له ساحةٌ واصطخابٌ وحربُ
يوسّخ أجواءنا
ويحفر أبناءنا
كهوفَ ضلالٍ وقبحٍ ،
ويصفع في وجههم كلَّ نجمٍ
ويخنق في جفنهم كل صبحٍ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

3

نوافذ أيّامِنا حُطِّمت
ولم يبق فيها ستارُ
وفجر أساطيرنا مغلقٌ
يخيّط أجفانَه الغبارُ.
وأطفالنا بهجةٌ تتمحّى
ومقبرةٌ وانتحابُ
لهم تتلهّف حتى القبورُ
لهم يتلهّف حتى الترابُ
فأمسِ، الفراغُ، فراغ المتاهاتِ، ضيّع أحلامهمْ
وضيّع آمالهمْ
وأنبتَ فيهم بذور المواتِ
وأطْفَأَ فيهم ضياءَ الحياةِ
وأمس فراغ المتاهات أحرق بلداننا
وخرّب عمراننا
وبالأمس، كان يجوّب في شعبنا
ويرذل ما عزّ من حبّنا
وكان يُطوّفُ عِبْر المدينهْ
ويطرد منها السكينه
وعاملها في يديه، يشلُّ يديهِ...
ويسلبُ حتى جبينهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمضي ، وخلف خطاهُ تئِنُّ وتندب أبوابها الحزينه .

4

فراغٌ زمان بلادي فراغٌ
وتلك المقاهي
وتلك الملاهي
فراغٌ
وهذا الذي ذلّ في أرضهِ وأنكرها واستكانا
ولوّث أنهارنا وربانا ،
فراغٌ
وذاك الذي مَلَّ من شعبِه
ومن حبّهِ
وغمّس باليأس أعماقَهُ
وأحداقهُ ،
فراغٌ
وذاك الذي لا يرى غيرَهُ
ولا يجد الخير خيراً ، إذا لم يكن خيرَهُ ،
فراغٌ فراغٌ .
فراغٌ يعشّشُ فيه الدمارُ
ويسكنه الفاتحون التّتارُ
هنا ، حَرَمٌ يُوطَأُ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنا شرفٌ يصدأُ
هنا عالمٌ يُهَدُّ
ويوقف عن سيره ويُردُّ .

لِمن جيلُنا يحرق البخور لمن يسجدُ
وأيّ إلهٍ تُرى يعبدُ؟
لمن ينتمي ويشدّ يديه اعتدادا
ويحيا له صيحةً وجهادا؟
لمن فصّل اليوم ليلاً وشمسا
وسوّى له العمر آناً وأمسا ،
لمن يتربّى ، لمن يكبرُ؟
تكاد ، على عقمه ، الآلهةْ
تعاف قرابينه الوالِهةْ
وتركلهم واحداً واحداً
وتكبر عنهم وتستكبرُ .

5

فراغٌ فراغٌ . . . ألا ثورةً
تشيد لنا بيتنا
وتُجري معاصرُها زيتَنا
وتملأُ بالحاصدين الحقولا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتملأ بالخلْق ، بالثّورة العقولا؟
ألا ثورةٌ في الصميم تُنشّئنا من جديدِ
وتمحقُ فينا هوانَ العبيدِ؟
ألا ثورةٌ في الصميم تُبدِّع من أوّلِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفان أبنائنا على الزمن الأجملِ
على العالم الأفضلِ ،
ألا ثورةٌ ، ثورةٌ في الصّميم تبدِّع من أوّلِ؟

6

أفي موطني يُولد الفراغ أفي عمرِه؟
ونحن المليئون من فطرة الوجود ومن سّرِه؟
بنا يفرح الزّهر والماءُ
يفرح حتى الحجرْ
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجرْ
فنحن ثراها ونحن شذاها
ونحن تفتّحها المنتظر .

7

بلى في بلادي أنا ثورةٌ
تُنوِّر أزهارُها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويهدر إعصارُها
وفيها دمٌ ثائرٌ
يُعمّر دنيا ويهدم دنيا
على كِبْره تستفيق الحياةُ
وفي دَفْقِه تتعالى وتحيا .
بَلى في بلادي أنا خالقونَ
وساعٌ كآفاقها الواسعه
نقيُّون كالشّمس في عُرْيها
فتيُّون كالأنجم الطالعه .
يُحبّون في أرضهم كلّ شيءٍ
ولا ييأسون ولا يحقدونْ
ويبنون من جرحهم صرحها
ويَرْوُون من دمهم صبحَها
ويستقطرون ويَسْتَخْلصونْ
همُ المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلا
هم الواقفون على مجدها الزمانَ الطويلا .

بلى، في بلادي أنا خالقونَ
بنَبض شرايينهم عمَّروها
محوا عتْمة اليأس واليائسين بأجفانهمْ
بفرحتهم لامتلاك الوجود ، بأحزانهمْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هنا دفّقوا دَمهم في الزّمانِ
هنا اختصروا عمرهم في ثواني
هنا ملأوا كلّ شيءٍ يقينا

ولم يبق في شعبنا فراغٌ
ولم يبق في أرضنا فراغٌ
وها في بلادي ، بلاد الفراغ ، يموت الفراغُ .

8

بلى في بلادي لكلّ الزمان لكلّ المصير اكتناهُ
وإن شوّهوهُ
وفيها لخلق ، لصيرورة الحياة إلهٌ
وإن أنكروهُ .
سنملأ أيّامَنا بالمحبّة ، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً وبنودا
ونجعل من كِبْرنا اللّهيب ونجعل من حبّنا الوقودا
وتفتح أجفانها الحقيقهْ
على الطلّة الأصيلة فينا على الصيحة العميقه
ويلقى الزمان الجديد طريقهْ

9

صغار بلادي شموعٌ مضيئهْ

صغار بلادي يغنّوننا
أغانيهم البريئة
يقولون : «في أرضنا ثورةٌ
تُفَجِّرُ من أوّلِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفاننا
على الزمان الأجملِ» .
يقولون : «في أرضنا
يموت الذين أزاغوا وزاغوا
يموت الفراغُ» .

(دمشق ، 1954)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العمل

للعَمل
شمّر زَنْد الأملِ
وانطلقا ،
يزرع في ساعدهِ
يَزْرَعُ فيه الأفُقا .
عمّر في ضميرهِ
معمله ومصنعَهْ
وحقله وجنّةً
في حقله مضيّعه
بالشوك بالدّمع بنَى
مسكنه ورصّعه
كأنّه من أوّلِ
ينمو به ويكبر
في وعيهِ ، في صدرهِ
مستقبلٌ يختمرُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصّله الكفاح في الصخورِ
من أوّل العصور
فهو على امتدادها كالنسغِ ، كالجذورِ .
هَا زَرْعَهُ ، ينبت في جفونه ويُورِفُ
كأنه أجنحةٌ ترفرف .
وفي غدٍ على ضفاف حبّه يطوّف
له السماء جبهةٌ وقامةٌ ومعطفُ .
ها زَرْعَهُ ، مثّل فيه مسكَنَهْ
مَثّل فيه شعبه وموطنه .
حقولُه المحروثَةُ المخدّدَهْ
له ، لِكلّ شعبه مجنّده
يلمح في نموّها
أجياله المخلّده
يلمح فيها بيته
وناره وموقده
وشمعةً راهبةً مبتهله
ترقد عند رأسهِ
راعشةً مشتعله
وتهدأُ
يُولد في رمادها
كفاحهُ ويبدأُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في بيته حكاية طويلة تَتْسردُ
يكمنُ فيها الأبدُ
يرغفها الرّغيفُ ،
والمعجن النظيف
وهي وراء البيدرِ
تَلَهّفٌ ، وطفلة صغيرةٌ لم تكبرِ
وهي أمامَ المصطبهْ
عباءة مقصّبه
شائخةٌ مهدَّبه
وهي ، على الحصير
والتخت والخوانِ
وفي لهيبِ المدفأه
زوْبَعةٌ مختبئه
تسكبُ في الزمانِ
حرارةَ المصيرِ .
يا زند يا مشمّرُ
يا ثورةً في أرضنا ، في عمرنا تُفجّرُ
يا عَرقاً يندفقُ
يغرق فيه الشفَق
مطرّزاً بالحلمِ
محمّلاً بالألم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويا دماً تفحّما
في السّاعد المشرَّع
وبرْعَما
يا زند يا مشمّرُ
يا ثورة في أَرضنا في عمرنا تُفجَّر
أنتَ لنا التجدّدُ
والكبر والتمرّدُ
أنت لنا الحياة والبناءُ
والأرض والسماءُ
يا لهب المجامر
يا زند يا ممرّدُ
أبدعْ لنا أرض الأملْ
أرض العملْ
وارْم علينا ظلّها
وطَلّها
وغنّنا
سقْسقةَ الجداول
وخلّنا
نكبرْ مع السنابلِ
والتّوت والنخيلِ
والفجر والأصيلِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلّنا
نشرع زند الأملِ
للعملِ .

في الأرض في حقولها
في صدرها المشقّق
في سرّها المفتّق
نكشف عن نفوسنا
وننتمي ونرتقي
نَبْسط فيها العُمرا
خمائلاً وأنهرا .
يا عَمَلُ
يا واضعاً حدودَها
يا مشرعاً بنودَها
قلْ نحنُ نحن العملُ
نحيا له ونُجبَلُ
وقلْ على فؤوسنا
ينتظمُ المكانُ
وقل على زنودنا
يتبدئُ الزّمانُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثائر

(مقاطع)

1

شُدَّ يا ثائرُ ، يا عاصف ، زندَكْ
فالأعالي تشتهي ، تعشق بندَكْ
ما هو العالم بعدَكْ؟

هذه زلزلةٌ ترنو إليكا
نُشِّئت تحت يديكا ،
فأثِرْها
وأدِرْها
وَلْيَكُ اللاّ حدّ حدّكْ .
وسِّع الدنيا إذا شئتَ ،
وإن شئتَ اختصِرْها :
جُمِّعَ التاريخ عندَكْ .

2

لك غنّيتُ حياتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكَ ربّيتُ على الثورة ذاتي .
كلّ حرفٍ في نشيدي
طينُ إنسانٍ جديدِ
يَتَغذّى بك بالشّمس العتيقَهْ
يتغذّى بالحقيقَهْ...

3

يولد التّاريخ في شمْخة صدرِ
في انتفاضَهْ
ويُلاقي في دجى الموت بياضَهْ
كلُّ فجرِ .

4

سِرْ معي يُحفَرْ على الأرض اليقينُ
والحنينُ .
سِرْ معي نفتحْ على المغلق بابا
وكتابا .
سرْ معي تُشْبَكْ على الحلمْ الجفونُ
ويكونُ
كلُّ ما ليس يكونُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

5

في روابينا نداءاتٌ ترودُ
موطناً بكراً جديدا ،
إنَّ في التيه شريدا
سيعودُ .

6

حولك العالمُ تَعْبانٌ وفي عينيه ظُلْمةْ
لا يرى ، لا ينقش اللّفتة في المغمض نجمَه .
وهو لا ينسجُ للصبح رداءهْ
وبهاءَهْ .
لا تَسلْهُ
رملهُ نشَّفَ نبعَهْ
وانتشلْهُ ،
تحرقُ العتْمةَ شمعَهْ .

7

عِبْرَ أيامكَ في المستقبلِ
موعدٌ لم ينجل .
لكَ فيه طفلةٌ ترضع ، كالثّدي ، السِّنينا
وتُسوّي لك يسراها ، من الحبِّ ، يمينا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكَ فيه قلقٌ مدَّ يديهِ
وطوى الكونَ إليهِ ،
لكَ فيه قِصَّةٌ لم تكملِ
قِصَّة المستقبلِ .

8

زندكَ المتعبُ يجري نَهَراً ، يرفع بيتا
وهْو في قنديلنا الشّاحب يسّاقط زيتا .
ها هنا يسبح غيمه
وتعاريش وخيمه
أنتَ صلَّيتَ عليها وانحنيتَ :
زندٌ ، يا مُتعَبُ ، يا خالِقُ ، من أين أتيتَ؟

9

في سواد الأفُقِ
تتهاوى صاعقَهْ
حُمِّلَت بالشّفَقِ
بالفصول العاشِقَهْ .

10

عندنا تنبتُ للصَّخر جفونُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعيونٌ
عندنا يُنْسَجُ للغيم سريرُ
وحصيرُ
عندنا تشعر كالناس الجبالُ
والتّلالُ
كل شيءٍ عندنا يحمل فأسهْ
ويُغيرُ ،
ينتضي كالحتْم بأسَهْ
ويسيرُ .
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صدرَهْ
بيديهِ
ناغهِ واحْنُ عليهِ
يُكشَفِ المجهول عبرَهْ .

11

كلُّ جرحِ
هو في آفاقنا طلّةُ صُبْحِ .

12

بُحَّ صوتُهْ
هو كالشرنقة الصفراء ، يحيا فيه موتُه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شاردٌ حَطّ خطاهُ فوق زلّهْ
وهَوى ، إلاّ أقلّهْ
ليس يدري ، أهو القبر ، أم القبر سواهُ؟

13

يا أغاني في حناياه تمورُ
وتثورُ..
زنّريه
واغمريه ،
واكتبي فوق ترابهْ
بعضَ ما بِهْ ؛
فهو الآن ، كما صوِّر ، فحمَةْ ،
وغداً يطلع نجمه .

14

أين ذنبي ،
حينما أوقظ للثورة قلبي
وأصلّي لدواليهِ ، لريفهْ
لخريفه ،
وأنقّيهِ ، أُنقّي خفقاتهْ
من سُباته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من دياجير حياتهْ . . .
أين ذنبي
حينما أفتح للعالم قلبي؟

15

في بلادي تشرق الشمس المضيئه
كالخطيئه .

16

أيّ نار
لم تصلصلْ : «قلبهُ اللاّهبُ جمري وأُواري»
أيّ فرقدْ
لم يقل : «عيناه معبدْ» .

(صوت)

أنا ، هذا الضّحى لَمَمْتُ انْبعاثاتي
وسوّيتُها لشعبيَ عيدا —
فليكنْ بعديَ الضّحى تقليدا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب ، وقد أصيب بخلل عقلي وتشوّه في آن معاً . فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رآهم ، بملء عينيه ، يقتلون حوله : ذلك انفلقت جبهته ، وهذا تفزّرت أحشاؤه ، والآخر يحشرج ، وغيره فتّت نثرة ، نثرة) .

الأشخاص

الجندي المجنون المشوه ، أصوات ، الصدى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشهد الأول

الجندي ، الصدى

[الليل هادئ ، صافٍ . يشرف الجندي ، في وقفته ، قريباً من بيته المنعزل في طرف القرية ، على وادٍ سحيق] .

الجندي : (يغني وهو يربط خيط حذائه العسكري الذي بقي معه لسبب ما) .

تنهض بي وترتمي
مطرقةٌ من الدم
كأنما طنينها
يحبسني في قُمقمِ .

الصدى : مِ . . . مي . . .

الجندي : (لم ينته من ربط حذائه)

بيَ الروابي تُمهَدُ
بيَ الزمانُ يُحصَدُ
خرافة الحياةِ
والبدء والممات
مرسومةٌ بشكلي
محفورةٌ بذاتي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصدى : تي . . . تي . . .

الجندي : (متابعاً غناءه) .

كنتُ وما برحتُ

شيئاً من الكفاحِ

واليأس والجراحِ

لو متّ لاسترحتُ .

الصدى : تُ . . . تُ . . .

الجندي : (يجلس وهو يغني)

لأيّ جمالٍ وحبٍّ وخيرِ

أحارب غيري؟

لأيّ قضيهْ

أوسّخ بالحقد ، فِيّ ، عروقي وكلّ شعورٍ

وكل خليّهْ؟

(يتوقف لحظة ثم يتابع)

لِلاشيءَ أصبغ بالأفك عيني ،

وجبهة أرضي

وأخنق نبضي ،

وأفصل بين الوجود وبيني .

الصدى : نِي . . . نِي . . .

الجندي : (يتابع غناءه وهو يفك من جديد سيور حذائه) .

خَرَسُ الأصداء في سمعي تفوّهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنني صرتُ مشوّهْ

يَضْمُرُ الممكنُ في نفسيَ والشكل الصحيحُ

كلّ ما شئت سرابٌ كلّ ما جمّعت ريحُ .

(ينهض ، ثم يتابع بشيء من الرعشة)

في عروقي قلقُ

في جفوني أرقُ

ولكم أكره فِيَّ القلقا

والأرَقا

ونجومَ الليل ، والليلَ وهذا الأفقا .

الصدى : (ويسمع طويلاً حاداً)

قا . . . قا . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشهد الثاني

أصوات ، الجندي ، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب ، كأنه يريد أن ينام ، يزداد لمعان النجوم تألقاً ، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى) .

صوت : يا عابر الطريق
مُرَّ على شقيقي
وابحثْ خلال بيتي
عن كفنٍ لميتِ :
عباءةٍ طرَّزتها بقصب العقيقِ
يا عابر الطريق

الصدى : ق . . . قي . . .

صوت آخر : يا أيها الخيالُ
عنّيَ ما يقالُ؟
مَن مات ، مَن تبقّى؟
من سادَ واسْتَرقّا؟
بعدي ، بعد موتي ما قِيل؟ ما يُقالُ؟
هل بطل السؤالُ
هل أمكن المحالُ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا أيها الخيالُ

الصدى : قا . . . ما . . . لُو . . . لُو . . .

صوت آخر : كان في جيبيَ الصغير قصيدهْ

كتبتها مفاصلي وشراييني وأودعتها الحياةَ

الجديده

كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أني غائبٌ ، هَمَّ

ضوءُها أن يُعيدهْ .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أسمع همس طفلٍ غُمِّس بالدّموعِ

يلعبُ في ضلوعي ،

أحسّه أمامي ضرعاً من الضّروع ،

يطفر في الرّوابي يضيع في الزروعِ .

الصدى : عِي . . . عِي . . .

الجندي : (ينتفض مذعوراً ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويحدق أمامه) .

ماذا يُريد الصدى منّيَ . . . ماذا يُريدْ؟

وفيَّ من رَجْعهِ ألفُ فمٍ أو يزيدْ . . .

(يتابع محدقاً ، يداه خشبتان ، وصدره مغارة) .

ما العارُ ، ما الغارُ؟

ما الفرقُ ، في موتيَ ، إن ضمّني

نَبعٌ ، أو اجْتَثّتْنيَ النّارُ؟

وجودُنا محض سديميّةٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحن في السديم أقدارٌ
ليس مع الموت جديدٌ يُرى
وليس في الحياة أسرارٌ .

الصدى : (أقوى هذه المرة ، وأكثر حدة)
رُو . . . رُو . . . رُو . . .

[ينهض الجندي ، سيور حذائه محلولة ، حاسر الرأس... يده اليمنى تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها تحتضن خاصرته] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشهد الثالث

أصوات ، الجندي ، الصدى

[لايزال الجندي واقفاً . يجلس قريباً من مكانه الأول . في هذه اللحظة يسقط شهاب من السماء ، ويعكر الهدوء الشامل عواء ابن آوى . هاتان الحادثتان تثيران فيه ، كما يبدو ، مشاعر مبهمة غريبة تنطق بها قسمات وجهه . يعاود تمدده ، ويود لو ينام] .

صوت : عِشْ للحظةْ
واقتحمْها
واغتنمها
كلّ شيء ، بعدها ، وهمٌ ولفظةْ .
الصدى : (لا يسمع)
صوت آخر : قُلْ لطفلي
أن يرى العالم والأشياء مثلي .
الصدى : (لا يكاد يسمع) ل . . .
صوت آخر : سوٌّ صدري وبقايا اللحم فيه وصليبَةْ
أغنياتٍ للحبيبه .
الصدى : (لا يسمع)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت آخر : أكره الناس والحياةْ

أيّ شيء يخافه من تخطّاهمُ ، ومات؟

الصدى : يا . . . حاتْ . . .

صوت آخر : كنتُ أحيا كالغرابِ البَرِص

نثرةً في قفص .

الصدى : صِ . . . صي . . .

صوت آخر : كحذائي

يبرق العالم شمسيِ الرّواءِ

وكوجهي كلّ كنْهِ .

الصدى : نِي . . . هِي . . .

صوت آخر : عند جيْبي .

تنتهي الدنيا ويبدو كلُّ غيْب .

الصدى : بِ . . . بي . . .

الجندي : (وكأنه يتحدث بلا وعيه)

من أنا . . . أيّ عُصافَه

تخذت شكل خرافَهْ؟

الجندي : (متابعاً وكأنه لم يسمع شيئاً)

كالحجرَهْ

لا أشعرُ

لا أقدرُ

جُسِّد عُمْري في حذاءٍ هَرِئٍ ، في مَطرَهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت : (يصعد قوياً ، حاداً)

قم انهضِ

واهربْ من الموت وشمِّرْ واركضِ .

الجندي : (ينتفض ، ويجلس ، قدماه ممدودتان ، ودلائل الخبل على وجهه) .

يا . . . كيف ، كيف أنهَضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي ، ويُغمضُ .

(يتوقف برهة ، ثم يقول متابعاً) :

في جسدي ثِقْلُ الزمنْ

ثقل الخراب والدِّمَن

في جسدي يدُ الكفنْ

يدُ العَفَنْ .

(بعد فترة وجيزة ، وبلا مبالاة)

فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانْ

كالموج ، في الصراع ، لا يهدآن

لا الأمس من عُمْري ولا أيّ آنْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المشهد الرابع

الجندي ، الأصوات ، الصدى

[ينهض الجندي ، ويتمشى بخطوات وئيدة في منحدر الوادي ، حاسر الرأس ، ولاتزال سيور حذائيه محلولة] .

الجندي : (متمتماً) ما المصيرُ؟

صوت : (عميقاً ، مديداً ، يبدو كأنه صدى) .

شَلَلٌ ، طِرْحٌ . . . يطيرُ .

الجندي : (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الإلهُ؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما كانَ سواهُ .

الجندي : (متطلعاً إلى فوق) .

ما المغيّبْ؟

الصوت والصدى معاً : حاضرٌ بالظنّ ، بالخوف يُطيّبْ .

الجندي : (غاضّاً بصره) ما البدايهْ؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما صار نهايهْ .

الجندي : (وهو يضغط على جبينه بأصابع يده اليسرى ، ويده اليمنى في جيبه) .

ما الحقيقهْ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصوت ، فقط : شُرَطيٌّ شقّ بالسوط ، طريقَهْ .

الجندي : (ملتفتاً وراءه ، نحو بيته)

ما الزمانُ؟

الصوت والصدى معاً : ضفدعٌ نقّ ، ورملٌ ودخانْ

الجندي : (متوقفاً عن سيره الوئيد)

ما الحياةُ؟

الصوت والصدى معاً : سِرْبُ أطفالٍ صغارٍ .

عمّروا كوخاً من العشب وماتوا .

[يحاول الجندي أن يتابع سيره ، فيعثر ، ويسقط ، ويتدحرج على المنحدر... في هذه اللحظة ، يختلط كل شيء ، الأصوات والأصداء وصوت الجندي وصوت تدحرجه... ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القنيطرة ، 1956/2/2)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السديم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مجانين العالم

(تعبّر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها . حين كتبتها كنت أجلس ، فعلاً ، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانين ، وكنت أشعر أن العالم يبدو لي من خلالهم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحياة قصة يرويها أبله .

شكسبير

يمكن للحقيقيّ أحياناً ، ألاّ يشابه الحق .

بوالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول .

أغاتون

الأشخاص

المجنون الأول ، المجنون الثاني ، المجنون الثالث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة ، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق ، سقفها أشبه ببيت عنكبوت ، خيوطه من الخشب ، فيها أربع طاقات ، ثلاث منها مغلقة ــ والأصح مسدودة ــ . تكسوها حصرٌ التصقت بصحنها ، نتنة ، يقبع في إحدى زواياها ثلاثة أشخاص : رأس الأول محلوق يلمع كالزيت ، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم ، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة ، في يده خِرَقٌ أخرى ، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم» ، ويعني القمل .

يتكئ الثاني إلى الجدار ، يلتحف بغطاء أسود ممزق ، على رأسه شملة معقودة حول عنقه . مثبتة بحزام أحمر عُقد عقدة ذات شعبتين ، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً .

ويحضن الثالث مِزْقة جريدة علق بها شيء من السكر يلحسها بحركة من لسانه ، معتوهة ، له لحية طويلة يختلط فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخاذاً .

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي ، رغم أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في مثل هذا الحديث . كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجنون الأول : في داخلي تتكوّنُ
أشياء هذا العالمِ
وبأضلعي تتلوّنُ
وبخاتمي :
هي كالمآسي ، بالخديعة والضلال
تُهوِّنُ .

المجنون الثاني : (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)
ماذا؟ أليس عن القدَرْ
نسخَ البشَرْ
سِفْرَ الوقائع والمصير
وتفكّروا
وتبصّروا :
فهُنا الحقيقةُ كالنُّفاضة لوّثت طرف
الحصير
وهنا الضّحى يتحلْزَنُ
فوضى : صباحٌ لا يُرى وألوهةٌ تتوثّنُ .

المجنون الثالث : (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)
يا شمسُ لونكِ حائلُ
يا أرضُ أسُّكِ مائلُ :
للصخر أردافٌ تُهَزُّ وللتراب جدائلُ .

المجنون الأول : (بسرعة) ماذا تقولُ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجنون الثالث : حبلت بقاتلها العقولُ .

[تخيِّم فترة من الصمت يعكِّر هدوءها المجنون الثاني ، وهو يلكز المجنون الثالث قائلاً] .

المجنون الثاني : حَدِّقْ ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث : (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني : ينطقُ

في مقلتيه زئبقٌ

يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزّقُ .

حدّق ، أراه يُحدّق .

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ .

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدّق فيه)

تلك فُتْحَه

عندها خبّأ ليل العُمر صبُحَهْ .

والزّوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (ببرودة) للجدارِ

عنقٌ لفٌ بغارِ

وشرارِ

سطحهُ كأسٌ وخمرٌ وثناياه جواري .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(يلتفت إلى المجنون الصامت ويتابع)
لبس الحائط خُفَّهْ
مَدّ كفّه
وعلى العالم سلَّمْ
(يتابع مقهقهاً)
يا . . . تكلَّمْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدور الثاني

[المكان ذاته . المجنون الأول يجلس القرفصاء ، يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه . عيناه ضائعتان . يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه . يجلس الثاني ويده اليمنى تسند ذقنه ، واليسرى لا مكان ثابت لها . أما الثالث فعيناه إلى الأرض] .

المجنون الثالث : (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ ، ما سوانا؟

المجنون الأول : (بلهفة) دودٌ على خطانا

ومنخرا ذبابَهْ ،

ملساءَ كالسّحابهْ .

المجنون الثالث : (بسرعة) وحُفَرٌ مليئهْ

بالقَيْءِ والخطيئهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدور الثالث

[المجانين الثلاثة يتضاحكون ويتهامسون بحركة لا تفتر . قام الأول وخطا بضع خطوات ، ثم عاد وجلس . وتمدد الثاني وهو يتثاءب . ثم رجع إلى وضعه الأول . والثالث يفرك يديه] .

المجنون الثالث : (مشيراً إلى تزاويق على الجدار)

في مدى هذي الحديقهْ
ألفُ بحرٍ وحريقهْ

المجنون الأول : (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقهْ

هذه خيطان سحرٍ قُزَحيّاتٌ رقيقهْ
صاغت السلّم طيرا
وبياضَ الكلس ديرا .

المجنون الثاني : (متطلعاً من الطاقة المفتوحة ، مشيراً إلى ما يبدو منها ، من الفضاء) .

أيّ شيء هو هذا
ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعقل الشيخوخة)

هو بحرٌ من هواءٍ صيغ للشمس مَلاذا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو للعميان مرسمْ
ولجُرحِ الموت بلسَمْ .

المجنون الأول : والطّيورُ
أُكَرٌ فيه تدورُ .

المجنون الثالث : (يُفَاجأ بفراشة تدخل من الطاقة ، فيصيح)
ها فراشَهْ ،
بجناحيها كَسا الأفقُ فِراشَهْ .

المجنون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو ، فيصيح وكأنه لم يسمع ما قاله المجنون الثالث) .
ها ، سنونو
آه لو أنيَ كالطير أكونُ
آهِ ، لو أني حمامه
أو غمامَه .

[يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم المجنون الثالث قائلاً وهو يشير إلى جملة الأشياء ، حواليهم] .

المجنون الثالث : هذه الأشياء سوداء غريبهْ

المجنون الثاني : (بلهجة مكتشفة)
هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه
لم تُبيَّنْ .

المجنون الثالث : هي في الخلق سديمٌ بعده لم يَتعيَّنْ .
(يصمت ثم يتابع ، وكأنه يضرب أمثلة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألرّوابي
صلواتٌ وخوابي .
والجدارُ
قفصٌ يبكي ونارُ .
المجنون الأول : (مقلداً لهجة المجنون الثالث)
والحَصاةُ
شهدُ نحلٍ لا يُسمّى
قطّرت منه الحياةُ
هي في النشأة أفعى
وهي في الرجعى صلاة .
والمآذنْ .
المجنون الثالث : (مقاطعاً) هي للصوّت مخازنْ .
(يصمت ، ثم يتابع بلهجة الحكيم)
كلّ عُرْفٍ .
محض إشكالٍ وخُلفٍ .
المجنون الثاني : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ
وحجرٌ يخاطُ
وموجة تهندَسُ
وهو ، أَوانَ يُدرَسُ
كتابةٌ منبهمه
تُزري بكلّ ترجَمه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المجنون الأول : (بشيء من العبوس)

من محالِ الكون أن تمحوَ

في الكون الخطيئَه

فهي للخق بناءٌ

ورداءٌ

وهي بالحقّ مليئَه .

المجنون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)

ومن الباطل أن تُقْصَى عن الباطل أرضُ

فهو في العالم فَرْضُ .

المجنون الثاني : (بنبرة موافقة)

نظِّفِ الأرضَ من الشرّ ، فلن تلمحَ خيرا

واحذفِ الأفقَ يصرْ كلّ دبيبٍ فيه طيرا .

المجنون الأول : (بابتسامة خفيفة)

لتكونا

لتصير الجوهرَ العالي على كلّ حياةٍ

ومماتٍ ،

عدْ سكونا

صِرْ تُرابا

أو كِتابا .

(تمر فترة صمت ، يضحك المجنون الثالث فجاءة ، وهو يقول)

أَلَقُ النّهار وسادةٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبداية الليل امرأةٌ
والموتُ أولُ شاعرٍ
تخذ النِّهايةَ مبدأه .

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى ، أو بغيرها ، نوبة كبيرة من الضحك ، فيرقصون ويغنون] .

ليس في العالم إمكانٌ للغزِ
أو لرمْزِ
فلقد يختبئ العالم في كِسْرة خُبْزِ .

(القنيطرة ، سورية ، السجن العسكري ، أواخر آذار ، 1956)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمعته وفمه حجارةٌ

ـ ١ ـ

سمعتهُ وفمه حجارةٌ :
«خُطايَ لا أريدها ،
ثقيلةٌ ، رتيبةٌ .
وهذه سلاسلي
أموتُ في رنينها ، ـ
سلاسلي حديدُها إلهٌ .»

وقال والتّرابُ في جفونهِ ، وصوتهُ غوايةٌ :
«ألسّاعة التي تجيءُ ، لم تَجِئْ» .

ـ ٢ ـ

نافذتي التي رَبطْتُ ناظري بضوئِها
مغلقةٌ ،
وبَصري مكفَّنٌ
وحاضري دَمٌ ـ مصائرٌ رهينةٌ ووطَنٌ مسوّرٌ بموتِه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآخرون ــ الكونُ في بيوتِهمْ
والله فوق طبَقٍ من العقول مُترَفٍ» .

ــ ٣ ــ

أغيّر الحياةَ : شَكْلَ سيرها
وآدمياً موثقاً بخبزِه
يَغَصّ بالهواء ــ يبقى الله في حلقومِه معلّقاً ؛
ولا يزال صوتُه
يجتاحني ، وفمه حجارةٌ :
«خُطايَ لا أريدُها . . .»

ــ ٤ ــ

«تُرى ، تُراه جسدي يُعيذنا؟
وهل يكون موتيَ انبعاثةٌ؟
وهذه حياتُنا :
مُرتّلون مَوْسَقُوا سرابَهمْ ،
وبين كلّ خطوةٍ وخطوةٍ
مَغاوِرٌ تألّهتْ ، ونُصُبٌ .
ومات قبليَ المسيحُ ، مات آخرون ، بَعدَهُ...
تُرى ، تُراه جسدي يُعيذنا؟» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ٥ ـ

سمعته ، وفمه حجارةٌ ، يقول : «بَعْدُ ، لا نرى
والسّاعةُ التي يقال إنها آتيةٌ ، توقّفَتْ» .
وقيلَ ، أمسِ غابَ . غابَ صوتُه
وقيل ماتَ : وجههُ غوايةٌ
وناظراه أُفُقٌ ، نوافذٌ جديدةٌ ،
وساعداه جدولا شقائقٍ .
وقيلَ : مَنْ خَفّوا إلى وداعِه
تهامَسُوا وتَمتموا :
«أبِالدّمِ انْتَهى الدّمُ؟» .

(بيروت ، 1957/3/15)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البعث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ـ الحلم

أحلمُ أنّ في يدي جمرةً
آتيةً على جناح طائرٍ
من أُفُقٍ مغامر
أشمّ فيها لهَباً ــ قَرطاجَةَ العُصورْ ،
ألمح فيها امْرأةً
يُقال صار شعرُها سفينةً ؛
ألمح فيها امْرأةً ــ ذبيحةَ المصيرْ .

أحلم أنّ رئتيّ جمرةٌ
يخطفني بخورُها يطيرُ بي لِبعلبَكّ ،
بَعْلَبَكُّ مَذْبَحٌ ،
يُقال فيه طائرٌ مولّهٌ بموتِه
وقيل باسْمِ غدِه الجديد باسم بعثِهِ
يحترقُ
والشمسُ من حصادِه والأُفُقُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ نشيد الغربة

فينيقُ ، إذْ يحضنك اللهيبُ أيّ أُفُقٍ ترودُهُ؟
والزَّغَبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثلهِ؟
وحينما يغمركَ الرمادُ ، أيّ عالَمٍ تحسّهُ
وما هو الثّوب الذي تريدهُ ـ اللّونُ الذي تحبّه؟
وما تُعاني حينما تهمَدُ كل خلجةٍ؟
والسِّحرُ الذي امتلكتَ شمسَهُ الأميرهْ
فينيقُ ، ما يكونُ؟
وما تكون الكِلْمةُ الأخيرةُ ـ الإشارةُ الأخيرهْ؟

غُربتكَ التي تُميت ، غُرْبتي
غربتك التي تُحبّ ، تنتشي
غربتكَ التي تموتُ هلَعاً لغيرها
غربتكَ التي تموتُ وَلَعاً بغيرها
غربتكَ التي تُميت ، غربتي ـ لا أُمَّ فوق صدركَ الموثَقِ
باختناقهِ
لا أبَ يُحييكَ حنوُّ قلبهِ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غربتك ، الوحيد فيها ، غربتي
غربةُ كلّ خالقٍ يحترقُ
يُولَدُ فيهِ الأفقُ .

أغنيتي ، يقال عن أغنيتي ،
غريبةٌ ،
ليس بها من الرّكام وترٌ ولا صدى
وجبهتي ، كما يقال ، مثلها غريبةٌ .
غربتك التي تُميتُ غُرْبتي
أزحتُ عن وجوديَ الركام والفراغ والدُّجى
بلهفتي إلى السُّوى ــ بحبيَ العظيمِ ؛ لاتزال خلفيَ البوابةُ
الكبيرةُ ، السلاسلُ ــ الفراغ والركام والدُّجى ،
ترصدني ، تُعلِّقُ التفاتها بخطوتي .
مُشرَّدٌ أحبُّ حتى المالئين جبهتي سلاسلاً
ألكامنينَ في الدروب غيلةً
مُشرَّدٌ أحسّني طفولةً
أُحسُّني أرفَعُ بعلبكّيَ العاشقةَ ، الوالهةَ الحجارْ
أحترقُ ،
يكبر فيَّ الأفقُ ــ يولَدُ فيَّ الأُفُقُ
وحينما يَسْتيقِظُ الصباحُ
يطلعُ لي ، من أوّلٍ ، جناحُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثلكَ يا فينيقْ
يا أيّها الرفيق .

للموت ، يا فينيق ، في شبابنا
للموت في حياتنا
منابعٌ ، بيادرٌ
ليس رياحَ وحدةٍ ،
ولا صدى القبور في خطورهِ .
وأمس ماتَ واحدٌ
خبا وعاد وهجهُ
كان يُرى بحيرةً من كرَزِ
حريقةً من الضياء ، موعداً .
خبا وعاد وهجهُ
من الرماد والدجى
تأجّجا .
وها ، له أجنحةٌ بعدد الزهور في بلادنا
بعدد الأيام والسنين والحصى
مثلك يا فينيقُ فاض حبّه
علا ، أحسّ جوعَنا له ، فماتَ ــ مات باسطاً
جناحَهُ ، محتضناً حتى الذي رمّدهُ .

مثلك يا فينيقْ
يا حاضنَ الربيع واللّهَبْ
يا طيريَ الوديعَ كالتعبْ ،
يا رائدَ الطريقْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ رماد عائشة

سمعتُ أنّ عندنا
سمعتُ أنّ بيننا
ثلاثةً من الركام يعشقون موتهم
واحدهم مغارَةٌ
والآخران صَدَأٌ :
«رَبّاهُ ، لو نموتُ ، صار لحمُنا
شرائحاً من الحصى .
رباه ، لو نموت . كان عمرُنا عبادةً
فجدْ لنا بدارِكْ
بأبدٍ يدومُ في جوارِكْ» .

ثلاثةٌ من الفراغِ ــ
واحدٌ مغارةٌ
والآخران صَدَأٌ :
«ربّاه ، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأ السراج والصّباح في عيوننا

وجمدت صلاتنا على اسمكَ القديمِ
ونسيتْ قلوبنا اللذائذ الخطايا
آملةً بوعدكَ الكريمِ» .

ثلاثةٌ من الركام ، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكّرونَ ، واحدٌ مغارةٌ
والآخرانِ صَدًى ، صدىً لها :
«يا ربِّ صرتُ آخراً :
مفاصلي مسامرٌ
وركبتاي خشبٌ .
ربّيَ هيِّئْ موضعاً مباركاً لعبدكَ الذليلِ
هَبْني مقعداً منعّماً أكوابه من ذهَبٍ
وفضة ، ولْدانُه مخلّدون ــ
هبنيَ الخلود في جواركَ الحبيب ، يا إلهي» .
ثلاثةٌ من الفراغ يكرهون عمرهم
فللفراغ عندنا
مجامرٌ كبعلبكٌ ؛ للفراغ نارُه وموته وبعثهُ :
ما أروعَ الحريقَ ، ما أجلّهُ
ما أعظم العراكَ ، أيّ بطلٍ سينتهي
لمن يكون الزْمن الذي يجيءُ ،
والعراك هل يموت ، هل يخفُّ ، هل يظلّ قائماً؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عائشةٌ جارتنا العجوز مثل قفص مُعلّقٍ
تؤمن بالركام والفراغ والطُّرَرْ
وبالقضاء والقدرْ
أهدابها منازل النجومِ ، كلّ نجمةٍ خبرْ
عائشةٌ تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرْ
تقول إنّ الأرض أبْشَعُ الأكرْ
صوّرها الإله تحتَ عرشِهِ
ومن عَلٍ دحْرجَها
خطيئةً كأنّها البشرْ :
«يا ويلَ ، ويلَ من كفرْ
يا سَعْدَهُ من اعتبرْ» .
عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ ،
يحبّها القريبُ والبعيدُ
والمدُنُ الكثيرة الشوارع المزيّنات بالطُّررْ .
يحبّها الحاضرُ في بلادنا ، الكامنُ فيها ورَماً
ولافتاتٍ زيتةٍ
وقفصاً من الذباب أخضراً .
عائشةٌ جارتنا تقيّةٌ ،
حياتها جلودُ صوفٍ وخرافُ ورَعٍ
وحكمةٌ تعودُ بالأرض إلى سديمها
تحتجز الحياة في تكيّةٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ورَقِ الرمالِ
وطُحْلبِ الليالي .
عائشةٌ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا
كبيرةٌ فارعة القوام تأخذ البصرْ
وتأخذ القلوب ، يا فينيق ، والفِكَرْ
كأنها القمرْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ـ ترتيلة البعث

فينيقُ ، يا فينيقْ
يا طائرَ الحنين والحريقْ
يا ريشةً
ساحبةً وراءها الظلام والبريقْ
مُسافرٌ خُطاك عُمْر زهرةٍ
لفتتكَ انخطافةٌ وناظراك مِنجمٌ ،
مُسافرٌ زمانك الغدُ الذي خلقتهُ
زمانكَ الغدُ ــ الحضورُ السرمديُّ في الغدِ
لموعدٍ :
به تصير خالقاً ، به تصير طينةً
تتّحدُ السماء فيك والثرى
فينيقُ في طريقك التفتْ لنا
فينيقُ حُنَّ واتّئدْ
فينيقُ مُتْ ، فينيقُ مُتْ
فينيقُ ، ولْتبدأ بكَ الحرائقُ
لِتبدأ الشقائقُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لِتبدأ الحياةُ
فينيق ، يا رمادُ ، يا صلاةُ .

نِيرانُنا جامحة الأوارِ كي يُولدَ فينا بَطَلٌ
مدينةٌ جديدةٌ
نيراننا الخفيّة الحدودِ في جذورنا
تمجّد الهُنَيْهَةَ التي بها
يحترق العالم كي يصيرَ عالماً مثلَ
اسمكَ ــ الرّمادِ والتجدّدِ
مثل اسمكَ ــ الحياةِ ، والمحبّة التي تموت فديةً ،
تحرقنا ، تربطنا بريشكَ المُرمَّدِ
لِنهتدي .
فينيقُ ، أنت من يرى ظلامَنا
يحسُّ كيف نَمّحي
فينيقُ مُتْ فدىً لنا
فينيقُ ولْتبدأْ بك الحرائقُ
لتبدأَ الشقائقُ
لتبدأ الحياةُ ،
يا أنت ، يا رمادُ يا صلاةُ .

فينيقُ ، يا فينيقْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى ،
أرى إليك تجمع الزمان ــ هذا الحطب الحلوبَ
مثل منبع
ترفعه حريّقةٌ
أرى إلى جناحك انتشى ، علا ، هوى
أرى إليك في اللهيب غارقاً
في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى
أرى إليك لهباً ، أرى إليك جمرة غريبةً
أليفةً ضاحكةً إلى الضّحى
في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى
أرى أرى رمادَكَ
كأنه استعادكَ
كأنه أعادكَ .
فينيقُ خلِّ بصري عليكَ ، خلِّ بصري :
ألمحْ خلال ناركَ الغيبَ الذي يختبئُ ــ الذي
يلفّ جُرْحَنا ،
وألمح الركام والرمال والدجى
والله في قماطه ، الله الذي تلبسه أيامنا
حرائقاً وغُصصاً وجذّرا
تلبسه ولا تَرى .
وافَرحا . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«سيدتي ، يا كتفَ الاسمنت ، يا خواصرِ الحديد ، يا تكيّةً
تهدّمتْ ، ولاتزال حيّةً عامرة .
سيدتي أنا اسميَ التجدّدُ
أنا اسميَ الغدُ
الغدُ الذي يقتربُ ـ الغد الذي يبتعدُ .
في مهجتي حريقةٌ ذبيحةٌ
فينيقُ سرّ مهجتي
وُحّد بي ، وباسْمِهِ عرفت شكلَ حاضري
وباسْمِه أعيش نار حاضري ،
سيدتي العجوز لستُ شاعراً
بالخطر الذي ترين ، ها يدي مليئةٌ بلحمها
هادرةٌ بدمها
وها أنا أسيرُ ، دائماً أسيرُ ، خطوتي
تحبّني ، وقدمي عاشقةٌ غُبارَها ، نافضةٌ غبارها
ولا أزال شاعراً بِقُوتي
صدريَ في علوّهِ ،
وجبهتي كأرزةٍ» .

وافَرحا . . .
«يُفْتَحُ صدر عالم أهدابه المحبةُ
البساطةُ ، الغدُ الذي لا تضمر الشمس احتمالَ مثلهِ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحضننا الألوهةُ الرائمةُ التي تحسّ مثلنا ـ التي تحُسُّ معنا» .
فينيقُ خلِّ بصري عليك ، خلِّ بصري ،
فينيق مُتْ ، فينيق مُتْ
فينيق ، تلك لحظة انبعاثكَ الجديدِ :
صار شَبَهُ الرمادِ ، صار شرَراً
والغابرُ استفاق من سُباتهِ
ودبّ في حضورنا :
«ألْبَطل استدار صوب خصمهِ
للوحشِ ألفُ خنجرٍ
أنيابهُ مطاحنٌ
والظُّفُر السّنينُ سُمُّ حيّةٍ .
والبطلُ القويُّ مثلُ حمَلٍ
تَمّوزُ مثلُ حَملٍ ـ مع الربيع طافرٌ
مع الزهور والحقول والجداولِ
النّجميّةِ العاشقة المياهِ ،
تموز نهرُ شررٍ تغوص في قرارهِ
السماءُ . تموزُ غُصنُ كرْمةٍ
تُخبئه الطيور في أعشاشِها ،
تموزٌ كالإلهِ .

ألْبَطل استدار صوب خصمهِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تموز يستدير نحو خصمه :
أحشاؤه نابعةٌ شقائقاً
ووجههُ غمائمٌ ، حدائقٌ من المطرْ .
ودمُه ، ها دمُه جرى
سواقياً صغيرةً تجمّعت وكبرتْ
وأصبحتْ نَهرْ
ولايزال جارياً ــ ليس بعيداً من هُنا ــ
أحمرَ يخطف البصرْ .
واندثَر الوحشُ وظلَّ خصمُه الإلهُ
ظلَّ معَنا شقائقاً
جداولاً من الزَّهَرْ
وظلَّ في النَهر» .

ألبَطل اهتدى ، مضى لموتِه
لا ، لن أرى جبينه الغريقَ في غيومهِ
الغريقَ في بذورهِ
ولن أخيطَ صدرَه ببؤبؤي
لا ، لن أراه مطراً وجُثةً من الرياحِ
مطراً وجُثةً من الحقولِ والحصادِ
لن أرى صوّانةَ الحياة في رمادِه
ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يُحبّه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي غدٍ أسمعه أغنيةً حزينة مفرحةً .

فينيقُ ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديدِ ؛
صار شبَهُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبياً
والربيع دبَّ في الجذور ، في الثرى ،
أزاح رملَ أمسنا ــ العجوزَ والثلاثةَ :
الركام والفراغ والدُّجى ،
فينيقُ خلِّ جبهتي أسيرةً لديْك في عُلوِّكَ البعيدِ عن جفوننا ،
البعيد عن أكفِّنا
وخَلّني لمرّة أخيرةٍ ، ألامس الترابَ في جناحك الرَّميمِ ــ
خلّني
لمرّة أخيرةٍ
أحلمُ أن رئتيَّ جمرةٌ
آتيةٌ على جناح طائرِ
من أفقٍ مغامرٍ ،
وخلّني أشمُّ فيها اللهب الهياكليَّ ، ــ ربّما لِصوَر فيها سِمةٌ
وربّما تجسدت قرطاجةٌ :
دقائقُ الغبار فيها لهبٌ
وخلّني لمرةٍ أخيرةٍ
أحلم أنّ رئتيَّ جمرةٌ
يأخذني بخورُها ، يطيرُ بي ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلِّني لمرةٍ أخيرةٍ :
ها ركبتي حنيتُها
وها جلست خاشعاً
فخلِّني لمرّةٍ أخيرةٍ أحلم يا فينيقْ
أحتضن الحريقْ
أغيب في الحريقْ
فينيق ، يا فينيقْ
يا رائدَ الطريقْ .

(بيروت ، 1957/5/10)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصقر

«وأقبلت الخيل فصاحوا علينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكما ، فسبحت ، وسبح الغلام أخي ، فالتفتّ إليه لأقوي من قلبه ، فلم يسمعني واغترَّ بأمانهم وخشي الغرق ، فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، ثم قدموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه ، وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ومضيت إلى وجهي : أحسب أنّي طائر وأنا ساعٍ على قدمي» .

عبد الرحمن الداخل

(صقر قريش)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ـ أيام الصقر

هَدأَتْ فوق وَجْهِيَ بينَ الفريسةِ والفارس الرِّماحُ
جَسَدي يَتدحْرَجُ والموتُ خُوذيّةٌ والرّياحُ
جُثَثٌ تتدلّى ومَرْثيّةٌ ،ـ
وكأنَّ النّهارْ
حجَرٌ يثقبُ الحياةْ
وكأنّ النَهارْ
عَرَباتٌ من الدّمعِ ،
غَيِّرْ رنينَكَ يا صوتُ ،
أسمعُ صوتَ الفراتْ :

ـ «قُرَيْش . . .
قافلةٌ تُبحر صوبَ الهِنْدْ
تحملُ نارَ المجدْ .»
. . . والسّماء على الجُرح مَمْدودَةٌ ، والضّفافْ
تتهامَسُ ، تَمْتَدُّ :
بيني وبين الضّفافْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لُغةٌ ، بيننا حِوارْ
حَضنَتْهُ الكَراكِيُّ ، طافَتْ به كالشّراعْ
بيننا ، ـ
وافُراتاهُ ، كنْ ليَ جسْراً ، وكن لي قِناعْ .
وتَرَسَّبْتُ ،
غَيّرْ رَنينَكَ يا صوتُ ، أسمع صوتَ الفراتْ :

ـ «قُريشْ . . .
لُؤْلؤَةٌ تشعُّ من دِمشْقْ
يُخَبّئها الصّندلُ واللُّبَانْ
أرَقُّ ما رقَّ له لبنانْ
أجملُ ما حَدَّثَ عنه الشّرْقْ . . .»

. . . وأنا في فضاء الجنادبِ تحتَ الغيوم الجريحَهْ
حجَرٌ مَيِّتُ القوادمِ ،
والموتُ يُسْرِجُ أفراسَهُ ،
والذّبيحهْ
بَجعٌ يتخبَّطُ ،

غَيِّر دَويَّكَ يا صوتُ
أسمعُ صوتَ الفراتْ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ «قُرَيشْ . . .
لم يَبْقَ من قُريش
غير الدّمِ النّافر مثلَ الرُّمْحْ
لم يَبْقَ غيرُ الجُرحْ»

إفتَحي يا بَراري مصاريعَ أبوابكِ الصَّدِئاتِ :
مَلِكٌ والفضاءُ خراجي ومملكتي خُطواتي
مَلِكٌ أتقدّم أبني فُتوحي
فوقَ هذا الجليدِ المؤصَّلِ ، فوق الجموح
أعرفُ أن أجرحَ الرّملَ ، أزرع في جرحِهِ النَّخيلا
أعرف أن أَبعثَ الفضاءَ القَتيلا ،
والطّريقُ يُدَحْرِجُ أهوالَه ويَضيقُ
والطريقُ مرايا
كتبٌ ومرايا
أتَقَرّى تجاويفَها
أتَفرّسُ
ألمسُ فيها بقايا
فارسٍ عاشقِ الخُطى
أقرأُ الخطوة والعشبَ والنّخيلَ ، وأُفْقاً
نَسَجَتْه التّنهّداتُ القصيره
حيث لا يهدأ الحريقُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث لا تَنْتهي الخطوات الأميرهْ .

في الشّقوقِ تَفيّأت
كنتُ أجسُّ الدّقائقَ
أمْخضُ ثَدْيَ القِفارْ
سرتُ أمضى من السّهْم أمضى
عَفّرْتُ الحصَى والغُبارْ
كانت الأرضُ أضيقَ من ظلِّ رُمْحيَ ـ مُتُّ
سمعتُ العقاربَ كيف تَصيءُ ، هديتُ القَطَا في المجاهلِ ـ
مُتُّ ، انْحنيتُ على الأرض أكثرَ صبراً من الأرض ـ مُتُّ
انْكَبَبْتُ على كاهل الريحِ
صَلّيتُ
وَشوَشْتُ حتّى الحجارْ
وقرأتُ النّجومَ ، كتبت عناوينَها ومحوتُ
راسِماً شَهْوتي خريطَهْ
وَدَمي حِبْرُها وأعماقيَ البَسيطَهْ .

ساهرٌ بين جَذْري وأغصانِه والمياه
نَضبتْ ،
والتّوابعُ مملوءةُ الجباهْ
زَهَراً يابساً وقبوراً وديعَهْ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاعدٌ لِبروج التحوّل حيث الفَجيعَهْ
حيث يسّاقَطُ الرّمادُ
حيث يسْتيقظِ النّشيجُ ويَنْطَفِئُ السّندبادُ .

لو أنّني أعرفُ كالشّاعر أن أغيّرَ الفصول
لَو أنّني أعرف أن أكلّمَ الأشياءْ ،
سحرتُ قبرَ الفارسِ الطّفل على الفراتْ
قبر أخي في شاطئ الفرات
(ماتَ بلا غسْلٍ ولا قَبْرٍ ولا صَلاةٍ)
وقلتُ للأشياء والفُصولْ
تواصلي كهذهِ الأجواءْ
مُدّي ليَ الفُراتْ
خَلّيه ماءً دافقاً أخضرَ كالزَّيتونْ
في دَميَ العاشقِ في تاريخيَ المسْنونْ .

لو أنّني أعرف كالشّاعر أن أُشاركَ النّباتْ
أعْراسَهُ ،
قَنّعْتُ هذا الشّجَرَ العاريَ بالأطفالْ ،
لو أنّني أعرفُ كالشّاعر أنْ أُدَجّنَ الغَرابَه
سَوّيتُ كلّ حَجَرٍ سحابَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تُمْطِرُ فوق الشّامِ والفراتْ ،
لو أنّني أعرفُ كالشّاعر أن أغيّر الآجالْ
لو أنّني أعرفُ أن أكونْ
نُبُوءَةً تُنْذِرُ أو علامَهْ ،
لَصِحْتُ يا غمامَهْ
تَكاثَفي وأَمْطِري
باسْميَ فوقَ الشامِ والفراتْ
باللهِ يا غمامَهْ . . .

ألسَّماءُ انفتَحتْ ،
صارَ التّرابْ
كُتباً ، واللهُ في كلّ كتابْ
ساهِرٌ
لم يبق في عيني سَرابْ ، —
عَلامَةٌ تأتي من الفُراتْ :
أنا هُوَ السّاكِنُ في طوقكِ يا حمامَهْ
في سرْبكَ الرّاحلِ يا خَطّافْ
أنا هوَ الواضعُ كالعَرّافْ
رُؤياه والعلامهْ
في الأفْق في لُغَاتِهِ الكثيره
أنا هوَ الفراتُ والجزيرهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علامةً . . .
مَهْلَكَ يا حَنيني . . .
ألصَّقْرُ في باديةِ العروق في مدائنِ السّريرَهْ
ألصَّقْرُ كالهالةِ مرسومٌ على بوّابةِ الجزيرهْ
والصَّقْرُ تَطْريزٌ على عَباءَةِ الصّحراءْ
والصَّقرُ في الحنينِ في الحيرة بين الحلْمِ والبُكاءْ
والصّقرُ في مَتاههِ ، في يأسه الخلاّقْ
يَبْني على الذُّروةِ في نهايةِ الأعماقْ
أندلسَ الأعماقْ
أندلسَ الطّالع من دمشقْ
يحمل للغرب حصادَ الشُّرْقْ .

يكتبُ الصّقرُ للفضاء لمجهولِه السَّخيّ
سائلاً عن مكانٍ ، كشرْيانهِ نَقيّ
يُومئ الصّقرُ للصّقورْ ـ
مُتْعَبٌ ، حمَلتْهُ مَتاهاتُهُ ، حملتهُ الصّخورْ
فحنا فوقها ، يغذّي مَتاهاتِه ويُغذّي الصّخورْ
وجههُ يتقدّمُ والشّمسُ خُوذَتُهُ ،
والفضاءْ
مَوْقدٌ ،
والرِّياحُ عجوزٌ تقصُّ حكاياتها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والصّقورْ
مَوكبٌ يفتَحُ السّماءْ ؛

يرفَعُ كالعاشقِ في تفجّرٍ مَريدْ
في وَلَه الصّبْوةِ والإشراقْ
يرفَعُها لِلكون ـ هذا الهيكلِ الجديدْ
كلُّ فَضَاءٍ باسْمهِ كتابٌ
وكلُّ ريحٍ باسْمهِ نَشيدْ .

(بيروت ، ربيع 1962)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحوّلات الصقر

كادت الفاقة أن تكون كفراً .

حديث شريف

عجبت ممن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه .

أبو ذر الغفاري


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ـ فصل الدمع

هدأت صيحةُ البَراري :
ألغيومُ تَسير على النّخل
تَجنح في آخر النّخل وَرْديّةَ الصّواري ؛

هَدَأَتْ صيحةُ الرّجوعْ :
أسألها ــ دمشقُ لا تُجيبْ
لا تُنقذُ الغريبْ
ــ «هَل مَرّ؟ إن يمرّ
ماتَ بلا صوتٍ هنا أو سِرّ .»

ساكِنٌ حيث تَغفو تُطيل الزّفيرْ
في حقول البُكاءْ
في السّرير الذي فَرشَتْهُ الدّموعْ
في الممرّ الصّغيرْ
بين أجفانها والسّماءْ .

. . . هَدأَتْ صَيْحةُ الرّجوعْ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس في عينيَّ شيءٌ من حياتي
غير أشباحٍ حزينه
غيرَ أنَّ الشَّجَرَ الباكي على أرض المدينَه
عاشقٌ يسكن قلبي ويغنّي أغنياتي ؛ —

يا مرايا الضّياعِ الطّويلْ
غَيّري صورة القمَرْ
لم يَعدْ وجهها هناكْ
أمس كنّا على القَمَرْ
فرأيناه عارياً
ورأيناه في الثّيابْ
وصُعِقْنا من النّظَرْ :
كان وجهاً من التّرابْ .
غَيّري صورة القمَرْ
لم يعد وجهها هناكْ
يا مرايا الضّياعِ الطّويلْ . . .

هدأتْ صَيحةُ الرجوعْ :

أمضي ويَمْضي معيَ الفُراتْ
تَتبعني الأشجارُ كالرّاياتْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تَتبعني عينان من مجامر السّنين ـ
أرقصُ في خواصر التّنينْ
مع نجمةٍ سوداءْ .

غيرَ أنَّ الصّواري
نغَمٌ جارحُ القرارِ :
«إن جسمي ومالكيهِ بأرضٍ
وفؤادي ومالكيهِ بأرضِ»(١) .
هَدأَت صَيحة الرّجوعْ
غير أنَّ الصّواري وطنٌ لِلدّموعْ :
« . . . ولَو انَّها عقلت ، إذن لَبكَتْ
ماءَ الفراتِ ومنبتَ النّخْلِ»(٢) .

هدأَت صيحة الرّجوعْ :
حائِرٌ حائرٌ ، ولي لغةٌ تهدر مخنوقَةً ولي أَبراجُ
حائِرٌ أصلبُ النّهارَ ويُغويني رعبٌ في صُلْبهِ وهياجُ
حائِرٌ تأخذ الشواطئُ ميراثي وتحمي صباحيَ الأمواجُ ،

. . . «غنيتُ عن روضٍ وقصرٍ شاهقِ
بالقَفْر ، والإيطانِ في السُّرادقِ
فقل لمن نامَ على النّمارقِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّ العُلى شُدّت بهَمٍّ طارق
فاركبْ إليها شَبَح المضايقِ
أوْلا ، فأنتَ أرذلُ الخلائقِ»[٣] .

هدأتْ صيحة الرجوعْ :
طاغٍ ، أُدَحْرِجُ تاريخي وأذبحهُ
على يديَّ ، وأحييهِ ،
ولي زمَنٌ أقودهُ ، وصباحَاتٌ أُعذّبها
أُعْطي لها اللّيل ، أُعطيها السّرابَ ، ولي
ظِلٌّ ملأتُ به أَرْضي
يطولُ ، يرى ، يَخْضَرُّ ، يحرقُ ماضيه ويحترقُ
مِثلي
ونحيا معاً نمشي معاً وعلى
شِفاهِنا لُغَةٌ خضراءُ واحدةٌ
لكن أمامَ الضّحى والموتِ نفترقُ .

هدأت صيحة الرّجوعْ :
أحلمُ يا دمشقْ
بالرّعب في ظلالِ قاسيونْ
بِالزمنِ الماضي بلا عيونْ
بالجسدِ اليابسِ ، بالمقابرِ الخَرْساءْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تَصيحُ : يا دمشقْ
موتي هنا واحترقي وعودي
تَصيح : لا ، مُوتي ولا تَعودي
أيّتها الطّريدةُ المليئةُ الفخذين يا دمشْقْ .
يا امْرأةً منذورةً لكلِّ من يَجيءْ
للحظِّ ، أو للعابرِ الجَريءْ
ترقدُ في حُمّى وفي ارتخاءْ
تحت ذراعِ الشّرقْ
رسمتُ عينيكِ على كتابي
حملتُ ميراثكِ في شبابي
في الغُوطةِ الخضراء في سفوحِ قاسيونْ
يا امرأةً للوحلِ والخطيئَهْ
أيّتها الغواية المضيئَهْ
يا بَلَداً كان اسمُهُ دمشقْ . . .

أمسِ ،
أنا والشّعرُ والنّهارْ
جئنا إلى الغوطةِ واقتحمْنا
بَوابَةَ الرّجاءْ
نَستَصرِخُ الأشجارْ
نَسْتصرِخُ الحقولَ والمياه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ننسج منها رايةً وجيشاً
نغزو به سَماءكِ السّوداءْ
ولم نَزَلْ ننسج يا دمشقْ
لا الموتُ يُلهينا ولا سواهْ
أنّى لنا الموتُ أو الرّاحةُ يا دمشقْ؟

وأمسِ في نوميَ يا دمشقْ
سَوّيتُ تمثالاً من الصّلصالْ
حفرتُ في خطوطه البيضاءْ
تاريخكِ الأسودَ يا دمشقْ
ورحتُ في رُعْبٍ وفي ابْتهال
أسقط كالزّلزال
على روابي جلّقَ الجميلَهْ
أحضنُها أضربها أغنّي ــ هاها هَلا هَلالْ
وقلتُ : لا ، فلْتَبْقَ في حنيني
وفي دمي دمشْق
وقلتُ : لا ، فَلْتَحترقْ دمشْق
واسْتيقظَتْ أعماقيَ القتيلهْ
مَذعورةً تصيحُ : وَادمشْقْ . . .
يا امْرأةَ الرّفضِ بلا يَقينْ
يا امرأةَ القَبُولْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا امرأةَ الضّوضاءِ والذّهولْ
يا امْرأةً مليئةَ العروق بالغاباتِ والوحولْ
أيّتها العاريةُ الضّائعة الفخذين يا دمشقْ ،
تُصْغين للموتى وللقبور والتّكايا
تُصْغِين في خُشوعْ
وَتَعشقينَ الجُثَثَ الصفراءَ والضّحايا
وتأكلينَ الطّينَ والدموعْ
أيّتها المنهومَةُ القاضمةُ القشور يا دمشق . . .

يا حُبُّ ، لا . . .
عفوكِ يا دمشقْ
لولاكِ ، لم أهبطْ إلى الأغوارْ
لم أهدم الأسوارْ ،
لم أعرفِ النّارَ التي تُنادي
تَضجُّ في تاريخنا ، تُضيءْ
سفينَةَ الكونِ الذي يجيءْ ؛
عفوَكِ يا دمشق
أيّتها الخاطئة القدّيسة الخطايا . . .

١ ، ٢ ، ٣ أبيات تنسب إلى صقر قريش ، (عبد الرحمن الداخل) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ فصل الصعود إلى أبراج الموت

مَرّ عليَّ اللّهَبُ الطّالع بعد الرّجْمْ
وَالْتحمت في خَطْويَ الجُسورْ
أَعرفُ أن أجريَ مثل الماءْ
في رئَةِ الصحراءْ
أعرف بعد الآن أن أغيّر العصورْ
أن أمزجَ العصورَ بالعصورْ
أعرف أن أعيدَها
قصيدةً أو ثورةً أو حلمْ . . .

أَسرعي يا سَحابهْ
أيّ أغنيّة تُنشدينْ؟
أَسرعي أَسرعي يا سَحابهْ
ما الذي تحملينْ
أيّ جبّانَة أو ربابَه؟

ألمح نهراً يُسافرُ، يكبو وينهض في رأسيَ البعيدِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشقاً يتقصّى زُوَايَا
جالباً آخذاً بريدي
حفرته المسافَةُ بيني وبين خُطايا . . .

خيمتي زوجةٌ تلينُ كأطرافي
وتحنو ، وتنحني ، وتضيقُ
صَدِئتْ ، والبريقُ
حجرٌ جالِس على طَرَف الوجه نبيٌّ لدمعهِ وصديقُ .

ما الذي تحملينْ
أيّ أغنيّة تنشدين؟
أَسْرِعي أسْرِعي يا سحابَه . . .
جَسَدي ضائعٌ ، صار قبريَ كالخيط في كُفّةِ العَباءهْ
في الدُّجى ،
والشُّباك التي تَتصيَّدُ أشباحَه ، وَوَهْم الإضاءه .

أسمعُ صوتاً يجرّ على الرّمل أيّامه الثّقيلَهْ
أسمع أحلامَه القتيله
كلّ حلْم قبيلهْ
والخيامُ حناجرُ مشدودةٌ والحِبالُ صَلاةُ :
ــ «عَلّقينا هنالك ، بالنَخل بالعُشب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث الحياةُ
وَارْبطينا إلى الماءِ . . .
ـ «لا ماءَ ، لا عاصمٌ ، والنبيّون ماتوا» .
أَسمعُ تحتَ المناديل بين الرُّكامْ
في الضّحى ، في انكسار السّماء على الأرض ،
في دَرجاتِ الظّلامْ
وَهْي تعلو وتَسقطُ ، بين المدينة والشّمسِ ،
بين الصّدى والأنينْ
أسمعُ مثلَ الحنينْ
مثلَ نبْضِ اللّيونةِ في صخرةٍ لا تلينْ
مثلَ دَفْق الينابيع مثلَ الكلامْ :
ـ «نحن يا جائعُ كنّا مُتْخَمينْ
لم يكن موكبنا يمشي وراءَكْ
لم يكفّنْكَ ولا صلّى عليكْ
نحن يا جائعُ لم نسمع نداءكْ . . .
نحن صرنا جائعينْ
فتقبّلْنا لديكْ ،
أمس ، عدنا مُتعبينْ
فارتمينا وتوسّدنا السّنينْ
وحلمنا ،
ورأينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَنّنا في الحلم صلّينا عليكْ . . .»

ألمحُ نفسي هنالكَ في آخر الرّصيفِ ـ
جسدي حُفرةٌ خاويهْ
أعرف نفسي هنالك في شَهْوةٍ ضاريه
في جبينٍ تعوّجَ فوقَ الرغيفِ ،
أعرف نفسي هنالكَ في طفلةٍ قتيلهْ
في السّعال المدوّر والرِئة المستطيلَهْ
حاملاً صخرة المدينهْ
ماثلاً كالقَناطر في قُبّة المدينهْ
غامراً أنّةَ المدينهْ :
«أسمعُ صمتَ الدّهرْ
يحملُ أكفانَ الرؤى ويغسل الجفونْ
يَزرع أشجاراً بلا غصونْ
حول ضفاف العُمْر» .
وهنا ، بين الشّقوقْ
فارسٌ يُسرج عينيهِ على ضوء العروقْ
يحضن الأرض ويستسلمُ للأرض ويغفو
مثلما تَسْتسلم النّخلةُ للأرض وتغفو
في عباءاتِ الفَضاءْ
مَطَراً يأتي وواحاتِ رَجاءْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعرفُ ـ صارَتْ يداكْ
خيمةً تتموّجُ كالغيم شفّافة السّماءْ
أعرفُ ـ صار الفضاءْ
وَرَقاً أخضراً يتطايَرُ في بيتكَ الغريبْ
فأنا مِن هناكْ
أيّها الجائعُ الغريبْ
ماتَ صوتي هناكْ
عاش صوتي هناكْ
كان صوتي نبيّاً رميتُ على شمسه ردائي
كان شمساً من الدّمع مجروحةً ورائي . . .

تائهٌ؟ كيفَ؟
هاتِ صدرَكَ ، يا تائهُ ، واسْتمهل المدى والمسافَهْ
فَرشَت طفلتي لك الحلمَ والنّخْلَ وغزلانَهُ
وعنْقَ الزّرافَهْ
وروى حلمُها لجوعكَ ، وقتَ النوْم ،
أسطورة الجفون القصيرهْ
حيثُ تغفو ولا تَنامُ
وتُسْتَنْفَرُ في صَدْركَ الرياحُ الأسيره . . .

للرّوابي نَارٌ ، وللنّخل أوتارٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي اللّيل صَهْوةُ المعراج
حيث تَصّاعد الخُطى
ويصيرُ الحلم لوناً في سُلّمِ الأبراجِ
ويطول البحرُ القصيرُ
وتهوي الرّوحُ في جاذبيّةِ الأمواجِ .
علامَةٌ :
«لي فَرَسٌ . . . وها هوَ الإسراء» .
علامَةٌ :
من أوّل الزّمانِ ـ
«مِن ساحرٍ يأتي بلا دخان
من حَجَرٍ يصيرُ ياسمينَهْ
يحبل صمتُ الأرض بالأغاني
وتُولَدُ المدينه» .

كانَ أنْ نَوّر النّخيلُ وأثمرَ في صَرَخاتي
حيث لاقانيَ الخضر ، صلّى صَلاتي
حيث تجتاحني كلماتي ،
كان أن صارتِ الجِرارْ
لغةَ الماء والعيونْ
كان أن أصبحَ الجنونْ
فَرَساً لِلنّهارْ ؛ ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلّ شيءٍ يُسافر بين السّنابلِ
يحمل أسرارَهُ ، يَسْتديرْ
خَشِناً ، طيّباً كالرّغيفْ ،
كلّ شيءٍ يسافرُ بين السّنابل
يهجرُ تاريخَهُ الأليفْ
كلّ شيءٍ يَصيرْ
نَوْرساً يَتموّج حول المياه العميقَهْ
في مَدَى بَحْري الكبيرْ ــ
بَحْر أحلاميَ الصَديقَهْ .

تائهٌ؟ كيف؟
هاتِ صدرَكَ ، يا تائهُ ، واسْتعجل المدى والمسافَهْ
فَرَشَتْ أرضُنا لكَ الحلمَ
والنّخلَ وغزلانهُ
وعنْقَ الزرافَهْ :
حانَ ميعادُنا ، والتّلالُ
لبستْ خُفّها ، سَبقتْنا التّلالُ .

تحتَ موج المدينهْ
قمقمٌ أخْضَرٌ فَرشَتْهُ الرّياحْ
ملكُوتاً ، ونامَتْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوق ريش النّهارْ
صار وجهي سوارْ
للمدى ، لِلسّفينه
لِلشّطوط الحزينه ،
طابَ ، طابَ الرّجوعْ
لبلاد الحصون الأمينه :
نَهَضت قبلَنا الرّياحْ
وَجرارُ الدّموعْ
غَسَلت جَبْهةَ الصّباحْ .

سأغنّي هناكْ
سيكونُ قناعي غريباً :
يداي َ طريقٌ وقوسان ،
رأسيَ نَهْرٌ
وَوَجْهي جزيرهْ
سأصيرُ حبيباً يُغامِرُ ، أو عاشقاً مَلاكْ
سحرتْهُ الأميره .

مَنْ يُريد طريقاً من البَرْق ،
من يَشْتَهي السّماءْ
وهْي حُبلى بأحلامِه ، والطّريقُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فَرَسٌ حَولها يدورْ :
مِنا هُنا تبدأ الطَّريقُ
مِن هنا يبدأُ العبورْ
مَن يريد طريقاً مِن البرق ، مَن منكمُ الرِّفيقُ؟

حانَ ميعادُنا ،
مَن يلمُّ البُقولْ
مَن يهزّ الغصونَ الخفيّهْ
في سُهول الرّؤى ويجرّ الخيولْ
من بُحيراتها القصيّه
نَهَراً مُوحِشَ الرحيل أنيساً إلى الرّحيلْ؟
مَن يُقيم على البلْح داراً ويلبسُ كوفيّة النّخيل؟

حانَ ميعادُنا ، والتّلالُ
لبست خُفَّها ، سبقتْنا التّلالُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ فصل الصورة القديمة

زمَنٌ يَنتهي ، وخيولٌ من الفجر محلولةُ الشّكيمهْ
ترسمُ الصّورةَ القديمه
لأحبّائيَ الحيارَى
في الضّفاف الحزينة في آخر الصّحارى ، ـ
آه يا شكليَ القديمْ
كيف يأتي ، يعود الغريبُ إلى شكله القديمْ؟
وبأيّ اللّغاتْ
سأحيّي الفراتْ ـ
ألسّريرَ الذي هزّني وسقانيَ من مائه الكريمْ؟

سأشقّ عروقي
نَهَراً يحمل الفَضاءْ
سأدورُ مع الكوكب المغرّبِ أو جمرة الشّروقِ
لابساً قامةَ الهواءْ
وأعود إلى نصفيَ المقيمْ
في الضّفاف الحزينة في آخر الصّحارى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَعطني أن أغنّيَ أحبابيَ الحيارى
أَعطني أن ألفّ حياتي
وَرَقاً ،
أن أسيرا
في جُذُور الرّمادْ
أعْطني أن أكاشف هذي العصافيرَ هذا الجمادْ
أَعْطني أن أكون الحصى والحريرا .

في زَمَن اللّيْلَكِ والسّنونو والنّورس العاشق والأعيادْ
جئتُ إلى بغدادْ
على بساطٍ جامحٍ وديعْ
كانت حقول العشب والنّباتْ
كانت رمال الماء والصّحراءْ
والسّفُن الزنجيّة العينين في الفراتْ
حنْجرةً خضراءْ
تَسْتَقبل الآتي بلا تخومْ
في موكب الأمطار والغيومْ
من جهة الأرض ، من الرّبيعْ . . .

أقرعُ أجراسَ الدّم الخفيّ
تحت رداء الأرضْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصعدُ في المشاعل المقيمهْ
تحت جليد الرّفضْ
أجري مع الفراتْ
في زمنٍ سحريّ
من منبع الطّفولةِ القديمةِ الشّيخوخةِ القديمه .

كلّ دَم الفراتْ
في جسدي يجري وفي حنيني
وها أنا أزنّرُ السّهولْ
أسهرُ في الأكواخ والحقولْ
أشدّ بالصّيفِ يدَ الشتاءْ
أسيلُ أحلاماً على التّرابْ
لا سَفَرٌ فيها ولا غيابْ
أسيلُ طوفاناً من البقاءْ
أطردُ عن شواطئي
بحّارة الرّحيلْ
أهبط في أغواريَ الزّرقاء في أُرومَةِ القرابَه
أبحث عن بديلْ ـ
أبحثُ عن بَوّابَةِ الغرابَهْ .
جئتُ إلى بَغْدادْ
في سَعَفِ النّخل وماء النّهْر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في رئة العُصفورْ

ثَمّةَ سَجّانٌ من الدماءْ
تحرسهُ التّيجانْ
يحرسُ أقفاصاً من الرؤوسْ
من جُزُر الأحلام والبُكاءْ ؛
حَبِيبتُها ، ملأتُ أغنياتي
باللّهَبِ الأرضيِّ بالفؤوسْ
ورحتُ مسحوراً ، بغيرِ سحْرٍ ،
أخْتَرقُ السّجانْ
أَقْتحمُ المدافِنَ الطّويلهْ
أدخلُ في الأقفاص في أبعادها النّحيله
أشعل غاباتٍ بلا نهايهْ . . .
جئتُ إلى بغدادْ
في سَعَف النّخل وماء النّهرْ
في رئة العُصفُورْ
كان أبو تَمّامْ
مشتعلاً كالجمْرْ
خلف شتاء اللّيل والأحلامْ
يكتب أغنيّه
بالقصب المكسورْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنجمة الميلادْ
عن رحلة الصّيفِ الشّتائيّةْ
سوداء سحريّه
تحيّةَ الآتي إلى بغدادْ .

لم يكن في الشّوارع ، في الماء بين القبورْ
غيرُ صَمْت القيامَةْ
ورأيتُ النواسيَّ يَهْذي ويحضن قارورةَ الكيمياءْ
مُؤذناً بالعبورْ :
«كلّ رمحٍ حمامَةْ
كلّ أرضٍ سماءْ»
وسمعتُ النواسيَّ مستطرداً كلامَهْ
حارِقاً غابةَ السّكينهْ :

ذات يومٍ ،
تصيرُ القصائدُ بوّابةَ المدينَةْ
نحو أرض الغرابَةْ
وتصيرُ الغرابَةْ
وطنَ الأنبياءْ ،
ذاتَ يومٍ ،
تسيرُ النجومُ على الأرض مثلَ النّساءْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جئتُ إلى بغدادْ
أخطو على بِساطٍ
بين خيوط الماء والأشجارْ
أسيرُ في أغواريَ البعيدَه
ألبسُ وجهَ النّارْ
أستنطِقُ الأرضَ الفراتيّةْ ـ
حَكَى ليَ الفراتْ
ما قَرَأ العشبُ وما رَواهْ
عن سَفَر الأنهار والرّعاةْ
حكى ليَ الفراتْ
عن كلّ ما رآهْ . . .
أسمع في الأحجارْ
أغنيّة الفُصولْ
أَسمع ما تقولْ
تلك السّحابات الرّماديّةْ . . .

ورأيتُ الحشودَ الفقيره
جُللّت كالضّفيره
وقرأنا ، كتبنا معاً ، وعرفْنا
أَنّنا المالكون اليتامى
وصرخْنا ، جعلنا مقابرَ آبائِنا ، وجعلنا الأيَامى

وبراكينَنا السّجينَهْ
نَهَراً يغسل المدينَهْ . . .
وركضنا إلى العشبِ ، نُصغي إليهْ
ساحِراً ، باسطاً يَديهْ
طالِعاً من شقوق التّراب نقيّ الكلامْ
وعرفنا من العشب أنّ الطّبيعهْ
سَتقيمُ السّلامْ
بين أطفالنا والفجيعَهْ

ستكون شرايينُهم كالجذورْ
وتشقّ الصّقيعْ
وتصيرُ جبالاً من الضّوء ورديّة الجُسورْ
تصل الموتَ بالرّبيعْ
وتقومُ البذورْ
وتقومُ الصّلاةْ
في رواقٍ على النّيل يَسمَعُ تسبيحةَ الفراتْ . . .

أَلزّمنُ اخضرّ ، نما ، وَطالْ
أورقَ في الجُدران والحصونْ
أَلزّمن الأنهارُ والتّلالْ
والزّمَنُ العيونْ :

قاماتُ أشجارٍ ربيعيّهْ
في غابَةِ الروحِ الفراتيّهْ . . .

ألزّمن السّيفُ هديرُ الموتْ
نهرٌ من الأضاحي
نهرٌ من الأثداءِ والجرارْ
يغسل وجه الموتْ
والكفنَ العاشقَ والأحزانْ
يغسلُ بالموتِ وعِطْر الموتْ
فاتحةَ القول : رنينَ الصّوتْ
في لغة الإنسانْ .

أَلزَّمَنُ استيقظَ والنّهارْ
يصرخ بالأغصان والجذورْ
يصرخ : جاءَ الشّعرْ
جاءت سماواتٌ ترابيّهْ
مِن غير هذا الدّهْرْ
خضراء إنسيّهْ :
أَلأفْقُ زنّارٌ من البخورْ
والأرضُ جنّيهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ ــ فصل الأشجار

(مرثيات الصقر وشواهد قبره)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

زرَع الجائعونْ
غابةً للرّجاءْ
صار فيها البكاءْ
شجراً ، والغصونْ
وطَناً للنّساء الحُبالى
وطناً للحصادْ ؛

كلّ غُصنٍ جَنينْ
راقِدٌ في سرير الفضاءْ
أخضراً ساحرَ الأنينْ
فَرّ من غابة الرّمادْ
من بروجِ الفجيعه
حاملاً آهةَ الجائعينْ
شاكياً لِلطّبيعه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

كلّ يوم ،
يموتُ وراء المقاصير طفلٌ ، يموتُ
زارعاً وجههُ في الزّوايا
شبَحاً تتراكض قُدّامَهُ البيوتُ ؛
كلّ يوم ،
يَجيءُ من القبر طيفٌ حَزينْ
عائداً من بلاد المرارة من آخر الأقاصي
ويزور المدينة ــ ساحاتِها والتّكايا
ذائباً كالرّصاصِ .
كلّ يوم ،
تجيء من القفر جنيّة الجائعينْ
وعلى وجهها علامَه ــ
زهرةٌ أو حمامَهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

يجهل أن يزيّنَ السيوف بالأشلاءْ
يجهل كيف تُبرقُ الأنيابْ .
يأتون في نَهْرٍ من الرووس والدّماءْ
ويصعدون الحائطَ القصيرْ
وَهْو وراءَ البابْ –
يحلمُ أن يظلّ كالأطفال خلف البابْ ،
يقرأ فصل الجائع الأخيرْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

سقَطت نَجْمَتانْ
فوق رأسِ الغريبِ المسافرِ ، مَرّت سحابَةْ
فهوَى ، يأخذ التحيّةْ
نخلةٌ تَتَقصّفُ والدّمع يَنْقُشُ أوراقَها الذهبيّةْ :
نَخلةٌ علّمتْها الكآبَةْ
أنّها تُرْجُمانْ
أنها دَفترٌ عَربيٌّ الكتابَةْ
علّمتهُ الكآبه
في سِياج الحدودِ الخفيّةْ
أنّه أوّلُ المكانْ
والرّياحُ البقيّةْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

قلتُ لكَ : استيقظْ ، رأيتُ الماءْ
طفلاً يَسوقُ الرّيحَ والحِجارْ
وقلتُ : تحتَ الماء والثّمارْ
تحت غِشاء القَمحْ
وَسْوسَةً تحلمُ أن تكونْ
أنشودةً للجُرْحْ
في ملكوتِ الجوع والبُكاءْ . . .

إنهضْ ، أناديكَ ، عرفتَ الصّوتْ؟
أنا أخوكَ الخضِرْ
أُسرج مُهْرَ الموتْ
أخلع باب الدّهرْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

لم أحمل الرمحَ ولم أُجَوِّفْ
رأساً ،
وفي الصّيفِ ، وفي الشتاءْ
أرحلُ كالعُصفورْ
في نَهَر الجوع . . . إلى مَصبّهِ المسْحورْ ؛
مملكتي تَلبسُ وَجْهَ الماءْ :
أملكُ في الغيابْ
أملك في الدّهشة والعذابْ
في الصّحْو أو في النّوْءْ
لا فَرْقَ إن دنوتُ أو نأيتْ ـ
مملكتي في الضوءْ
والأرضُ بابُ البيتْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

كان ينادي ، يَجمعُ الهواءْ
يحمل من كلّ فضاءِ عِرْقْ
ينسج للغرب رداءَ الشّرقْ ، ـــ
ينزل عيسى حانياً عليه
أخضرَ كالجُمانْ
ينزلُ في المنارة البيضاءْ
في الجانب الأيمن مِن دِمشقْ
ويقتلُ الشّيطانْ
في الجانب الأيمن من دمشقْ .
وكان ، والسّوادُ في طريقهِ يُضيءْ ،
يُغيّر الأسماءْ
يعشقُ مَن مات ومن يَجيءْ
ويهجر الأحياءْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

خَفٌ ، لاقانِيَ الصباحُ
حَملتْني الرّياحُ
بعد أن راح قبري وودّعتهُ ورجعتُ .
كلّ شيءٍ يعودْ :
في الزُّهور قُضَاةٌ وفي الماء يجتمعُ الوافدونْ ـ
كان بين الشّهودْ
شجَرٌ يتَناسل فيه الأجنّة والميّتونْ
كان بين الحضور الفجيعه .
وسمعتُ الغصونْ
وهي تتلو قوانينَها ، فخشعتُ
ولبستُ الطّبيعهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

عند جيرونَ بابٌ من الوردِ يغتسلُ العابرونْ
بشَذاهُ
عندها خَيمةٌ للجراحِ
عندها غابةٌ لِلصّباح
كلُّ أغصانِها جسورٌ تقْتَفيها العيونْ
نحو عبّارة الرّياح
لصباحٍ سِواهُ . . .
واللّيالي بيوتٌ من الحلم يَرتادُها المتعبونْ
يجرحونَ مزاميرهم ، يقرأونْ
كُتُبَ الماء والغبارْ
يجعلونَ الدّموعَ الأمينه
خَرَزاً وأكاليلَ غَارْ
وعقوداً ، وجرحاً من الوَرْد يغتسلُ العابرونْ
في ينابيعه الحزينه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرة

غُطّيَ بالرّيحانْ ،
بالجزَعِ الشّفّاف ، بالسّريره
بالصّمتِ ،
والتمزّقِ المضيءْ ؛
وقِيلَ : بعدَ القَبْرِ ، شَقّ القبرَ ، ألقى موته وطارْ
يبحثُ عن أمومةٍ
في وطن الإنسانْ ؛
وقيلَ : كانت زوجَةٌ فقيره
هنا وراء التلّةِ الصّغيره
حُبْلى ،
وبين اللّيل والنّهارْ
في الصّمتِ ،
في التمزقِ المضيءْ ،
تنتظر الطّفلَ الذي يَجيءْ .

(أيلول 1963 ـ أيلول 1964)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جنازة امرأة

(مكان على ضفة نهر . قبر مغطى بسقف من القصب . حول القبر ثياب قطنية متعددة الألوان . جمهور نساء ورجال يجلسون بوقار حزين) .

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر ، مشيراً إلى الميت) :

مات َوما حَوْلَهُ
ضَفيرةٌ عالِقَهْ
بالأرض ، محلولةٌ
والأرضُ رمّانَهْ
(صمت ، إلى النساء)
مات ، مَن العاشِقهْ
تلبسُ أجفانَهْ؟

الجوقة (غير منظورة) :

ألموتُ وجهُ شاعرٍ ، أو كَلِمَهْ
مَنْذورةٌ للأرضْ
ألموتُ حضنُ عاشقٍ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتَمتمهْ
أنّيَ في عروقِه
قصيدةٌ أو نبضْ .

(صمت . يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها . تنهض امرأة سمراء . تنهض معها امرأتان ــ سوداء وصفراء) .

المرأة السمراء : أنتظرُ
والليْلُ تحْتَ جسَدي ينْكَسِرُ ،
والنّخلُ في جدائلي ،
والمَطرُ
عينان تقْرآنِ لي
أوائلَ الفُصولِ . . .
(صمت . تحدق في الوجوه)
كان ورَقُ النّخيلْ
يَمتدُّ كالغطاءْ
كان قميصاً أحمرَ السّماءْ
وقلتُ : هذا زمنٌ يميلْ
نَحوي . . . وقلتُ . . .
الرجل الأسود (بسرعة وخشوع) :
اشتَعلتْ يَداهُ
تَلفّتي ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأيتُ جمرتينْ
أَصغي ،
فكلّ عشبَةٍ صَدَاهُ
سمِعْتِ؟
هاتي يدكِ اتبَعيني
لم يَبْقَ غيرُ الموتِ ، غير حلْمٍ ،
وَغَيرُ خطوتَينْ .

(يتقدم نحوها ، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة ، برفقة المرأتين السوداء والصفراء . تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن . يتركهن الرّجل الأسود ويعود إلى مكانه . تأتي المرأة السوداء بإناء مليء بالماء . تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة السّمراء ، بشكلٍ طقوسيّ مهيب) .

المرأة السمراء (بما يشبه الحلم) :

كوكَبٌ يرتمي عليّ ،
أنا الزّهْرَةُ مخْتومةٌ ،
أنا النّارُ ، والموتُ عَشيقٌ
كشهْوتي مَسْنُونٌ
وتَفَتّحْتُ ، يطلعُ المَوتُ في نهديّ ــ
وجهي سحابَةٌ
ومراياي بُروقٌ وَرْديّةٌ وغُصونٌ .

الجمهور (بإيقاع) :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تَفتّحي في كَلِمَةْ
بادئةٍ كالفَتْحْ
مَسْنونَةٍ كالرُمْحْ .
تموّجي
تَهدّجي كالصوتْ
غامرةً كالله أو جامحةً كالموتْ . . .

(تنهض المرأة السمراء . ترافقها المرأتان السوداء والصفراء نحو قبة . تدخل القبة . ينغلق بابها . تنتظرها المرأتان على طرفي القبة . موسيقى موت وحب تستمر طول بقاء المرأة السوداء داخل القبة) .

صوت المرأة السمراء (داخل القبة) :
في كَلِمهْ
أُشْعِلُ تَحت سقفها حريقي
أبدأ تحت سقفها طريقي
مَسْنونةٍ كالرَمْحْ
سَمَيْتُها الفجيعه ،
أسكُنُ
حتّى تَنْزفَ الطّبيعهْ
في جسَدي كالجُرحْ ،
كالموتِ نَسْلِ الزّمنِ الصّديقِ
الجمهور (مردداً) :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالمَوْتِ نَسْلِ الزّمنِ الصّديقِ
كالمَوتِ نَسْلِ الزمنِ الصديق .

صوت آخر (داخل القبة) :

أَلجُرحُ شَهيّةْ
حُبّكِ مَفتوحٌ كالجرحْ

الجمهور (مردّداً بإيقاع ترتيليّ) :

أَلحبُّ صبيّةْ
أَلحبُّ جناحْ
جاءَ اليوم إلينا
دَخَلَ المَسرَحَ غنّى باحْ
كانَ المشهدُ غُصناً يُورِقُ . . .
غَنّى رَاحْ
في عَرَباتِ النّارْ
وَغَداً يأتينا
كالوجهِ ، فضاءً مفتوحاً
كالموت ، ستارْ .
(تتوقف الموسيقى)

الصوت الآخر (داخل القبة) :

جرحكِ ترتيلةٌ
للمدن المحروقةِ الخاليةْ
ذبيحةٌ عاليةْ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(تخرج المرأة السّمراء بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها المرأتان السّوداء والصفراء . في هذه اللّحظة يبدو زورق خشبي على ضفة النهر ، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة . في الزورق سرير تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان . العجوز امرأة مهيبة ، ضخمة عابسة ، تقف عند رأس السرير .

يبدو في مكانٍ آخر أشخاص يحفرون في الأرض ، ثم يخرجون جسماً ملفوفاً بقماش أسود ، وجرّة ومزماراً قصبياً .

يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة ، بعد أن يرفع عنه الغطاء الأسود ، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفاً أحمر وقلنسوة مقصّبة . يوضع فوق السرير ويُسنَدُ بالوسائد) .

هاتوا كُتُباً . . . أقلاماً

(يجيء الحضور يكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجوز : هاتوا وَرَقاً . . .

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق) .

العجوز : عُشْباً ويمامَةْ . . .

(يجيء بعض الحضور بيمامة يذبحها فوق الميت ويلقيها بين يديه ، ثم يرمي آخر غصن خشخاش) .

العجوز : ولْيَبْقَ الحبُّ علامةْ .

(ترسم على جبين المرأة السمراء علامة الحب . يحمل المرأة السمراء أربعة رجال يرفعونها على راحاتهم وينزلونها ثلاث مرات . ثم يرفعونها إلى أعلى ما يمكنهم . تبدو كأنها ترى رؤيا) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المرأة السمراء (كأنها ترى رؤيا . ترتل) :

أقفاصٌ تعلو
تعبُر في غاباتِ الصّوتْ
في الأفكار وفي الأشياء
ألصّخرةُ ماءْ
والأعضاءُ شتاءٌ باردْ
والحبُّ نوارسُ ليليّهْ
تَتَناسَلُ في أعشاشِ الموتْ
ولِباسٌ واحِدْ .

(ينزلونها . تخلع سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز) :

عطيّةٌ من الجسَدْ
تَلْتَفُّ كالسّوار حولَ الرّوحْ .

العجوز (تنحني وهي تتناولهما) :

. . . .

(تنزع المرأة السّمراء خلخالين)

المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء) :

رسالةٌ
تصير في عينيكِ أحلاماً
ترميكِ في متاهٍ
كالقلب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لن تضيعي فيه ، ولن تعودي .

المرأة السوداء (تنحني وهي تتناوله) :

. . . .

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء) :

وَطَنٌ كالخَتْمْ

يسكنُ حولَ الفَخْذِ ،

سجينَ الحلْمْ

سَجّانَ اليقظَةْ .

المرأة الصفراء (تنحني وهي تتناوله) :

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزورق ، بعد أن يقبّلها كل منهم . تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها . تناولها كأساً ثانية تشربها . تأمرها بالدخول تحت القبة في الزّورق حيث يتمدد العاشق الميت . يبتعد الجميع . تأخذ العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق . يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والخبز . الزورق يشتعل وهو يبتعد جارياً على صفحة النهر . الجميع ينشدون) .

الجوقة (جميع الحضور) :

دَخَلتْ في مقام الحريقْ

أللّيالي شموعٌ

ومزاميرُها طريقْ .

صارَ وجهُ الأثيرْ

وَطَنَ العاشِقَيْنْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سَيَّجَتْهُ العيونْ
بالصدى ، بالسكونْ
بضِفافِ اليدينْ
ورمت كوكبينْ
بين رأسيهما والسّريرْ .

(فيما يختفي الزورق ، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء ، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة ، ويرددون جميعاً بصوت هادئ إيقاعي) .

ألَموت جَناحْ
دخل المسرحَ ـ غنّى راحْ
مبحوحَ النَّبرةِ ، مجروحا
وسيأتينا
في عَرباتِ النّارْ
كالحبِّ ،
سِوارْ
كالشّمس ،
فضاءً مفتوحا . . .

الجوقة (غير منظورة ، وبعد أن ينطفئ ضوء المسرح) :
تبدأ من جنازة امرأةْ
تصعدُ كالقربان في مجامر العيونْ ،
مدينةٌ أحَنُّ منَ مِدفأةْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبدأ من جنازة امرأةْ
أيّامٌ قاسيونْ .
أبدأُ من جنازة امرأةْ ـ
صَرْختيَ الأولى حنينُ كونٍ
تطاولتْ ،
وَانْحفرت كالنَّهْرْ
رأيتها تجري ، ـ
رَأيت صوتي
ينزلُ من ينبوعِه
نحيلاً ،
مهاجراً ،
يقرعُ بابَ الدَّهرْ . . .

(بيروت ، 1966-1968)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرأس والنهر

(جسر قديم . ضفة على النهر تظللها ثلاث أشجار ـ حورة وصفصافتان .

نساء مشوهات يُظن أنهن ممرضات . عجوزان . أم مشوهة وطفلها . ثلاثة شيوخ . شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .

تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

١ـ القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

أَلحرب زريبهْ

غَنمٌ . . .

شيخ (بنبرة من يمزح) :

قالوا

إن الحرب حقيبَهْ

(يصمت . يتابع بشيء من الجد)

لو أنّ الحرب حقيبَهْ

لملأناها

خَرَزاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجلسنا فيها

وصبرنا . . .

شاب (يظن أنه كان جندياً) :

قالوا إن الحرب وسادَهْ

(يتمدد كمن يحاول أن ينام)

وأنا الوسَنُ

شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)

الحربُ وِسادهْ

للموتِ

وعادَهْ

(صمت . يتابع بلهجة غاضبة)

هذا الوَطنُ

زرعٌ

والأيامُ جرادهْ .

أصوات (بعيدة ، مجهولة) :

قوافلٌ سوداءُ مجهولَةٌ

تكمن تحت الماءْ ،

هل أنت ، يا سلالة الآباءْ

تجيءُ في ليلٍ من البهارِ

من توابل الرؤوسْ

والقتلِ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من توابل الغابات والفؤوسْ

هل أنت ، يا سُلالة الأمواجْ
تصعدُ نحو كوكب المجهول ، كالمعراجْ . . .
من أنتِ ، من يجيبني؟ حنيني
نما هنا كَسَرْوة ، وطالْ
وها هو السؤالْ
في جسدي ،
بُحيرةٌ . . .

٢ــ الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة) :
سيجيءُ السيلْ
قبلَ حلول اللّيلْ .
(ما من أحد يهتم . يدخل شخص يحمل ناياً ، يُظن أنه راع) .

الراعي (بلهجة طبيعية) :
حلمتُ أن رأساً
في النّهر . . .
(تقاطعه امرأة ١ ، وتسأله بسخرية ناعمة) .

امرأة ١ : هل سمعتَهُ يغنّي
كرأس أورفيوسْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تذكُر أورفيوسْ؟

الراعي (بلهجة واثقة) :

سمعته يقولْ :

(صمت ، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كانَ النّهرْ

كان حطامُ الزّمن المكسورْ

يُصْهَرُ في تنّورْ

من غضب الأمواج ، كان الجمرْ . . .

(يخرج الراعي)

أصوات (بسخرية قاسية) :

ها ها

رأسٌ محتالْ

ها ها

رأسٌ دجّالْ

(دوي انفجارات بعيدة . موسيقى صاخبة . ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار التالي) .

صوت ١ : في البدء كان خاتمُ الولايَهْ

صوت ٢ : وكان في النّهايهْ

صوت ٣ : في البدء كان النّفطُ والمِنجنيقْ

وزوجةُ البطريقْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت ٢ : في البدء ، كان رأسٌ

يدورُ كالدولابْ

صوت ١ : في البدء ، كانتْ قبّةُ المحرابْ

(صمت . يتابع كأنه في حلم)

دخلتُ تحت قشرها

صعدتُ ــ حينَ عدتُ

رأيت أنّ الشّمس خيزرانةٌ

مورقةٌ تلتفُّ حول بابي .

صوت ٣ : في البدء كانت عُثّةٌ

تبيضُ في ثيابي . . .

(يفرك بيديه الاثنتين صدره وفخذيه . تعود الأصوات الثلاثة فتردد معاً) .

الأصوات الثلاثة (بسخرية خادة) :

ها ها رأسٌ محتالْ

ها ها رأسٌ دجّالْ

(قهقهة ساخرة . أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر ، يحملون أحذيتهم وأمتعتهم وأطفالهم) .

٣ــ القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت . دوي انفجارات بعيدة) .

شيخ ؟ (مستغرباً) :

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امرأة ١ : (ساخرة) :

كيف يغنّي الرأس والإنسان لا يغنّي؟

شاب ١ (متهكماً) :

ألرأسُ لا يسيرُ بل يطيرُ . . .

(صدى صوت يبتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد) :

تسبح عن يسارِه

تركضُ عن يمينهِ

الضفّافْ

والأرضُ وجه امرأةٍ

تطوفُ ، والطّوافْ

تُفاحةٌ . . .

امرأة ١ (تناول حصاة كالتفّاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قربها) :

هذه لحظة الدخول إلى الهُوّةِ المستنيرَهْ

هذه لحظة اللّقاحات والليلة الأخيرهْ . . .

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة . يتمدّدان ويتهامسان) .

شاب ١ (معانقاً امرأة ١) :

لي شهوتي

أن أَشعل النّهدين في أيّاميَ الغريبهْ

أن أعرف الحياةَ لا السّلطانْ

أسهرَ في بستانْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسهرُ فيه قمر الحبيبَهْ

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (فجأة إلى شيخ ٢) :

نزل القمرُ

طَوّف حولَ نوافذنا

وترصَّدنا

كان الموتُ دليلاً

كان الحجَرُ . . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم) :

. . . وسجَد النّجمُ

وكان في يسارِه

قوسٌ

وفي يمينه سَهْمٌ

فسقطَ العدوُّ . . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رَفَّ حولي

جبريلُ ، قال ــ أَبشِرْ

ومَدَّ لي سكّرةً

طعمتُها ،

ولم يزل في فميَ الطّعمُ .

(يحرّك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة منتفخة لفظها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النهر : جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات بعيدة) .

تَقيّأي رملَك يا مدينَهْ
وجهُكِ وجهُ صخرةٍ
والكونُ في وجهكِ مثل دُمَّلِ

(صمت . امرأة تحتضر ، تموت ، يغطيها شخصان ، يحملانها ويخرجان . تتابع الجوقة بإيقاع غاضب) :

أَلقمرُ الشّيخ كتابُ شَرْعٍ
حرقتُه
والزّمنُ انْهدامٌ
في رئتي ، ووجهي
يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبرٍ . . .
تَقيّأي رملَكِ ، يا مدينَهْ .
(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كأنه لم يسمع الجوقة ، متابعاً حديثه الأوّل) :
نادتنيَ الرّمانَهْ ــ
خذني كما تراني
مليئة عريانَهْ
كُلْني . . .
أكلتُ ،
طالتْ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسكرتْ بحبّي

وحملتْ في العام مرّتين . . .

شيخ ١ (يجيبه حالماً) :

حلمتُ ــ

دار الوجدْ

خَطّفني ،

دخلت بيتَ النّارْ

خرجتُ يسّاقَطُ منّي الوَردْ

كأنني آذار أو نوّارْ .

(موسيقى قديمة سحرية)

شاب ١ (إلى امرأة ١) :

نهداكِ ، في نهديك طفلتانْ

واحدةٌ تَموتُ من هزالٍ

واحدةٌ تذوب في قنبله

فلْنكسر الزّمانْ

كالغُصْن ،

إنّ الكونَ بهلوانْ

إنّ إلهَ العالم المقصلَهْ .

(موسيقى غضب وقوة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ـ السيل

(الأم تحتضن طفلها ، منتظرة موته بين لحظة وأخرى . يدخل الراعي مسرعاً) .

الراعي (مخاطباً الجميع) :

ابتعدوا ،

تحرّكوا ،

فالسّيلْ . . .

(يقاطعه صوت ساخراً)

الصوت (مقاطعاً) :

سوف يجيءُ السّيْل

قبلَ حلول اللّيلْ . . .

(يخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة) :

نعرف ، هذا زَمن السّيول

نعرف ، هذا زمن الأفولِ

(صمت . موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمعُ أنَّ آتياً

يغيّر الدروبْ

يَدْهَنُ وجهَ الأرض ، يَسْتبيهِ

ينفخ فيه الدّاءَ والشّحوبْ .

نَسمعُ ـ أيّامٌ من البلّورْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آتيةٌ في السيلِ ،
كلُّ يَوْم
مُبطَّنٌ
كأنه بلقيسٌ ،
أو كأنّه تَيموزْ .
(صمت . الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعرفُ
أفراسٌ ،
وحوشُ ماءٍ ،
تجيءُ في السَّيلِ ،
وفي الضفافْ
تطوفُ غاباتٌ من القُبورْ
وانْتَهتِ الأجيالُ والعصورْ
وما انتهى المطافْ .
(يموت الطفل . تحتضنه الأم)

الأم (بصوت مخنوق) :
يا مَوتُ ،
يا صديقَ الأطفالِ
ضُمَّ طفلي ،
واحملْ له ألعابَهُ ، وأَطبقْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جفنيه كي يحلَم ، كي يراني . . .
أدْخِلْهُ في بلادٍ
جديدةٍ ، يَرودْ
أسرارَها ،
يَبْقى ولا يعودْ .

(تضع الأم طفلها على الأرض ، دون غطاء . تخلع عجوز ١ معطفها الأسود الممزق وتغطيه . يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان . موسيقى جنائزية) .

الجوقة (غير منظورة) :
تفتّحي يا وردة الدماءْ
في جثّة العصفورِ ،
في صبيّةْ
محروقةٍ ، في نَهرِ الأشلاءِ
في الأطفال يُخنقون في السّماءْ
يابسةً كوجهِ مومياءْ
تفتّحي كبذرةٍ خفيّةْ
لدورةِ الفصول ،
تفتّحي
هذا هو اللّقاحُ هذي رعشةُ الحقولْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ـ صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة . أسراب طيور فوق الجسر . يدخل شاب صغير السن أتعبه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر) .

الشاب (صارخاً) :

رأس مهيار يجري . . .

(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة ،لنفسه) :

يخطرُ لي خاطرٌ

وفجأةً ،

أراهُ مرقوماً على ثيابي .

(صمت . لنفسه)

عرفت أنّ موته قريبٌ . . .

الجوقة (غير منظورة) :

رأسه الجُرحُ والنّزيفْ

رأسهُ حولكم يَمامَهْ

تحملُ الأرضَ كالرغيفْ

رأسه حولكم عَلامهْ .

(صمت . موسيقى موت قوية)

مات مهيار ماتْ

مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر النّباتْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثلما يُكْسَرُ القَمر
وتُهَدُّ البيوتُ
مثلما يُطفأ الشَّرَرْ
مثلما تَحضن البراكين أسرارها وتَموتُ . . .

(يسري جو من الرّهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين ، إلا قلة من الشبان) .

شاب (يحتضن زجاجة فارغة) :
أُقيم في همومي
كأنني أقيم في زجاجهْ
مملوءة بِآية البُخار
أعيشُ كالدّجاجَهْ
في حوشيَ المغطّى
بالقَشِّ والغبار .

شاب ٣ (يجلس القرفصاء محركاً التراب) :
أبحث في مملكة الرّمادِ
عن وجهك المدفون ، يا بلادي

شاب ٤ (بغضب) :
كيف تُكَمُّ الشّمسُ عن عيوننا
وتُوصَدُ الأبوابْ
أمامنا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل نحن من سُلالة اليقطينِ
أم سلالة اللّبلابْ؟

الجوقة (بما يشبه الترتيل) :
لأنّ في أعماقِنا بقيَّةْ
من خَدَرِ التّاريخ ،
من غِيلانِه الخفيّةْ
ماتَ ،
لأنّ العالَم اغتصابٌ
وأرضَنا ضحيّةْ .
(صمت . موسيقى هادئة)
صوتٌ من الماء ، يقول الصّوتْ :
ماتَ لكي ينهيَ عهدَ الموتْ . . .

شاب ٥ (بشيء من التمرد اليائس) :
من أينَ؟ كيفَ نفتدي ، نُعاني
تفتّتَ الإنسان أو تفتّتَ المكانِ
وأرضُنا تَجرّ ناهديها
كخرْقةٍ .

الجوقة (بترتيل) :
صوتٌ من الماء ، يقول الصوتْ :
ماتَ
لكي يُنهيَ عهدَ الموتْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(موسيقى هادئة . أسراب طيور فوق الجسر . جثث تنقل من ضفة إلى ضفة) .

الأم : زَمنُ الموتِ يبدأُ
أين أرمي خطايَ ، أشردُ ، أم أين ألجأُ؟
لا زَماني زمانٌ ،
ولـم يبقَ مرفأُ .
(تبكي)

امرأة ٢ (حاضنة الشاب ١) :
لون صدري جزيرةٌ
لونُ ثديي مرجلُ
لك عيناي مرفأً
لك فخذايَ جدولُ
والغبارُ الذي يلفّ ذراعيك مُخملُ
لي بلادٌ ومُخملُ . . .

الشاب (فيما يطوق خصرها) :
خصركِ لي نموذجٌ وصورةٌ .

(موسيقى جنسية صاخبة . تهدأ الموسيقى ، فيسمع من بعيد صوت يخرج من ماء النهر ، يظنّ أنه صوت الرأس) .

الرأس (صوت بعيد) :
ليس صوتي إلهاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس صوتي نبيّاً . . .
صوتيَ النّارُ والنّفيرْ
صوتيَ الصّاعق المزلزل ، والطّالعُ البَشيرْ .

الجوقة (غير منظورة) :
وجه مهيار في الماء يسطع كالجوهرهْ
لم يعدْ غيرَ صوتٍ
والحقولُ المزامير ، والنّهَرُ الحنجرهْ .

أصوات (بسخرية) :
ها ها
رأسٌ يسرقُ مُلكَ النّاسْ
يهذي
ها ها
رأسُ الخنّاس الوسواسْ . . .

الرأس (صوته يقترب شيئاً فشيئاً) :
أصواتكم حصارٌ
لكنني محصّنٌ بصوتي
محرّرٌ
برفضيَ البارئ ، بانفجاري
كأنيَ المهَبُّ أو كأنّيَ البركانْ
باسْمِ الغد الصّديق ،
باسم كوكَبٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمّيتهُ الإنسانْ .
(صمت)
وكان موتي عشبةً
في الماء ، مثل طفلةٍ من زَهر اللّوتَس
مثلَ نَوْرسٍ يعرف أن يكونْ
زنبقةً بيضاءَ ، قوسَ قزحٍ
يحبّ أن يكونْ
كالبَحر ، نبضاً سيّداً
وغابةْ
من فرحٍ كالموج ، من كآبَةْ
ترقد تحت شجر الصفصاف مثل طفلةٍ .
وكان موتي طائراً
حَوَّم في خميلة الغرابَةْ
وطارَ ،
صار نَهَراً يفيض ، صار رأساً . . .
وكان موتي لاجئاً
في فجوة الزمان ، كان لاجئاً
يُضيءُ مثل كوكبٍ يُضيءْ
وكان موتي الوعدَ والمجيءْ .

الجوقة (غير منظورة) :
مُدَّ لنا يديكْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفرغْ لنا تاريخك الملآنْ
نلمحُ في عينيكْ
من دمنا
ناعورةً ونبعْ
يا وطناً عطشانْ
يا وطناً ممتلئاً بالدّمعْ . . .

الرأس (وحده) :
أُثقبوا جبهتي قيّدوني
وخذوا حربةً وانحروني
مزّقوني كُلوني
واقرأوا كيمياء المدينَهْ
بين أشلائي الأمينَهْ .

الجوقة (غير منظورة) :
جَسَدٌ مغروسٌ في البريّهْ
والنّهر دَمٌ والموجةُ نورْ
جسَدٌ هدّته الحرّيهْ
جسدٌ تبنيه الحرّيهْ . . .

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحزناً) :
صانعٌ غيركم أصدقاءَ
صانعٌ غيركم فضاءَ . . .

الجوقة (غير منظورة) :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فارسٌ ،
يا عرّاف الحبّ ، لأيّ مكانْ
تمضي؟
خُذْنا ، خذنا . . .
ألدّنيا سَرْجٌ يدعونا
والنّهرُ حِصانْ .

(موسيقى سريعة هادرة . ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم . يحاولون أن ينجوا ، لكنهم يعجزون ، ويجرفهم . فيما تغيّبهم أمواجه يبدو الرأس جارياً على صفحة النهر كأنه جزء من الماء) .

الرأس : سار أمامي جسدي
أزمنةً ، مدائناً
تواكِب النّهَرْ
مَسرحُها بضفّتين ـ الحبُّ والبَشَرْ .

ألَيوم أكملتُ اكتملتُ : صوتي
يفهمه الزّلزال والأطفال والرّبيعُ
يَفهمهُ الجميعُ ـ
صوتي لا يُرَدُّ مثلَ موتي .
سَكَنتُ كلَّ عشبةٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آلفتُ بين الصّخر والنبات
بين غبار الطّلع والمرايا
وجنس أُغنياتي .
لي وطنٌ
لا يعرف التّخومَ ، لا تحدّه الشطآنْ
تحدّه علامتانِ ــ الشّمسُ والإنسانْ
وها أنا أطوفُ
كي أُزلزلَ الحدود ، كي أعلّم الطّوفانْ .

الجوقة (غير منظورة) :
نقرأ في الطّوفانْ
كتابةً
عن وطنٍ يسقطُ مثلَ ورَقٍ . . .

أصوات (ساخرة ، بعيدة ، غير منظورة ، مقاطعة) :
وطَنٌ ــ
منْخلُ ماءٍ
وطنٌ يُفتَح كالدّكانْ ،
وطنٌ يُقفَلُ كالدّكانْ

الجوقة (بإيقاع سريع) :
نقرأ في الطّوفانْ
كتابةً ،
عن وطنٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسْكن مثل شهقةٍ
في رئة الإنسانْ .

الرأس (والجوقة معاً) :
غائبٌ حاضرٌ كمائكَ يا نَهْرُ
حويتُ الأسماءَ والأشياءَ
فاحتضنّي واستنْفر الرّعدَ في صوتي
وهجْسَ التكوين ،
والأنواءَ
واجْرِ يا نهر فِطْرةً
وكنِ النشأةَ ،
كنْ صرخةَ الدّم العذراءَ .

(صمت . أسراب طيور فوق الجسر . فيما يغيب الرأس يسمع صوته يبتعد شيئاً فشيئاً) .

الرأس والجوقة معاً (بإيقاع هادئ) :
لا أعرفُ التخوم لا تحدّني الشّطآنْ
تحدّني علامتان ـ الشّمس والإنسانْ
وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ ، كي أعلّم الطوفانْ .

(موسيقى غضب وفرح . تهدأ الموسيقى . يبدو في مشهد جديد شيخ ٣ وحوله أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيخ ٣ (للأطفال) :

واشتَعلَ الفضاء مثل وجهه المهاجر الظمآن
وحالَ : كلّ نجمة
زَجاجَةٌ والقَمَر المصباحْ
ونامت الدّنيا على الحيطانْ
ستّة أيام بلا ضياءِ
واستسلمَ الزّيتون والتّفاحْ
للدّمع
لو قلبتُمُ الحجارَ ، لو شهدتمْ ـ
فتحتَ كلّ حجَرٍ غديرٌ
من دمهِ ،
والزّمَنُ المُعَصفرُ الملآنْ
بجرحه ، ربابَةْ
غَنّت ، فكلّ نخلةٍ خريفٌ
يبكي ،
وكلّ صخرة سحابَةْ .

(يصمت . يبدو الأطفال مشدودين بذهول إليه . ثم يتابع حالماً) .

عند غروب الشمْسْ
في فَلكٍ يصعَدُ كالزّفيرْ
يُعلّق الهواءْ
مدينةً للحزن ، والشّموع حول الرّأسْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويُسمعُ البكاءُ تحت الأرض كالهديرْ .

(صمت)

أَصْغوا إلى الهواء ، في الهواء ما يَقولُ فيه زَغَبٌ

وحمّى ،

وفي الهواء ماءْ

يغسل وجه الزَّمَنِ المُدَمّى

يجرفُ ،

أو يبدع ما يشاءْ .

(موسيقى . صوت عاصفة . أمطار)

(بيروت ، 1966-1968)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السماء الثامنة

(رحيل في مدائن الغزالي)

قافلةٌ كالنّاي ، والتّخيلْ
مراكبٌ تغرق في بحيرة الأجفانْ
قافلةٌ ـ مذنّبٌ طويلْ
من حَجر الأحزانْ
آهاتُها جرارٌ
مملوءةٌ باللهِ والرّمالِ :
هذا هو الغزالي

يجيئنا في كوكبٍ
تَحْضنُهُ نساؤنا
تصوغ من بهائهِ
الثّياب والأحلامَ واللآلي .
يَبْتدئ السُّقوطُ في مدائن الغزالي
يُسْتَنْزَلُ الفرقانُ واللّسانُ
وتعلّقُ الجباه بالغبار ، ـ في مدائن الغزالي
شَرارةٌ ليس لها مكانٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرّيحُ مثلُ جَمَلٍ .

وبعدَ أن يصمتَ أو يضيعَ سائلٌ
تَجرُّهُ حشيشةُ السُّؤالِ ،
يعرفُ : كلُّ نَهْرِ
يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي
يصيرُ صِهْريجاً من الدّموع
يدورُ في ناعورةِ الشفاه أو في قفص الضلوع :

ـ والوطنُ المفتوحُ مثلَ كَفَنٍ
يَمامةٌ تُذبح في ينبوعْ
رأيتُ فيه أمّةً . . .
رأيت فيه القمر المقطوعْ
من أوجه الأطفالْ ،
والزّمنَ المنكّس المخلوعْ
والزّمنَ الآتي كالزّلزال . . .

يبتدئ السّقوطُ في مدائن الغزالي
يختلج الشّارع كالسّتارهْ
والزّمنُ الرّابضُ مثْل خنجرِ
يغوصُ تحت العنْقِ ،
والمنارَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ستارةٌ سوداءْ .
أهدمُ ، كلَّ لحظة ،
مدائنَ الغزالي
أُدحرجُ الأفلاكَ فيها ، أُطفِئُ السماءْ :
ـ والفجرُ مثلُ طفلٍ
سبعُ حراب سودْ
سبعُ سماواتٍ بلا حدودْ
تهيم في خُطاهُ .
ويدخل الموتى ويخرجون
من نَفَقٍ أخضرَ ـ في مدائن الغزالي
يأتون في كلامٍ
يئنُّ ، في دروبٍ كالملح ، في كتابٍ
يموتُ ، دفَّتاهُ
رَقْصٌ وصافناتٌ . . .
ويدخل الموتى ويخرجون . . .

ـ . . . والشّمس في ثيابهمْ
جاريةٌ صفراءْ
مدهونةُ الثديين بالقلوب
بالحجر الأحمر ، بالكبريت والغيوب
تسقطُ كلَّ ليلةٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في نشوة الإسراءْ
تلتهمُ السّيوفَ والسنينا ،
تطرحُ ، كلّ لحظةٍ ، جنينا . . .

ويدخل الموتى ويخرجون . . .
تَوعّدي يا فَرَس النّبيّ في مدائن الغزالي
تَوعّدي خُطايَ والطّريقْ
عذابُك الكبيرُ مثلُ خيمةٍ
كَسَرْتُ فيها خاتَم الزّواج ، والكوثَرَ ، والرّحيقْ
تَوعّدي ، أعرفُ كلّ خلجةٍ
في جسمك العتيقْ
أعرفُ ما يقولهُ عذابُكِ الكَبيرُ ـ في مدائن الغزالي
مُسافرونَ . . .
ـ أين تذهبونْ؟
لن تصلوا ، فهذه الطّريقُ لا تمرُّ في دمشقَ ، والصّباحْ
ترسمه الأنْصابُ والأشباحْ
مسافرون يخبطونَ . . .
أين يذهبونْ؟
من جُثث الآباء يحملونْ
تمائماً
والتّيهُ في أقدامهم طريقٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرّملُ في وجوههم عيونْ .

... (شددتُ فوق جسدي ثيابي

وجئتُ للصّحراءْ

كانَ البراقُ واقفاً يقودُه جبريلُ ، وجهُه كآدمٍ ،

عَيناه كوكبانِ

والجسم جسم فَرسٍ . وحينما رآني

زُلْزلَ مثل السّمكَهْ

في شبَكَهْ ...)

أيقنْتُ ، هذا زَمنُ التّناسُخِ ـ الإضاءَهْ :

أَلشّمسُ عينُ قطّةٍ

والنّفطُ رأسُ جملٍ

تَقلّد الخنجَر والعباءَهْ ،

وكلّما سايرتُ في طريقي

يمامةً أو زهرةً

أو غبتُ في إشاره

بيني وبين الضوء ، وانحنيتُ

كالنّبع في مسالكِ الحجاره

تَنْبُتُ في جفوني

رصاصَةٌ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكلّما قلت أُحبُّ الماءْ
والزّمنَ الآتيَ ، والأشياءْ
وكلّما حاولتُ أن أبنيَ أو بنيتُ
تحتَ شموس الماءْ
سقيفةً ،
تطلعُ في عروقي
رَصاصَةٌ . . .

. . . (ـ لا تخشَ ، في شفاعتي أنتَ ، فمالَ
نحوي ، رَكِبْتُهُ وطارَ بي . . .
ـ هذا الذي يصيح عن يميني يَنْصحُ لي ، لم ألتفت
إليه . . .
ـ لو أنّك التفتَّ واستمعتَ ، لاستلانْ
شعبُك ، من بعدك ، للشّيطانْ .
ـ وهذه المرأة كالفيروز عن شمالي
تنصح لي ، لم ألتفت إليها . . .
ـ لو أنّك التفتَّ واستمعتَ ، لاستهانْ
شعبك بالجنّة والقيامه
واختار أن يموت فوق سُرّةٍ
ورفض الجهاد والكرامَهْ . . .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكلّما هجستُ
ولذتُ بالهواءِ وانغرستُ
كالعشب في مدينة التّرابِ
أَستكشف الفضاءَ والجناحْ
أسكن في باكورة الرّياحْ ،
تنبتُ في ثيابي
رصاصةٌ . . .
رصاصةٌ . . .
وكلّما سألتُ
وانكَسر السّؤالُ في سريرتي ، وملتُ
كالغُصْن ، أو نَويتُ أن أطوفْ
في طبقاتِ الشّمس والهواءْ
مُستَسْلماً كالماءْ ،
تطلعُ في النّيّةِ والحروفْ
رصاصَةٌ . . .
رصاصةٌ . . .
والشَّجَر الأخضر في الطّريقْ
مدائنٌ حُبلى وحاضِناتْ
والشَّجرُ الميّت في الطريقْ
نَارٌ بلا ضحيّةْ
تظلُّ من رمادِها بقيّةْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في موقدِ الكَلامْ
تحمل للطفل الذي ينامْ
حُلْماً ،
وللطّفل الذي يُفيقْ
دفتر أحزانٍ وأغنياتْ . . .

. . . (ها هو بيتُ المقدس ـ المعراجْ
يُمَدُّ لي ، يَجيئني جبريلْ
باكُؤسٍ ثَلاثٍ . . .
ـ خذ أيّها تشاءْ
أخذتُ ، كان لبناً ، شربتُ
ـ إنّ هذا
خمرٌ ، وذاك ماءْ ،
فلو أخذتَ الخمرْ
لَغويتْ بعدك ، مثل وثَنٍ ،
أمّتك الحنيفَةْ
ولو أخذتَ الماءْ
لغرقت . . .
ولفّني جبريلُ وابتدأنا
نصعد في أدراجْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ذهبٍ وفضةٍ ،
من لؤلؤ أحمر كالقطيفةْ . . .)

كان الرّغيفُ يصيحُ كالملكِ :
ـ اهتدينا
نارٌ أنا
وضريبتي جسَدُ المدينه
ماسٌ ، دمقسٌ ، أرجوانْ
ما كان من ذهبٍ وياقوتٍ ، وكانْ . . .
ماذا أرى؟
ـ هذي جموع الخارجين إليكَ يا تاجَ المدينه :
عن أحمدٍ :
وَرّثت قطتيَ الأمينه
وارتحتُ من قانونهم . . .
عن صالحٍ :
تاجرتُ بينَ المقعدينَ
فرشت أيامي وساده . . .
عن أخته :
نَفَقٌ هوايَ
وفي دمي ذئبٌ يدورْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنا الضحية والبخورْ .

عن أختها :

وطني يشبُّ ،

يشيخُ

يطعمني رمادَهْ .

عن زوجها :

وجهي ينام كطَوْطَمٍ . . .

عن حامدٍ :

لم يبدأ التّاريخُ

أفتح ساعديّ

للشّمس . . .

وانشقّ الرّغيف كأنّه أفقُ النبيّ

وأنا العِرافَهْ

ودخلتُ في لَهب المسافَهْ

أتزوّج النّارَ البعيدةَ فيّ ، أقتلع الزّمنْ

كالعشب ،

أغتسلُ ـ اغتسلتُ ، غرقت في ألق الدّموعْ

وحنوت فوق دمٍ يئنّ ، دمٍ يجوعْ .

(. . . ـ ماذا ترى؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ملاكاً :

نصفين من ثلجٍ ومن شرارِ

بألف ألف لغةٍ

تسبّح الجامعَ بين الثّلج والشرارِ . . .

ـ هذا مَلَكٌ يساوي

بين جميع النّاس ، وهو أنصح الملائكه . . .

وهذه سماءٌ غبراء من حديدٍ . . .

ـ هذي اسمها الماعونْ

يسكنُها ملائكٌ

أكتافهم حِرابٌ لنصرةِ الإسلام . . .

هنّأوني :

ألخير في شعبك ، أنت الأصل والعلامه

من أول الزّمان حتى موعد القيامه .

قدّمني جبريلْ

صلّيت ركعتينْ

بهم ، على مِلّةِ إبراهيمْ . . .)

وهبطتُ في أغوارِ نجمتيَ الصّغيرهْ

بين المَشيمَةِ والكفَنْ

في لَيْلِ جُمْجمةٍ ضريرهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقرأتُ تاريخ الفضاءِ ، قرأتُ تاريخَ القَمرْ
من قبل أن أرد الفضاءَ وقبلَ أن أطَأَ القمَرْ ـ
ألأرض بيتيَ
والزّمنْ
لغتي وصوتي . . .
وسمعتُ عرّاف الرصيف يقولُ : مفتاحُ المدينهْ
تَخْتٌ ومغزَلُ غازلٍ . . .
عرّافُ ، قُلْ ليَ ، فَسِّر الرؤيا ، نسيتَ؟ أُعيدُها ـ
. . . ودخلتُ دائرةَ الرّغيفِ ، رأيتُ قطعة فِضّةٍ ،
سوداء ، تحمل خنجراً . تَدْنُو وتطعنني ، وتهربُ في الزّقاق ،
ومتُّ ، لكن قمتُ فَجْأهْ
ووجدتُني في حضن مَرْأهْ . . .

(. . . ثم رأيتُ مَلَكاً لم يَبتسمْ . . .
ـ من هو يا جبريلُ؟
ـ عزرائيلُ ، اقْتربْ وسَلِّمْ . . .
سلَّمتُ هبَّ واقفاً هَنّأني ،
سألتُ : كيفَ تقبض الأرواحَ؟ قالَ : سَهلٌ .
حين يتمّ أجَلُ الإنسانْ
أُرسل أربعين من ملائكي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينتزعون روحَهُ من العروقِ . . .
حينما تصيرُ في حلقومِه
أسلّها كشعرة تُسَلُّ من عجينٍ
فإنْ تكن طيّبةً
قبضتها بحربةٍ من نورْ
وإن تكن خبيثةً
قبضتها بحربةٍ من سَخَطٍ . . .
وبَدتِ الدنيا
في يده ،
كدرهمٍ . . .)

عرّافُ ، قُلْ . . .
ــ لا شيء ،
هذا مخبَزُ اللّغةِ العَجينهْ
لا شيءَ ،
تاريخُ النّساءِ مخدّةٌ
وحنانُ طينَهْ .
ــ ودهنُها المعدنيّ؟
ــ والدّهن كالوسام أوْ إشارهْ
علامَةُ السّيد : كلّ شيءٍ

نهدان في يديهِ أو ستاره
لِلزّمن اليابسِ كالعُرجونْ
للزمن المخزونْ
في امْرأةٍ . . .
والدّهن معدنيّ
مملّكٌ ،
ينزلُ مثلَ البحر في كتابٍ
يستوطنُ الأغوارَ أو يستوطنُ الصّواري
يَصيرُ فوق أرضكَ البغيّ
شعائراً للذّبح ، أو فخاخاً ، أو خرَزاً ملوّناً . . .
والدّهن معدنيّ
طيفٌ جنائزيٌّ
يدخل كالمنشارْ
في جسد العالمِ
كالمُلاءَهْ
يَطرحُها المأفونُ والعيّارْ
على جفون أرضكَ المُضاءَهْ

(. . . وهذه سماءٌ خضراءُ من ياقوتةٍ خضراءَ فيها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجلٌ طويل
تَلفّهُ مِدْرعةٌ
وشعرهُ يكاد أن يغطّي
سَاقَيْه . . .
ــ يا جبريلْ
مَنْ هُوَ؟
ــ هذا صِنْوكَ المفضّلُ الكليمْ
موسى بنُ عُمرانَ ــ اقْترِبْ وسَلّم .
سلّمتُ ، قال موسى : يزعمُ إسرائيلْ
أني أنا المفضّل الكريمْ .
ثم دعا لأمتي بالخيرِ ، ثم اصْطَفّتِ الملائكةْ
أمَمْتُهم ، صلّيْتُ ركعتينْ
بهم ، على مِلّةِ إبراهيمْ . . .)

والدّهنُ معدنيّ
بحْرٌ من السّوادْ ــ
ألْقاعُ نافورَهْ
مِن ذهبٍ ، والسّطح قاذورهْ
والأرضُ كالمرايا ،
مكسورةٌ ، والشّمسُ هَسْهَساتٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنأى ، وآبارٌ من الرّمادْ . . .
هل قلتُ كل شيّ؟

(. . . رأيتُ باباً كتبت عليهِ
كتابةً قرأتُها
فَانْفتَحَ البابُ ، رأيتُ خلفهُ
جهنّماً ،
رأيت غاباتٍ من الحيّاتْ
رأيتُ باكياتْ
يغرقْنَ في القِطْرانِ عالقاتِ
يغلين كالقُدور موثقاتِ
يُطرحن للأفاعي . . .
ـ هذا جزاء نسوةٍ
يظهرن للغريب . . . هذي امرأة
صورتُها كصورة الخنزير ، جسمُها حمارٌ
لأنها لم تغتسل من حيضِها . . .
ـ هذا عقابُ امْرأةٍ تعشقُ غير زوجها .
ـ هذا جزاء امرأةٍ
لا تُحْسِنُ العشرةَ أو لا تحسنُ الوضوءَ ، لا
تصلّي . . .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسمتُ ظلَّ القمر الطّالعِ في طريقي
بلهفتي ،
ربطتُ كل جرح
في وجهه بثوبيَ العتيق .
. . . وسرتُ في بُحيرة الأغاني
نَيلُوفَراً ، أغاني
تَرْشَحُ من قرارةِ التّاريخ ، من سريرةِ المكانِ
والتفّت الأشجارُ حول وجهي
والتفّتِ الطّريقْ
كان النّهارُ حجراً يسيرُ ، كلُّ حجَرٍ إشاره
وكان كلّ حجَرٍ فلاّحْ
يغسل وجْهَ الحقْل أو يُطاردُ الرّياحْ .
يُسافِرُ التّرابُ في خُطاهُ
ينام يستفيقْ ،
وكانَ كلُّ حجَرٍ شرارَهْ .

(. . . وها أرى رجالاً
تمشي على ظهورهم
حجارةً . . .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسرتُ محمولاً على شرَارَهْ
أحلم كي أسقطَ في الظّلامْ
شَمْساً
وكي تدورْ
حوليَ
أرضُ الحُلم الخفيّهْ
أحلم كي أكتبَ عن صداقة العُصفورْ
عن وطَنٍ أحَنَّ من قِنديلْ
ينسجُ كلّ لحظةٍ
من دمه ، مِنديلْ
أغنيّةً للحب ، أو تحيّهْ . . .

(. . . طَوّفتُ في زبرجدٍ
أخضرَ ، في مدارجِ الياقوت ، ثم جاءني الملائكهْ
برَفْرَفٍ
فسارَ بي كسهمٍ .
وحَطَّ بي في بَحَرٍ من نورْ
أبيضَ خلفَ بَحَرٍ من نورْ
أصفرَ خلف بَحَرٍ من نورْ
أسوَد ، فاستوحَشْتُ واسْتَغَثْتُ . . .)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورأيتُ أنّيَ في الأزقّةِ والزّوايا
أمشي كزينِ العابدينْ ـ
عبّأتُ بالخبز الجرابْ
وركضتُ من بابٍ لبابْ
أُزْكي لهيبَ الثائرينَ ، أسدّ جوع الجائعينْ . . .

(. . . وانْطلقَ الرّفرفُ ، صار يعلو
وحطّني في حضرة الإلهِ ـ ما رأيتهُ
لم تَرهُ عينٌ ، وما سمعتهُ
لم تَسْتَمِعْهُ أُذنٌ . . .
نُوديتُ : لا تَخَفْ .
خطوتُ خطوةً كأنني خطوتُ ألفَ عامٍ
أحسستُ حول كتفي
يداً ، ولم تكن محسوسةً ،
فأورَثتْ قلبيَ كلّ علمٍ . . .)

ـ مولايَ ، زين العابدينْ . . .
ـ أنا لستُ مولى ،
لستُ كهفاً للأنينْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنا جمر ثورتكَ . . . انْفجرْ
غَيِّر نداءكَ ، وانْفجِرْ . . .

. . . ورأيتُ أنّي صيحةٌ تَرِثُ الضّحايا
ورأيتُ أنّ الجوع يرفعني تحيّةْ
لدم الضّحايا
للبائسين الطّالعين من الأزقّةِ والزّوايا
موجاً يُضيء العالَمين . . .
ـ مولايَ زين العابدينْ
لغتي تنوءُ كأنّ فوق حروفها حجَراً وطينْ
فبأيّ جائحةٍ أطوفُ ، بأيّ موجٍ أستعينْ؟

. . . ـ وانطفأ المصباحْ
في آخر الشّارع ،
واستدارتْ
غمامةٌ ، وذابتْ
في أوّل الشّارع واشرأبّتْ
حمامَةٌ ، وماتت
في لفتة الشّارِعِ ـ
ـ من هناكَ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وارتجفنا
كالخيطِ
ـ من هناكَ؟
وانكسرنا
كالغصن
ـ من هناكَ؟
وانجحرنا
في حائطٍ
دخلنا
في حفرةٍ
وغبنا . . .
ـ هل قلتَ؟
ـ لا
ـ خذوهُ . . .
ـ هل كنتَ؟
ـ لا
ـ تَبعْنا خطاهُ . . .
ـ قَيِّدوهُ . . .
ونامت المدينه
وغُلِّقتْ أبوابُها
ونمنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أين؟ لا مفتاحْ
يفتحُ أيّ بابٍ
فيها ،
ولا مصباحْ
يُضيئُها ،
وليس في مداها مُهاجرٌ شَهيدٌ
يرفع في ساحاتها جبينَهْ . . .
وهذه بلادي
مع رجلٍ آخرَ من سُرداقِ الغزالي
تنام ــ ليس وجهي
حرفاً ، ولا ذراعي
تكيّةً
وهذه بلادي
فخذان من صلاةٍ
مسافةٌ من شَررٍ وتيهِ
أبحث في رمادها
عن دميَ الآخر ، عن شبيهي . . .

(. . . وكان سيف النقمة المجبولُ بالدّماءْ
معلّقاً بالعرش ، قلت : سيّدي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إرْفعه عن بلادي . . .
فقالَ : تمَّ الحكم والقضاءْ
وسوفَ يفنى شعبك الحنيفُ مثل زَبَدٍ بالطّعنِ
والطّاعونْ
لكنّكَ المفضّل الحبيبُ ـ آدمٌ
خَلقتُه من طينْ
وكان إبراهيمُ لي خليلاً
وأنتَ لي حبيبٌ
وموسى ،
كلّمتهُ وبيننا حجابٌ
وأنتَ تلقاني بلا حجابٍ
وإن أكن خَلقتُ من كلامي
عيسى ، فقد شَقَقْتُ من أسمائي
إسْماً لَكَ ، اقترنتَ بي ،
أَعطيتُك الكوثرْ
والحوضَ والشّفاعةَ الكُبرى . . .)

أسمعُ صوت صخرة قديمةٍ
تضربُ وجه الشّرقْ
يرتسم الخالق في شقوقها والخلقْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسمع صوتَ الزّمن : البغايا
والقبرُ والمعاد
وحائطٌ يضحك أو يصلّي
لليل شهرزاد . . .
. . . ـ والنّيلُ والفراتْ
عينان مملوءتانْ
بالشّمس والأشرعه
وبَردى يبكي
تيبس في صوتِه
الأشجارُ والأغنياتْ
والغُوطة المرضعهْ ،
رمى على وجهه
ملاءةً . . .
ينامُ أو يقرأُ في بستانْ . . .

(. . . ـ دُهشتَ؟ هذي قبّةٌ ،
سريرٌ
من عَنْبرٍ ، عليهِ
حوريّةٌ
تُضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذي لمن يموت شاهداً
بأنك الرّسولُ . . .)

سمعتُ صوتَ الزمن ـ الجريمَهْ :
رائحةُ النّسرينْ
أغنيّة الشمس على الأسوارْ
فراشةٌ تهرب من تشرينْ
إلى غدٍ يحرثُه نوّارْ
في أرضهِ الكريمهْ .
من أين هذا الزّمنُ المشقّقُ المدهونُ
بالطّاعونْ؟

من أين؟ كيف تصبح الرّبابَهْ
قَرنين ، أو ذبابه؟
سمعتُ صوت الزّمن : السّقوطْ
لو لم يك البستانْ
جاريةً ، لَكانْ
جرادةً . . .
أَعيدي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوتكِ ، واستعيدي
سماءَهُ ــ ملاكٌ
يَأتي ، وهذا سلّم الهبوطْ . . .

سمعتُ صوتَ الزمن . . . السّقوطْ
نحويَ في الولاده
والنّهرَ الممدودَ كالوساده
من شَفَتيْ سقراطَ حتّى جثّة الحسينْ .

(. . . ولم نزل ننزلُ . . . ها وصَلْنا
وَدّعني جبريلُ ، قال : حَدّثْ
بما رأيتَ واختفى البراقُ . . .)

حَدّثتُ ،
تَمَّ الحكمُ والفراقُ
حدّثتُ ، كانت هَامَةُ الغزالي
جالسةً كالسّيف ، صِرتُ حجَراً مبرّأً كطفلٍ
يُطاردُ الغزالي .
وبعد أن يرسمَ حول وجهه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إشارةَ الوضوء والطّهارهْ
وبعدَ أن يكرّر الصّلاةَ حتّى تُصبحَ العباره
تكيّةً ومسجداً ،
وبعد أن يُغالي
في مدحهِ ــ يُجلّه كالله ذي الجلالِ ،
يَرجُّ كلّ ذرّةٍ
في كوكب الغزالي . . .
بالرّفض بالسؤالِ
بالغَرقِ الحاضن كل رأسٍ
بشاطئِ الغيبة والرّجعة ، بالإمامه
تأتي ، وكلّ نجمةٍ عمامَهْ ،
بالرّعد ، بالأيام سابحاتٍ في مُخْمَل الأبَدْ
كأنّها الأعراس أو كأنّها الجراحُ في مدينةِ الجسَدْ
بالعشْبِ والبُقولْ
بوَطنٍ يعيشُ فوق الأرضِ ، لكن خارجَ الفصوَلْ ،
بالرّفض بالسّؤالِ
بالمسجد المهدوم ، بالحجّاج وهو يصلبُ المدينه
بعابدٍ تجترّه التّكيهْ
بالخوف ، بالتقيّه
بقبّةٍ تجثم كالوطواطِ أو تهتزّ كالسفينه
حاملةً بقايا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ورَق الجنّةِ أو من نَقمة الإلهِ ، بانْخسافِ
يغسل لونَ الأرضِ ، بالبنفسج المقلوعْ
من أوّلِ الزّمان ، بالينبوعْ
مُرتطماً بالوقت مُستضيئاً
كأنّه الحصادُ أو كأنه المصباحُ ،ـــ
بالقبول والسؤالِ
بكلِّ هذا العالم اليابس كالنبات
الأخضر كالنباتِ
رَجَجْتُ كلَّ ذرّةٍ
في كوكب الغزالي ،
رفضتُ وانفصلتُ
لأنّني أريد وصلاً آخراً ، قَبُولاً
آخرَ مثلَ الماء والهواءْ
يَبتكر الإنسانَ والسماءْ
يُغيِّر اللُّحْمةَ والسَّداةَ والتّلوينْ
كأنّه يدخلُ من جديدِ
في سفَر النشأةِ والتكوينْ .

لِكوكب الغزالي
لهذه المقابر المبثوثةِ الأشباح والطّقوسْ

في نَفَق الهواء والتّاريخِ ، في الأقدام والرؤوسْ ،
لهذه الجدرانْ
للكتب المدهونة الأوراق والرفوفْ
بالبَطْن والشّهوة والأسنانْ

لهذه الأنصابِ والأعلام والسّيوفِ
لهذه المساجد الكنائسِ الدانية القطوفِ
لهذه الدّروبْ
مرصوفةً بالليل ،
لِلتّكايا
علاّمةِ الأسرار والغيوبْ
لكلّ هذا الزّمن المكدّس المشحونْ
بالرّملِ والسُّعارِ والطاعونْ
أعرفُ ما تقول لي
يا كوكباً يسكنُ وجه الشّرقْ
أعرفُ ما تودّ أن تقولَهُ
لِلشّرق ،
هذا السّيدِ المصلوب
هذا الشّاعرِ المجنونْ ،
وها أنا أغنّي
آتي كما تقول لي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا كوكباً يسكن وجه الشّرقْ
من يَبَسِ الغابات من دُجنّةِ الآبار والزّوايا
من جوفِ عنكبوتْ
من قَمَرٍ يسْودُّ من حضارةٍ تَموتْ
آتي كما تقولُ لي
يا كوكباً يسكنُ وجهَ الشّرقْ
في الشّمس في حناجرِ الأطفالِ في النّوارسِ المليئَةْ
بالبَحْر ، بالشواطئ المضيئه
أفتحُ كلّ بابٍ
أشقّ كلّ رمسٍ
بغَضْبَة الخالق ـ بالرّجاءِ أو باليأسْ
بثورةِ النبيّ
مسكونةً بالشّمسْ
مسكونةً بالفَرحِ الكَونيّ .

(بيروت ، 1967)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعويذات لمدائن الغزالي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ ـ جسد الحصاة

هذا الذي سمّيتهُ التّاريخَ والبدايهْ
أملسُ مسدودٌ بلا حياةِ
كجسد الحصاةِ ،
هذا الذي يمنحنا الرّعايهْ
سريرُ عنكبوتِ
والماء في العاصي وفي الفراتِ
حِبْرٌ ، وصحراءُ الخُطى كلامٌ
أو ورَقٌ ، لا فرق ، والقلاعُ
جاريةٌ مربوطةٌ ، وليلٌ
أجردُ : لا حلمٌ ، ولا شُعاعُ .
لا ، لَسْتِ أقحوانْ
أو باقةً من زَهَر الأخوّهْ
ولستِ ايحاءً ولا نبوّهْ
أو نجمةً تسهرُ عند الجسرْ
تقرأ ماءَ النّهر . . .

وليس فيك سائلٌ
وليس فيك قارئٌ
فأنتِ مرزبانْ
يَصنعُ من جنازةِ الضحيّةْ
خبزاً ، ولستِ ناهدَ الصبيّةْ
حينَ يكون الحبّ مهرجانْ .

. . . ــ جلدةٌ أنتِ ، لستِ أكثر من جلدةِ معْزى وإن تناسلتِ
واستأجرْتِ زوجاً وجئت للنّاس في ثوبٍ دمقْسٍ ، وسحنةٍ آدميّةْ .
وأنا الدّهرُ والطّريقُ ،
أخضُّ البحرَ ــ موتي سفينةٌ ، وبقاياي
انفجارٌ يَجيءُ ، أو أبجَديّةْ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ لو سكنت

. . . لو سَكَنْتِ ، كما قلتُ ، صوتي
لكنتِ اهْتديتِ
للطَّريقِ ومعراجِها واكتسيتِ
حلَّةَ السّالكينْ
يشربونَ الشّموسَ وأبعادَها
ولكنْتِ ارتويتِ
لو سكنتِ ، كما قلتُ ، صوتيَ
كنتِ العرافَهْ
ومناراتها القُزَحيَّهْ
بين أيامنا الورقيَّه
وثلوج المسافَهْ ،

ولكنتِ اهتديْتِ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ ـ القاعدة

ـ كي تستوي ، كي تكونْ
خُذْ يدَها مِن هنا
خُذْ وجهَها ، وابتكِرْ
شرارةً واستبحْ
زُنّارَها ، والكتِفَ الجامِدَهْ
واشْدُدْ إلى اليَسارْ
مِحْوَرَها الحَرُونْ
وحرِّكِ الزّاويةَ القاعِدَهْ
وغيّرِ الأساسَ والحِجارْ
وغَيّرِ القاعِدَهْ . . .

(بيروت ، 1967)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرآة الطريق وتاريخ الغصون

1

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحْ :
كلّ شيءٍ جناحْ
طالعٌ في دمي ، في الحقولْ
سابحٌ في مدار الفصولْ
حيث آخيْتُ وجهي مع العشب واستسلمتْ خُطايا
لحنين المرايا
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرح الأخوّه
بيننا ، وعرفت الإشارهْ
أنّني أول البشاره
أنني نبتةٌ من الشرق في روضة النبوّهْ .

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرّياحْ
كلّ شيءٍ طريقْ
ألحدودُ وراياتُها والحريقْ
والسّدودُ ، اللّقاء ومعراجهُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصَّوتُ ، صوتيَ في راحتيّ ،
العصافيرُ تنأى وتترك أسماءَها في الغصونِ
الغصونُ وتاريخُها ــ

ــ فتحنا
وطَناً آخراً وسرنا
في وداع العصافير ، كنَّا
لتباريحها فضاءً ،
رحلنا
مثلها . . .
كلّ شيءٍ طريقٌ ،

حضنَّا مراراتِنا ، صعدنا
في بكوريّةِ الأعالي
لابسين الرّموزَ ، اصطبغنا ، صبغنا غلالاتِها بالأعالي
والحَمامُ الذي يتناسلُ في وجهِنا طَريقٌ
والسّرابُ ومزمارُه طريقٌ
كلّ شيءٍ طريقْ
والوجوهُ التي تتَناسخُ في غُبْرةِ الطَّريق
والوداعُ المرابطُ في وحشة الطَّريقْ ــ
ــ يا زمانَ المطرْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعْطِنا ، وابتكِرْ للشّجر
غيمةً ـ حلّةً من هوانا
واسْقِ من حَنٍّ ، من سقانا
يا زمانَ المطرْ . . .

بغتةً ، صار بيني وبين الطّبيعهْ
لغةٌ ورسائلُ ، صارَ الهواءْ
دَرَجاً ، صرتُ أمشي
بين عينيّ والفضاءْ
سائحاً في ثيابِ الطّبيعَةْ :

ـ إنْ تكن يا بريدَ المسافهْ
فارساً ، فحنيني
فَرَسٌ ، إن تكن صحارَى
فيداي القوافِلُ ، إن كنتَ نارا
فأنا عاشِقٌ غريبٌ تيمَّمتُها ، والعِرافَهْ
كوكبي ، يا بريدَ المسافَهْ . . .

2

رافقَتْني الرّياحُ وأحجارُها النبويّهْ :
حجَرٌ سيّدُ المدينَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حجَرٌ خادِمُ المدينَهْ
حَجَرٌ واسعٌ يتدحرجُ في خاتَمِ الخليفَهْ
حَجرٌ نجمَةٌ خفيفه
علّقته الصَّبايا
بين أحلامهنّ الأليفَهْ
وعيون المرايا

ـ أستودع الحجَرْ
ما يترك النّهارُ من حطامِه
في سفري ، ما يتركُ السّفَرْ
فللحجَرْ
خيطٌ من الرّاحة ، في نسيجه
عيناي والغاباتُ والمطرْ
وللحجَرْ
مدينةٌ تولَد كلّ ليلَةٍ
أبحثُ في شقوقِها ، أركض ـ كلّ ساحرٍ
يضيعُ في مدينةِ الحجَرْ
لكنني أستودعُ الحجَرْ
ما يتركُ النّهارُ من حُطامِه
في سفري ، ما يتركُ السّفَرْ . . .
رافقَتْني الرّياحُ وأحجارُها النّبويهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والذين يسيرون في النارِ ، يسْتَنْبِتونْ
شَجَرَ الحلْمِ ، يفتحونْ
في رمادِ العصافيرِ بوّابةً . . .

ــ . . . وسرنا

خطواتٍ من القمح ، سرنا . . .

يرونَ الطريق أغاني
وخطاهم ينابيعُها . . .

ــ التقينا

بين عنْق الطريق وأردافِها . . .

الطّالعونْ
من قِلاع الهجومِ
يمدّون سلطانهم في تخوم الغرابَةِ في أوّل النّباتِ . . .

ــ انحنينا . . .

للطريق وأعشاشِها

رأينا

سحرَ أبعادِها

سمعنا

صوتَها . .

العاصفونْ
ألّذين يجيئونَ كالوقت . . .

ــ عينُ الغرابَةْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطرٌ أو سحابَهْ
تحت أهدابِنا
عجبنا
كيف لم يفْتح الجُنونْ
لخطانا شبابيكَه ، عجبنا . . .

والذين يرجّون ماءَ العصورِ . . .

ـ انتشلْنا
وطَناً عائماً . . .

يسمّون ما لا يُسمّى
يكسرونَ الحدودَ وأقفالَها ، يُنْشِئون
طُرقاً في الطّريقِ ، يَسيرون قدّامها . . .

. . . ـ استمعنا
لصدانا يسافر في العشب ،
يقبل من آخر البحر . . .

يهوون في لجّة الحلْم ،

. . . ـ كنّا
ذَهبَ اللّيلِ والصّحارَى
فوق غرناطةٍ ، في بخارى . . .

والذين يسيرونَ بين التحوّل والنّارِ

ـ سرْنا ،

كلهم رافقوني . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . حيثُ تقصُّ الشمس ، بعدَ النّومْ

عليّ كلّ يومْ :

. . . ـ ونادرُ الأسوَدْ

يقرأ باسم اللهِ والشقاءْ

أسطورة الخبز وشعرَ الماءْ

ونادِرُ الأسودْ

تحمله الأشجارْ

وكلّ غصن قبضةٌ وسيفْ

ينضج قبل الصّيفْ

ينضجُ بعد الصّيفْ

ونادر الأسود

هاجرَ كي يرجعَ في تشرينْ

في أول الأمطارْ . . .

. . . حيث رأى مهيارْ

كيفَ تجيءُ الشّمسُ كلّ يومْ

إليّ ، بعدَ النّومْ

حيثُ يصير الماءْ

من لهفة ، نافورةَ الحريقْ

حيث يكونُ الزّهَرُ الضّائعُ في الطّريقْ

أجراً من مدينَهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

3

تَفْتَحُ الأرضُ بيتَها

تبدأ الأرضُ خطاها معي ،

ــ معي غَضَبُ الأرضِ ، هواها ، سطوحُها الوحشيَّةْ

والدّمُ السيّد ، الدّمُ الآمِرُ ، الطالعُ من بُؤرةِ

الزّمان القصيّه

تفتح الأرض بيتها ،

ــ سرّة الأرض سريرٌ

كلّ التواريخ عقدٌ يتدلّى حولي . . .

وتاريخُنا يَنْضَحُ :

. . . فينا الجَمر ، الضحايا

وفينا

شهوةُ الملح ، شهوة الكوكب الجامح فينا ،

وصحوةُ الجنس في اللّيل ، وقربانهُ

وتسبيحةُ المرأة انهارَتْ على صدرِ فاتح يُغلق التّاريخَ ،

فينا الدّمُ الغيورُ الغرابيُّ الغَريب المقدّسُ المسفوكُ

والرّقيقُ : المليكُ والمملوكُ

. . . ــ كلّ شيءٍ كما كان والثّائرونْ

أصدقاءُ الرياح

يجرحون النّهار يسيرون بين الجراحْ . . .

غير أن أسير ، أسمّي ، أردّ إلى كلماتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سِحْرَ تكوينها ، أسمّي
بالجذور وإيقاعها ، أسمّي
شَجَرَ الخَلْجَةِ النبيّة في أولِ الفُصولْ
حيث لا يعرفُ الدّخانْ
أنَّ بين الحقولْ
وينابيعيَ الخفيَّهْ
سقطَتْ جثّةُ المكانْ .

. . . وأُسمّي ، وطفَّحت أنهاريَ البشريّه
غضباً ينسجُ الخيوطْ
بين صوتي وأمواجه ، والشّطوطْ
قوسُ نارٍ ــ حضنتُ الحريقْ
وقشرتُ المكانَ ، جعلتُ المكانْ
زَهراً يقرأ الطّريقْ
والخطى ترْجمان .

ورأيتُ أغانيَ تمشي وتنسجُ أقدامُها الشّباكْ
لطيور الكآبَهْ
ورأيتُ أغانيَ تلهو ، تعدّ الترابْ
حبّةً حبّةً ، والعذابْ
نائِمٌ في السّوادِ على ضفّةِ الغرابَهْ .

كانت الريحُ عينين مسنونتينْ
تخرقان الظّلامَ وعاداتِه ، تجرحانْ
جسَدَ اللّيلِ ، تشربانْ
دمَه الأسودَ ، المصفّى
حينما تصعد المقابرُ أو يسقطُ المَلاكْ
كانت الريح جنّيةً والأغاني
وجهها واليدينْ . . .

. . . . ـ ونادِرُ الأسودْ
كان الصّدى ، وكان
يجلس بين القمَر الجائعِ والبستانْ
يكتشفُ الظلَّ ، يغطّي جوعه وكانْ
كالدّهر ،
فلاّحاً من الفراتْ
يخيطُ جرحَ الماءْ
يمشي وتمشي خلفه السّماءْ .

حيث تجيء الشمس بعد النّومْ
إليّ ، كلَّ يومْ
حيث يصير الماءْ
من لهفةِ نافورةَ الحريقْ
حيثُ يكون الزّهَرُ الضائع في الطّريقْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجْراً من مدينَةْ .

4

ـ من أين أتيتْ؟

ـ من أرض الموتى ، من أجران الدّمع أتيتْ

لم أسكن بيت . . .

وحينما نزلتُ في مقبره

والشّمسُ تلتفُّ على كاحلي

كالعشبة المسكره

حملتُ للجوعِ قرابينَه

كان دمي أُضحيةً هاجرت

إلى غدٍ آخرٍ

كانت يدي مجمره . . .

ولم أجد في أول المقبره

ولم أجد في آخر المقبره

غيرَ الأطفالْ

كانوا وعد الأرض الحبلى

كانوا المدّ العاليَ والأمواجَ الحُبلى والشّلاّلْ . . .

ـ من أين أتيتْ؟

ـ كنت أُغامر في الغاباتْ

أركض خلف الجنّياتْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحلم أنّ الجنيّاتْ
خبزٌ . . .
. . . ومرّ عصفورٌ بلا هويّةْ
من فَلواتِ الطّيرْ
والتَمّت الأرضُ كمزهريّةْ
للّيل ، للبقيّةْ
من زَهرِ الصّبيرْ .
ـ من أينَ أتيت؟
ـ كنتُ حطّاباً عبدتُ الشّجرَةْ
وغرزتُ الفأس في أهدابها . . .
ـ كيف أتيتْ؟
ـ جئتُ في قافلةِ الرّعب وراياتِ الجنونْ
في بقايا فأسيَ المنكسرَةْ
مُرهقاً يحمل تاريخَ الغصونْ . . .

5

مهيازْ
يهبطُ في محيطِ قاسيونْ
في بَردى ، في فجوةِ السّقيفَةْ
في الغُوطةِ المفكوكة الأزرارْ
في اللّيلِ ـ محمولاً على قطيفَه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ شقائقُ النّعمانْ
والحجر الماسيّ والقنّب والرّمان
حشدٌ من الفرسانِ في إيوان قاسيونْ .
حيث تصيرُ النّارْ
بحيرةً ، ويُولَدُ العصفورْ
في ورَقِ اللّوتسِ ، حيثُ الماءْ
سفينةٌ تقلّ للأبناء من مقابرِ الآباءْ
مجامرَ البخّورْ :

. . . ـ تحتَ وجه الفسيفساءِ تربّعنا . . .
وغلغلتُ في ضبابِ الأريكَهْ
في دُوارٍ ، في حضنِ غيبوبةٍ خَضْراءَ
في طعم جنّةٍ
وسمعتُ البحرَ يبكي أمواجَه المنهوكَهْ . . .

ساطعٌ
لهبيٌ التّحوّلِ هذا الزّقاقُ ـ الحجارُ مرايا :
حجَرٌ سيّدُ المدينَهْ
حجَرٌ فارسُ المدينَهْ

قاطعٌ يتقدّم يجتاحُ يدخلُ في مقتلِ المدينه . . .
عجلاتُ النّهار ارتختْ ، والمدينَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسلمتْ وجهَها المدينَهْ
حيثُ تقصُّ الشَّمس بعدَ النَّومْ
عليَّ ، كلَّ يومْ :

. . . ـ ونادرُ الأسودْ
كالدَّهرِ ، فلاَّحٌ من الفراتْ
يخيطُ جرح الماءْ
يمشي وتمشي خلفَه السَّماءْ . . .

مهيارْ
جِسرٌ إلى الهُبوطِ حتَّى السّحر والشّقاءْ
في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السَّماءْ ـ

. . . ـ جسدي هنا ، جسدي هنالكَ ساحِرٌ
صوتٌ يئنُّ بلا صدًى
يرتاد يفتتحُ المدَى
هو والمدى . . .

فصلته جارحةُ البرُوقِ عن الدَّمِ اللّزجِ الهزيلْ
جسدي قِبابُ الأرزِ ، والنّهرُ المسافرُ ، والنّخيلْ . . .

كلّ شيءٍ كما كان ، والثائرون
أصدقاءُ الرّياحْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقراء الزوايا وأطفالُها والنساء البقايا
يجرحون النّهارَ يسيرون بين الجراحْ
كلّ شيءٍ كما كان : كفّاي مثقوبتانْ
والصّدى يشربُ النّزيفْ
كلّ شيءٍ كما كانَ : عيناي معصوبتانْ
والطّريقُ الرّغيفْ ،

. . . ـ سقطَتْ حربةٌ ، فلملمتُ أيامي
وأسلمتُها إلى كلماتي
في جذورِ التّفتحاتِ
ودفءِ الموتِ ، في موتيَ الصّديقِ المُؤاتي
في الغدِ النّافرِ المُهاجرِ ،
في البرْق الصّديقِ ، البرقِ البعيدِ الآتي
لستُ إلاّ إيقاعها : لستُ إلا
نَسَماً طائفاً
يفتّت روح الماء بين الأنقاضِ والأشتاتِ . . .

مهيارْ
وجهكَ برجُ اللّيلِ في سفينةِ البخّورْ
والحلُم في أجنحةِ اليمامِ واليمامُ في التنّورْ
والكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لم يعد حولي مكانٌ غير ظلّي
لم يعد حولي طريقٌ غير ظلي . . .

والذي غنّى وغنّى :

ـ كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كانْ
شجرٌ ماتَ ،

الكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

ـ أنتَ يا وجهَ المكانْ
نصفك الأول ماتْ
نصفكَ الآخر لم يُولَدْ . . .

وغنّى :

ـ كان لي ظِلٌّ منحتُ الظلَّ . كانْ
شَجرٌ ماتَ . . .

الكناريُّ الذي غَنّى وصلّى للحياةْ
طار من شوقٍ إلى الموتِ وماتْ . . .
مِهيارْ

وجهكَ برجُ الضّوءِ في سفينةِ الظّلامْ
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جسدٌ هنا جسدٌ هنالِكَ ساحِرٌ
يرتادُ يفتتحُ المدَى
هو والمدى . . .
حيثُ تقصّ الشّمسُ ، بعدَ النّومْ
عليَّ ، كلَّ يومْ :
. . . ـ وسمعت أساطيرَهم ، وخبزنا ، أكلنا
وقفنا أمامَ المرايا
ورأيتُ الوجوهَ الطّريدَهْ
وتجاعيدها ، ورأيتُ الجنونْ
وهو يسْتنفر العصورَ يسوقُ العصورْ
نحوها . ورأيتُ الرّماحْ
تنحني فوقنا كالغصون ، رأيتُ الغصونْ
في تقاطيعنا . . .
رأيت المراكبَ في فجوةِ الخليجْ
تحملُ النّار والرّياحْ
وغسلتُ المرايا وحرّرت إعصارها ، مَزجْتُ المرايا
والطّريقَ وتاريخها ، وجعلتُ المزيجْ
كيمياءَ العُصورِ الجديدَه . . .

ويجيءُ الصّباحْ
من تخومٍ خفيّهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لابساً حُمْرَةَ القطيفه
لهبيّاً وديعاً يطهّر ، يزرع جَذْرَ الرِّياحْ
في بلادِ الخليفه
وأقاليمِها الورقيَّهْ . . .
حيث رأى مهيارْ
ونادرُ الأسودْ
كيف تجيء الشمسُ بعدَ النَّومْ
إليَّ كلَّ يومْ
حيثُ يصيرُ الماءْ
من لهفةٍ نافورةَ الحريقْ
حيثُ يكونُ الورَقُ الضائعُ في الطَّريقْ
أجْرأ من مدينَهْ .

6

سقطَتْ مناديلُ الفَضاء بشارةً تلدُ البشارَهْ :
لم يبقَ إلاّ عابرٌ شربتْ ملامِحَه الجسورْ
هو مرَّةً ، نَجمٌ يشفُّ ، ومرَّةً ، نَجمٌ يَغُورْ ــ
لم يبقَ من تيهِ الطَّريق سوى الشَّرارَهْ
والماءُ نجَّارٌ يدورْ
يُعْطي ، يُشيرُ ، يمدُّ راحتَه ، ويُؤذِنُ بالعُبورْ .

(بيروت ، 1967)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا هو اسمي


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماحياً كل حكمةٍ هذه ناريَ

لم تبقَ آيةٌ ، دميَ الآيةُ

هذا بذْئي

دخلتُ إلى حوضكِ أرضٌ تدور حوليَ أعضاؤكِ

نيلٌ يجري طَفَونا ترسَّبْنا تقاطعتِ في دمي قطعَتْ

صدرَكِ أمواجيَ انْصهرتِ لِنَبْدأْ : نسيَ الحبُ شفرَةَ الليل ، هل

أصرخُ أنَّ الطوفان يأتي؟ لِنبْدأ : صرخةٌ تعرج المدينةَ

والناسُ مرايا تمشي إذا عبَر الملحُ التقينا هل أنتِ؟

ـ حبّيَ جرحٌ

جسديَ وردةٌ على الجرح لا يُقطَفُ إلا موتاً . دمي غُصُنٌ

أسلم أوراقَه استقرَّ . . .

هل الصخرُ جوابٌ؟ هل موتكِ السيدُ النائم يُغْوي؟ عندي

لثدييكِ هالاتٌ وَلوعٍ لوجهك الطفل وجهٌ مثلهُ . . . أنتِ؟ لم

أجدْكِ .

وهذا لهبي مَاحياً

دخلتُ إلى حوضكِ عندي مدينةٌ تحت أحزانيَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندي ما يجعل الغُصُنَ الأخضرَ ليلاً والشمسَ عاشقةً سوداءَ
عندي . . .

تقدَّموا فقراءَ الأرض غطّوا هذا الزّمان بأسمال ودمْع
غطّوهُ بالجسد الباحث عن دفئه . . . المدينةُ أقواسُ جُنُون
رأيتُ أن تلدَ الثورة أبناءَها ، قبرت ملايين الأغاني وجئتُ ،
هل أنتِ في قبريَ؟ هاتي ألمسْ يديكِ اتبعيني .

زَمني لم يجئْ ومقبرة العالم جاءت عندي لكل
السلاطين رمادٌ هاتي يديك اتبعيني . . .
قادرٌ أن أغيّر : لغمٌ الحضارة ــ هذا هو اسْمي
(لافتة)

. . . وقفتْ خطوة الحياة على باب كتابٍ محوته بسؤالاتِيَ
ماذا أرى؟ أرى ورقاً قيل استراحت فيه الحضارات ، هل
تعرف ناراً تبكي؟ أرى المئة اثْنينِ أرى المسجدَ الكنيسةَ
سيّافيْن والأرض وردةً .

طار في وجهيَ نَسْرٌ قدَّستُ رائحة الفوضى
لِيأْتِ الوقتُ الحزين لتستَيْقظْ شعوب اللهيب والرَّفض
صحرائيَ تنمو أحببتُ صفصافةً تحتارُ بُرْجاً يتيهُ مِئْذنةً
تهرمُ أحببتُ شاعراً صَفَّ لبنانُ عليه أمعاءَهُ في رسومٍ ومرايا
وفي تمائمَ

قلتُ الآن أُعطي نفسي لهاوية الجنس وأعطي للنار فاتحةَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم قلتُ استَقِرَّ كالرمح يا نيرون في جبهة الخليقةِ روما كلُّ بيتٍ روما التخيُّل والواقع روما مدينةُ الله والتاريخ قلتُ استقرَّ كالرمح يا نيرونُ . . .

لم آكل العشيَّة غير الرّملِ ، جوعي يدورُ كالأرضِ أحجارٌ قصورٌ هياكلٌ أتَهجّاها كخبزٍ رأيت في دميَ الثالثِ عينيْ مُسافرٍ مزج الناس بأمواج حلمِه الأبديِّ حاملاً شعلةَ المسافات في عَقْلِ نبيٍّ وفي دمٍ وَحْشيٍّ .

. . . وعليٌّ رَمَوْهُ في الجبِّ غَطُّوهُ بقشٍّ والشمس تحمل قتلاها وتمضي هل يعرف الضوءُ في أرض عليٍّ طريقَهُ؟ هل يُلاقينا؟ سمعنا دماً رأينا أنيناً .

سنقول الحقيقة : هذي بلادٌ
رفعت فخذَها
رايةً . . .
سنقول الحقيقة : ليست بلاداً
هي إصطبلنا القمريّ
هي عُكّازة السّلاطين سجّادةُ النبيّ
سنقول البساطة : في الكون شيءٌ يسمّى الحضور وشيءٌ
يُسمّى
الغيابَ نقول الحقيقةَ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نحن الغيابْ
لم تلدنا سماءٌ لم يلدنا ترابْ
إننا زَبدٌ يتخبّرُ من نَهَرِ الكلماتِ
صداً في السماء وأفلاكِها
صداً في الحياةِ!

(منشور سري)

وطني فيأً لاجئاً

وليكنْ وجهيَ فيئاً!
دهْرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول للنار
تحبلُ النار أياميَ نارٌ أنثى دَمٌ تحت نهديها صليلٌ
والإبطُ آبارٌ دمع نهَرٌ تائهٌ وتلتصق الشمس عليها كالثوبِ
تزلقُ جرحٌ فزّعته وشعشعَتْهُ ببَاهٍ وبهارٍ، هذا جنينُكِ؟
أحزانيَ وَرْدٌ .
دخلتُ مدرسة العشب جبيني مُشقّقٌ ودمي يخلع سلطانَه :
تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟ تناثرتُ في
رواقٍ من النار اقتسمْنا دمَ الملوكِ وجعْنا
نحمل الأزمنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مازجين الحصى بالنجومْ
سائقين الغيومْ
كقطيعٍ من الأحصنَه .

قادرٌ أن أغيّر: لغمُ الحضارةِ - هذا هو اسمي

ألأمّة استراحتْ
في عسل الرباب والمحرابْ
حصّنتها الخالقُ مثلَ خندقٍ
وَسدُّهْ .
لا أحدٌ يعرفُ أين الباب
لا أحدٌ يسأل أين البابْ .

(منشور سري) .

. . . وعليٌّ رموهُ في الجبِّ كان الجمر ثوباً له اشتعلنا
تمسّكنا بأشلائهِ اشتعلتُ مساءَ الخير يا وردةَ الرّماد
عليٌّ وطنٌ ليس لاسْمهِ لغةٌ ينزف نفْياً ويُثْبت العشب والماء
عليٌّ مهاجِرٌ
أين يغفو سيد الحزن كيف يحمل عينيه؟ سمائي مخنوقةٌ
كتِفي تهبط والأرض خوذةٌ مُلئتْ رملاً وقَشاً هَلعْتُ أركض
غطّتني سنونوّةٌ نهضتُ لهيبُ ناهداها نهضتُ أفتحُ شبّاكاً :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقولٌ خضرٌ أنا الفاتح الآخر والأرض لعبةٌ فرسٌ تدخل في الغيمِ
يخرج الشجرُ العاشقُ غصنٌ يهزّني انْبجَس الماء انتهى
زمن الناس القديمُ ابتدأتُ وجهي مداراتٌ وفي الضوء ثورةٌ .
أيقظتْني قريةٌ في مهبِّهِ انْكسر الصمتُ
احتضنّي يا خالقَ التعبِ امنحني أَراجيحَكَ امتحنّي أنا
الصخرة والبحث والسُّؤالُ ولا عيدٌ ولا موقدٌ أنا الشّبَحُ الراصدُ
في فجوة المدينةِ والناس نيامٌ دخلتُ في شَرَكِ الضوء
نقيّاً كالعُنْف أسطعُ كالتيه خفيفاً أطرافيَ البرق أطرافي رياحٌ
منحوتةٌ ليس عظمي طعمَ تاجٍ أو فضّةٍ لستُ مُلْكاً ودمي هجرةُ
السماء وعيناي طيورٌ يُقال جلدكَ شوكٌ لتمتْ ولتكن
سمائي من جلدكَ صفراء قيل جلدكِ دهرٌ راسبٌ في قرارة الحلْمِ
ولْتُولدْ حِرابُ الوقيعة الأبديّه
بيننا حفرة انهدامٍ وصوتي
هذيانُ المغيرِ يكسر عُكّاز الأغاني ويقلع الأبجديّه

. . . والنساءُ ارْتحْنَ في مَقْصورةٍ
يستجرْنَ الكتبَ المستنزلَهْ
ويُحوّلْنَ السماءْ
دميةً

أو مقصلةْ
وعليٌّ فاتحٌ أحزانَه
لبهاليل الشقاءْ
للذين استنْسروا وانكسروا . . .
وعليٌّ لَهبٌ
ساحرٌ مشتعلٌ في كلّ ماءْ
عاصفاً يجتاحُ ـ لم يترك تراباً أو كتاباً
كَنس التاريخ غطّى
بجناحيه النّهارْ
سرّه أنّ النهار
جُنّ
هذا زمنُ الموتِ ، ولكن
كلّ موتٍ فيه موتٌ عربيّ
تسقط الأيام في ساحاتهِ
كجذوع الأرزة المكتهلةْ
إنه آخرُ ما غنّي بهِ
طائرٌ في غابةٍ مشتعلةْ .

وطني راكضٌ ورائي كنهرٍ من دم جبهة الحضارةِ
قاعٌ طحلبيٌّ لملمت تاجاً تقمّصْتُ سراجاً هامت
دمشق حنّت بغدادُ سيفُ التاريخ يُكسّرُ في وجه بلادي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَن الحريقُ مَن الطوفانُ؟

كنتِ الصحراء حين أسرتُ الثلج فيكِ انشطرتُ مثلك رملاً
وضباباً صرختُ أنتِ إلهٌ لأرى وجهه لأمحوَ ما يجمع بيني
وبينه قلتُ جاسدِتك أنتِ الشِقُّ المليء بأمواجي أنا الليلُ
حافياً حين أدخلتك في سُرَّتي تناسلتِ في خطوي طريقاً
دخلتِ في مائيَ الطِّفل استضيئي تأصّلي في متاهي
خدَرٌ مشمرٌ يعرِّش حول الرأس حلمٌ تحت الوسادة أياميَ
ثقبٌ في جيبيَ اهترأ العالَمُ حوّاء حاملٌ في سراويليَ
أمشي على جليدِ
ملذّاتيَ أمشي بين المحيِّر والمعجزِ أمشي في وردةٍ
زهراتُ اليأس تذوي والحزن يصدأ جيشٌ من وجوهٍ
مسحوقةٍ يعبر التاريخ جيشٌ كالخيط أسْلَم واستسلَم ، جيشٌ
كالظِّل أركض في صوت الضحايا وحدي على شفة
الموت كقبرٍ يسيرُ في كرةِ الضوءِ ـ
انصهرنا دَمُ الأحباء كالأهداب يحمي سمعتُ نبضكِ في
جلديَ ، هل أنتِ غابةٌ؟ سقط الحاجزُ ، هل كنتِ حاجزاً؟
سأل النورس خيطاً في البحر يغزله الرُّبانُ غنّى ثلج المسافر
شمساً لا يراها ، هل أنتِ شمسيَ؟ شمسي ريشةٌ تشرب
المدى سمع الضّائع صوتاً ، هل أنتِ صوتيَ؟ صوتي زمني
نبضك الشهيُّ ونهداك سوادي وكل ليلٍ بياضي
زحفت غيمةٌ فأسلمتُ للطوفان وجهي وتهتُ في أنقاضي . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلت الرّملَ في أهدابها
شجراً يمطر والصحراء غيمَهْ
قلتُ : هذي الجرّة المنكسره
أمّة مهزومةٌ ، هذا الفضاءْ
رَمَدٌ ، هذي العيونْ
حُفَرٌ ، قلت الجنون
كوكبٌ مختبئٌ في شجره .
سأرى وجه الغرابْ
في تقاطيع بلادي ، وأسمّي
كَفَناً هذا الكتابْ
وأسمّي جيفةً هذي المدينه
وأسمّي شجرَ الشام عصافير حزينه
ربما تولَدُ بعد التّسميهْ
زهرة أو أغنيهْ ،
وأسمّي قمرَ الصحراء نخلهْ
ربما استيقظت الأرض وعادت
طفلةً أو حلْم طفلهْ
لم يعد شيءٌ يغنّي أغنياتي :
سيجيء الرافضونْ
ويجيء الضوء في ميعادهِ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يعد غيرُ الجنونْ
هل لتاريخيَ في ليلكَ طفلٌ
يا رمادَ المدفأه
غضبُ الثورة جمرٌ عاشقٌ
وأغانيّ امرأةْ :
هل لتاريخيَ في ليلكَ طفلٌ؟

ألغبارُ التراثيّ في العظم   ألجأُ؟ هل يُلجِئُ الغبارْ؟
لا مكانٌ ولا ينفع الموتُ . . . هذا دُوارْ
من يرى جثّة العصور على وجهه ويكبو   لا حِراكٌ
يحسٌ الكهولَةْ
حلْمةٌ للطفولَةْ .

قادِرٌ أنْ أغيّر: لغمُ الحضارة ـ هذا هو اسمي

عُدْ إلى كهفكَ التواريخُ أسرابُ جرادٍ ، هذا التاريخُ
يسكن في حضن بغيٍّ يجترُّ يشهق في جوف أتانٍ ويشتهي عفَنَ
الأرض ويمشي في دُودةٍ عُد إلى كهفكَ واخفض عينيكَ

ألمح كِلْمَةْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلنا حولها سرابٌ وطينٌ لا امرؤُ القيس هزّها والمعرّي
طفلُها وانحنى تحتها الجُنَيْدُ انحنى الحلاج والنِّفّري
روى المتنبي أنها الصَّوت والصَّدى أنتَ مملوكٌ
هيَ المالكُ الملاكُ غدُ الأمة فيها كبذْرَةٍ
عُدْ إلى كهفكَ
ماذا؟ نَفَوهُ أو قتلوهُ؟
قتلوهُ . . . لا لن أحدّث عن موتي صديقي : رِيفٌ من الزَّهَر
الأصفر حولي لكن سأكتب عن آخر غصنٍ في أرزةِ
البيتِ عن رفٍّ يمامٍ يجرّ سَجّادة الليل عن الحلْم عالياً
كبُروج
قتلوهُ لا لن أفوهَ بأسماء شهودٍ أو قاتلينَ ولن أبكي
سأبكي لأمةٍ وُلدت خرساء للتّمِّ حاضناً زرقة الشطآن يبكي :
لِمَ البكاء على طفلٍ على شاعرٍ؟ سأكتب عن آخر فَيْءٍ
لأرزة البيت عن رفٍّ حمامٍ يجر سجّادةَ الليل عن الحلم عالياً
كجبالٍ .
وضعَ السيّدُ الخليفة قانوناً من الماءِ شعبُه المرَقُ الطّينُ
سيوفٌ مصهورةٌ وضع السيّد تاجاً مُرصّعاً بعيون الناس
هل هذه المدينة أيّ؟ هل ثياب النساء من ورق المصحفِ
أدخلت محجري
في مضيقٍ حفرتْه الساعاتُ ساءلتُ هل شعبيَ نهرٌ بلا مصبٍّ؟
أغنّي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لُغَة النصْل   أصرخُ انْثقب الدهر وطاحت جدرانُه
بين أحشائي   تقيّأتُ لم يعد ليَ تاريخٌ ولا حاضرٌ
أنا الأزَقُ الشمسيُّ والفُوهة الخطيئة والفعلُ   انتظِرْني
يا راكبَ الغيم أشيائيَ تغوى والشمس تخبط أطرافي أنا
الساكنُ المدى والمزامير أنا الغصنُ لاجئاً : أَصْغِ هل تسمع هذا
النواح في كبد العالم؟   أُصغي للموت بين
تجاعيدي   هَذَينا
هذيتُ كي أحسنَ الموت اصطفيتُ النهدين بين تقاليديَ
هل جلدكِ السقوط هل الفخذان جرحٌ ملأته التأمَ
العالمُ   هل أنتِ مقلعُ الليل في جلديَّ؟ فأسي مسنونةٌ
صرتُ نبعاً آخراً ضِفَّتي تفيضُ ذراعاك اعترافٌ قوسٌ حملتكِ
وجهي صخَبٌ طائرٌ تقاسَمهُ الصوت اسْأليني أُجِبْ . . .
تكلَّمَ جَفْرٌ رصدتني خيولهُ انطفأ الهمسُ ، أعندي أعندَكِ الآن
ما يُهمسُ؟   نارٌ ملجومةٌ سفُنٌ تجنَحُ بحرٌ مروّضٌ
فتح النورس عينيه أغلقي   نَسي الفتْحةَ   في
ريشه المشعّثِ ماءٌ وشرارٌ   لو كان لو عرف الرعد لو
الرَّعد في يديَّ
هُدوءاً هذه قُبَّةٌ وسُكنايَ في فُوهَة نَهْدٍ   أظلّ أحفر لو
غيّرت لو غيّر الغبارُ عذاراهُ لو النارُ همزةٌ . . .
ذُبْتِ في جنسيَ جنسي بلا حدودٍ ولا سيفٍ تلاشَيْ لاشِي
تلاشيتُ وجهٌ واحدٌ نحن لا قميصيَ تفّاحٌ ولا أنتِ جنّةٌ نحن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقلٌ وحصادٌ والشمس تحرسُ أنضجْتُكِ جيئي من ذلك
الطرف الأخضر هذا قطافنا جسدانا زارعٌ حاصدٌ
وحيدةَ أعضائيَ جيئي من ذلك الطَّرَف استحضرتُ
موتي وسَلسليني ملكْنا جَمْرةَ الوقتِ والحنين ملكنا رَغَد الكون
وهو يلتحف الناس اهتدينا . . .
قرأتُ في ورقٍ أصفرَ أنّي أموت نفياً تنوّرتُ الصّحارى
شعبي يشطّ . . . نبشنا كلماتٍ دفينةً طعمها طَعمُ
العذارى دمشق تدخل في ثوبيَ خوفاً حباً تخالط
أحشائيَ تلغو . . .
لفظتِ جلدكِ خلّي شفتيك اصهريهما بين أسناني أنا الليل
والنهارُ أنا الوقتُ انصهرنا تأصّلي في متاهي . . .

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلتُ الرّمل في أهدابها
شجراً يمطر والصحراء غيمَةْ
ورأيتُ الله كالشّحاذ في أرض عليٍّ
وأكلت الشمس في أرض عليٍّ
وخبزت المئذنَةْ
ورأيت البحر يأتي في ضباب المدخنه
هائجاً يهمس :
مَن كوّننا

لم يكن تكوينه إلا سقيفَهْ
رجّها الإعصار فانهارت وصارت
خشباً يُحرَقُ في دار خليفهْ .
نادرٌ أن ينطقَ البحرُ ولكن
نطقَ البحرُ : يبسنا
يبس التاريخ من تكرارِه
في طواحين الهواءْ
سقطَ الخالق في تابوتِه
سقطَ المخلوقُ في تابوتِه . .
والنساء ارتحْن في مقصورةٍ
ينتشلن الليلَ من آبارِه
ويُخيّطن السماءْ
ويغنّين : عليٌّ لَهبٌ
ساحرٌ مشتعلٌ في كل ماءْ
ويسائلن السماء :
نجمةٌ أو مومياءْ
هذه الأرضُ؟
ويفْتقنَ السّماء
ويرقّعن السماء
قَبَر الدجّالُ في عينيه شعباً
نَبشَ الدّجال من عينيه شعباً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسمعناه يصلّي فوقَه
ورأيناه يحيّيه ويجثو
ورأينا
كيف صار الشعب في كفّيه ماء
ورأينا
كيف صار الماء طاحونَ هواءْ .

جزُرٌ للهيب تصعدُ فيها آسيا يصعدُ الغدُ   انطفأت
شمسٌ   حلمنا بغير ما هجسَ الليل   نهاري يقاسُ
باللّهبِ   استصرختْ صوتُ الشعوب يفتتحُ الكونَ
ويُغوي

لستُ الرمادَ ولا الريحَ

سريري أشهى وأبعدُ   أقفاصٌ دروبٌ مهجورَةٌ
فرسُ الماضي رمادٌ وصبغةُ الله لونٌ آخرٌ
لا يَدٌ عليٌ
عليٌّ أبدُ النار والطفولةِ   هل تسمع برق العصور
تسمع آهاتِ خطاها؟ هل الطريقُ كتابٌ أو يدٌ؟   إصبعُ
الغبار كدرويشٍ يغنّي ملكَ الأساطير   هاتوا وطناً قرّبوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدائن هزّوا شجر الحلم غيّروا شجر النوم كلامَ السماء
للأرضِ
طفلٌ تائهٌ تحت سرّةِ امرأةٍ سوداء بحثاً
طفل يشبُّ
وللأرض إلهٌ أعمى يموت . . .

سلامٌ

لوجوهٍ تسير في وحدة الصحراء للشرق يلبس العشب
والنارَ   سلامٌ للأرض يغسلها البحر سلامٌ لحبّها . . .
عُرْيكَ الصاعقُ أعطى أمطاره يتعاطانيَ رعدٌ في نهديَ
اختمرَ الوقت تَقدَّمْ هذا دمي أَلَقُ الشرق اعترفْني وغِبْ
أصْبِغْني لفخذيك الدويّ البرق اعترفْني تبطَّنْ جسَدي
ناريَ التوجّه والكوكب جرحي هدايةٌ أتهجّى . . .
أتهجّى نجمةً أرسمُها
هارباً من وطني في وطني
أتهجّى نجمة يرسمها
في خطى أيامه المنهزمه
يا رماد الكلمه
هل لتاريخيَ في ليلك طفلٌ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يَعُدْ غيرُ الجنون

إنني ألمحهُ الآنَ على شبّاك بيتي
ساهراً بين الحجار الساهره
مثل طفلٍ علّمته الساحره
أنّ في البحر امرأهْ
حمَلتْ تاريخه في خاتمٍ
وستأتي
حينما تخمد نارٌ المدفأه
ويذوب الليل من أحزانِه
في رماد المدفأه . . .

. . . ورأيت التاريخ في رايةٍ سوداء يمشي كغابةٍ لم
أُؤَرِّخْ
عائشٌ في الحنين في النار في الثورة في سحر سُمِّها
الخلاّقِ
وطني هذه الشرارة ، هذا البرق في ظلمة الزمان الباقي . . .

(أوائل كانون الثاني ، 1969)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجه يافا طفلٌ   هل الشجَرُ الذابل يزهو؟ هل تَدخل
الأرض في صورة عذراءَ؟   من هناك يرجّ الشرق؟
جاء العصف الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ   صوتٌ
شريدٌ . . .
(كان رأسٌ يهذي يهرّجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ) ،
هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ   كان طفلاً وكان أبيض
أو أسودَ ، يافا أشجارُه وأغانيه ويافا . . .
تكدّسوا ، مزّقوا وجهَ عليٍّ

دمُ الذبيحة في الأقداحِ ، قولوا : جبّانةٌ ،
لا تقولوا : كان شعري ورداً وصار دماءً ،

ليس بين الدماء
والورد إلا خيط شمسٍ ، قولوا : رماديَ بيتُ
وابنُ عبّادَ يشحذ السّيفَ بين الرأس والرأس
وابن جَهْورَ ميْتُ .

لم يكن في البدايهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير جذْرٍ من الدمع   أعني بلادي
والمدى خيطيَ ـ انقطعتُ وفي الخُضْرَةِ العربيّهْ
غرِقتْ شمسيَ   الحَضارة نَقّالةٌ ، والمدينهْ

وردةٌ وثنيّهْ
خيمةٌ

هكذا تبدأ الحكايةُ أو تنتهي الحكايَهْ .
والمدى خيطيَ ـ اتّصلْتُ أنا الفوهةَ الكوكبيهْ
وكتبتُ المدينه
(حينما كانت المدينة مقطورةً والنواحْ
سورُها البابليُّ) ، كتبتُ المدينهْ

مثلما تنضحُ الأبجديّهْ
لا لَكَيْ ألأمَ الجراحْ
لا لِكَيْ أبعثَ المومياءْ
بل لكي أبعثَ الفروقَ . . .   الدِّماءْ
تجمعُ الوَرْدَ والغرابَ   لكي أقطَعَ الجسورْ
ولكي أغسل الوجوه الحزينه
بنزيف العصورْ .
وكتبتُ المدينه
مثلما يذهب النبيُّ إلى الموت   أغنّي بلادي

وبلادي الصّدى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والصّدى والصّدى . . .

كشفَتْ رأسها البَاءُ ، والجيمُ خصلةُ شَعْرٍ ، إنْقرضْ إنْقرضْ
ألفٌ أولُ الحروف انْقرضْ إنْقرضْ
أسمعُ الهاءَ تنشجُ ، والراءُ مثلُ الهلالْ
غارقاً ذائباً في الرمالْ
إنقرضْ إنقرضْ
يا دماً يتخثّر يجري صحارَى كلامْ
يا دماً ينسج الفجيعة أو ينسج الظلامْ
إنْقرض إنْقرض
سحرُ تاريخكَ انتهى ،
واعْذري واغْفري
يا قرونَ الغزالاتِ ، يا أعينَ المها . . .

أحارُ ، كلٌّ لحظة أراكِ يا بلادي
في صورةٍ ،
أحملكِ الآنَ على جبيني ، بين دمي وموتي : أأنتِ مقبرهْ
أم وردةٌ؟

أراكِ أطفالاً يُجرْجِرونْ
أحشاءهم ، يُصغونَ يسجدونْ
للقيد ، يلبسونْ
لكلِّ سَوْطٍ جلدهُ . . . أمقبرهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أم وردةٌ؟

قتلِتني قتلت أغنياتي
أأنت مجزرهْ
أم ثورةٌ؟
أحارُ، كلّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي في صورةٍ . . .

وعليٌّ يسأل الضوءَ، ويمضي
حاملاً تاريخَهُ المقتولَ من كوخٍ لكوخٍ :

«علّموني أنّ لي بيتاً كَبَيْتي في أريحا
أنّ لي في القاهره
إخوةً، أنّ حدودَ الناصره
مكةٌ .
كيف اسْتَحالَ العلمُ قيداً
والمدى نارَ حصار، أو ضَحيّهْ؟
ألهذا يَرْفضُ التاريخ وجهي؟
ألهذا لا أرى في الأفْقِ شمساً عربيّه؟»
آهِ لو تعرف المهزلَهْ
(سمّها خطبةَ الخليفةِ أو سمّها المهرجانْ)
ولها قائدانْ
واحدٌ يَشْحذُ المقصلَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدٌ يتمرّغُ . . . لو تعرف المهزلَةْ
كيف ، أينَ انسللْتْ
بين عُنْقِ الذّبيح ومِقْصلة الذّابحينْ؟
كيف ماذا ، قُتلتْ؟
كُنتَ كالآخرينَ ، انتهيتَ
ولم تَنْتَهِ المَهزلةْ
كنتَ كالآخرينَ ـ ارْفضِ الآخرينْ
بدأوا من هناكَ ابتدئْ من هُنا
حول طفلٍ يموتْ
حولَ بيتٍ تهدّم فاسْتعمَرتْه البيوتْ
وابتدئْ من هنا
من أنين الشوارع من ريحها الخانقةْ
من بلادٍ يصير اسمها مقبره
وابتدئْ من هنا
مثلما تبدأ الفجيعةُ أو تُولَد الصّاعقةْ
مُتَّ؟ ها صرْتَ كالرعد في رَحِم الصّاعقه
بارئاً مثلما تَبْرأُ الصاعقه
أُنظر الآن كيف انْصهرتَ وكيف انبعثتَ ، انتهيتَ ولم تَنْتَهِ
الصّاعقَةْ .

أعرفُ ، كان ملكَكَ الوحيدَ ظِلُّ خيمةٍ ، وكان فيها خِرقٌ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومرّةً يكونُ ماءً ، مرّةً رغيفً ، وكان أطفالك يكبرونْ
في بُرْكةٍ ،
لم تَيْأسِ انْتفضْتَ صرتَ الحلمَ والعيونْ
تظهرُ في كوخٍ على الأرْدنِّ أو في غَزَّةٍ والقدْسْ
تقتحمُ الشارعَ وهو مأتَمٌ تتركه كالعرْسْ
وصوتُك الغامرُ مثلُ بحرٍ
ودمُكَ النافرُ مثلُ جبلٍ
وحينما تحملك الأرضُ إلى سريرها
تترك للعاشقِ للآحقِ جدولينْ
من دمكَ المسْفوحِ مرَّتينْ .

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل
الأرضُ في صورةِ عذراءَ مَنْ هناكَ يرجُّ الشرق
جاء العَصْفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتٌ
شريدٌ . . .
سقطَ الماضي ولم يسقطْ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)
دالٌ قامةٌ يكسرها الحزنُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقطُ؟)
قافُ قابُ قوسين وأدْنى
أطلبُ الماءَ ويعطينيَ رملاً
أطلب الشمسَ ويعطينيَ كهفاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيّدٌ أنتَ؟ ستبقى

سيّداً . عبدٌ؟ ستبقى

هكذا يؤثَرُ ، يعطينيَ كهفاً وأنا أطلبُ شمساً ، فلماذا سقط

الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تَنْسلُ أياماً كئيبَةْ

هذه الأرضُ الرّتيبهْ .

سيّدٌ أنتَ؟ ستبقى

سيّداً عبدٌ؟ ستبقى

غيِّر الصورةَ لكن سوف تبقى غيِّر الرايةَ لكن سوف تبقى

. . . في خريطةٍ تمتدّ . . . إلخ ، حيث يدخلُ السيّد المقيمُ

في الصفحة ١ راكباً حيواناً بحجم المشنقة ، يتحوّلُ إلى تمثالٍ

ملء الساحات العامة . و(كانت) الحاكمة تغسل عجيزتها

وحولها نساءٌ يدخلن في الرّمح ويمضغن بخورَ القصر والرجال

يسجّلون دقات قلوبهنّ على زمنٍ يتكوّم كالخرقة بين الأصابع

حيث

ك ترتجف تحت نواةٍ رفضيّةٍ بعمق الضوء

ت تاريخٌ مسقوف بالجثث وبخار الصلاة

أ عمود مشنقة مبلّلٌ بضوءٍ موحل

ب سكين تكشط الجلد الآدميّ ، وتصنعه نعلاً لقدمين سماويتين

في خريطةٍ تمتدّ . . . إلخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شجرٌ يثمرُ التحوّلَ والهجرةَ في الضوءِ جالسٌ في فلسطين
وأغصانُهُ نوافذُ أصغينا لأبعادِه قرأنا معه نجمةَ الأساطيرِ
جندٌ وقضاةٌ يدحرجون عظاماً ورؤوساً ، وآمِنونَ كما يرقد حلمٌ
يُهَجَّرون ، يُجَرّونَ إلى التِّيه . . .

كيف نبدأ؟

(ـ يكفيني رغيفٌ ، كوخٌ وفي الشّمس ما يمنح فَيْئاً ، لا
لستُ خوذةَ سيّافٍ ولا ترسَ سيّدٍ ، أنا نَهرُ الأردنَ أسْتَفْردُ
الزهورَ وأغويها دمٌ نازفٌ تبطّنتُ أرضي ودمي
ماؤها دمي وسيبقى ذلك السّاهِرُ النحيلُ : غبارٌ يمزجُ العاشقَ
المشرّدَ بالريحِ ، ويبقى نسْغٌ) .

يتمتم طفلٌ ، وجهٌ يافا
طفلٌ هنا سقط الثائرُ حيفا تئنُّ في حجَرٍ أسوَدَ
والنَّخْلةُ التي فيّأت مريمَ تبكي همسْتُ في قدمي جوعٌ
وفي راحتيَّ تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارَنا (بُقع الدمع
طريقٌ) أجسُّ خاصرة الضوء يجثُّ الصحراءَ والكونَ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثار كوكبٍ ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي . . .
في زَمن الرّماد ، شَخْصٌ رَمَى تاريخه لِجمْر أيّامِنا ، وماتَ
(لن تعرفَ حرّيةً ما دامت الدولةُ موجودةً) .

تذكرُ؟ (والقاعدهْ
وسلطةُ العمال . . .) ما الفائده

تنحدرُ الثورة بعد اسْمهِ
في لفظةٍ ، تمتدّ في مائدهْ
هل تقرأ المائده؟

كان فدائيٌّ يخطّ اسمه ناراً وفي الحناجر البارده
يموتُ
والقدسُ تخطّ اسمها :
لم تزل الدولةُ موجودةً
لم تزل الدولةُ موجودةً

غيرَ أنَّ النّهرَ المذبوحَ يجري :
كلّ ماءٍ وجه يافا
كل جرحٍ وجه يافا
والملايين التّي تصرخُ : كلاّ ، وجه يافا
والأحبّاء على الشُّرفة ، أو في القيد ، أو في القَبْر يافا
والدّمُ النازِفُ من خاصرةِ العالم يافا
سمّني قيساً وسَمِّ الأرض ليلى
باسْم يافا
باسم شعبٍ يرفع الشمس تَحيّهْ
سمّني قنبلةً أو بندقيّهْ . . .

هذا أنا : لا ، لستُ من عصر الأفولْ
أنا ساعةُ الهتْك العظيم أتت وخلخلةُ العقولْ
هذا أنا ـــ عبرَتْ سحابه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حبلى بزوبعة الجنونْ

والتّيهُ يمرق تحت نافذتي ، يقول الآخرونْ :

ماذا يقول الآخرون؟

(ـ يرعى قطيع جفونهِ

يصل الغرابةَ بالغرابةْ) .

هذا أنا أصلُ الغرابةَ بالغرابةْ

أرّخَتُ : فوق المئذنهْ

قمرٌ يسوس الأحصنَهْ

وينام بين يدَيْ تميمه

وذكرتُ : بقّعتِ الهزيمه

جَسدَ العصورْ

وَهْرانُ مثل الكاظميّهْ

ودمشق بيروت العجوز

صحراءُ تزدردُ الفصولَ ، دمٌ تعفّنَ ــ لم تعد نارُ الرموزْ

تلِد المدائن والفضاء ، ذكرتُ لم تكن البقيّهْ

إلا دماً هَرماً يموتُ يموتُ بقّعت الهزيمَهْ

جسدَ العصورْ .

. . . في خريطةٍ تمتدّ إلخ ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيجٍ

تعبرُ في مسامّه رؤوسٌ كالقطن المنفوش ، أيامٌ تحمل أفخاذاً

مثقوبةً تدخل في تاريخٍ فارغ إلا من الأظافر ، مثلّثاتٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة ؛ كلّ شيء يدخل
إلى الأرض من سُمّ الكلمة ، الحشرةُ الله الشاعر

بالوَخْز والأرق وحرارةِ الصّوت ، بالرّصاص والضوء ،
بالقمر ونملة سليمان ، بحقولٍ تثمر لافتاتٍ كتب عليها «البحث
عن رغيف» أو «البحث عن عجيزة لكن استتروا» أو «هل
الحركة في الخطوة أم في الطريق؟» .

والطريقُ رملٌ يتقوّس فوقه الهواء والخطوة زمنٌ أملس
كالحصاة . . .

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يسمّونه
الوطن يجلس على حافّة الزمن يكاد أن يسقط ، «كيف يمكن
إمساكه؟» سأل رجل مقيّد وشبه ملجوم ،

لم يجئه الجواب لكن جاءه قيدٌ آخر وأخذ حشدٌ كمسحوق
الرمل يفرز مسافةً بحجم لام ميم ألف أو بحجم ص ع ي هـ
ك ويسير فيها ينسج راياتٍ وبُسُطاً وقباباً ويبني جسراً يعبر عليه
من الآخرة إلى الأولى . . .

حيث عبرت ذبابةٌ وجلست على الكلمة ، لم يتَحرّك حرف ،
طارت وقد استطال جناحاها عبرَ طفلٌ وسأل عن
الكلمة طلع في حنجرته شوكٌ وأخذ الخرَس يدبّ إلى
لسانه . . .

في خريطةٍ تمتد . . . إلخ ، حيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«العدوُّ يطغى وهم يخسرون ، ويمدّ وهم يجْزُرون ،
ويطول وهم يَقْصرُون ، إلى أن عادوا إلى علمٍ ناكسٍ
وصوتٍ خافت ، وانْشغل كلّ ملكٍ بسدّ فتوقه ،
. . . وعندما يجدّ الجِدُّ ويطلب الأندلس عَوْنَ الملك
الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة ، وقد سقط في أيدي
الأسبان ، يكتفي بالأسَف والتّعزية ويقول بأنّ الحرب سجالٌ
وفي سلامتكم الكفاية ، . . . ولم يزل العدوّ يواثبهم
ويكافحهم ويُغادِيهم القتالَ ويراوحهم حتّى أجْهضَهم عن
أماكنهم وجَفّلهم عن مسْاكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق
واسْتأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق . . .» .

في خريطة تمتد . . . إلخ ،

رفضَ التاريخُ المعروفُ الذي يُطبخ فوق نار السلطان أن
يذكر شاعراً . . . والبقية آتيةٌ ،
في خريطةٍ تمتدّ . . . إلخ .
يأتي وقتٌ بين الرّماد والورد
ينطفئُ فيه كلّ شيء
يَبْدأ فيه كلّ شيء .

. . . وأغنّي فجيعتي ، لم أعد ألمح نفسي إلاّ على طرَف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخ في شفْرةٍ سأبدأُ ، لكن أين؟ من أين؟ كيف
أوضح نفسي وبأيّ اللّغاتِ؟ هذي التي أرضع منها تخونُني
سأزكّيها وأحيا على شفير زمانٍ ماتَ ، أمشي على شفير زمانٍ لم
يجئ

غيرَ أنني لستُ وحدي

. . . ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائيَ   نهرُ العبيد
يهدرُ ، يجتاحُ اكتشفنا ضوءاً يقود إلى الأرض ، اكتشفنا شمساً
تجيء من القبضةِ ، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخٍ
يموت ، نَستشْرفُ الآتي ، هُياماً ورغبةً .

لستُ وحدي
. . . وجه يافا طفلٌ   هل الشجر الذابل يزهو؟ هل
تدخل الأرض في صورة عذراء؟   من هناك يرجّ
الشرقَ؟   جاء العَصْفُ الجميل ولم يأت الخراب الجميلُ
صوتٌ شريدٌ . . .

خرجوا من الكتب العتيقةِ حيثُ تهترئُ الأصولْ
وأتوا كما تأتي الفصولْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضنَ الرّمادُ نقيضَهُ
مَشَتِ الحقولُ إلى الحقولْ :
لا ، ليس من عصر الأفولْ
هو ساعةُ الهتْكِ العظيمِ أتتْ ، وخلخلةُ العقولْ .

(بيروت ، خريف 1970)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصيدة ثمود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وانْقشُوا صَخرةَ النّهرِ، عِزْزالَهُ
والبياضَ المخبّأَ في لوحِ أيّامهِ ـ انْقُشوها
بالحَنينِ، وبالشّمسِ تَخلعُ في وَرْدةٍ
ثوبَها كيْ تُفيقَ، وتَلبَسُ رُمّانةً كيْ تنامْ .

حَبَقُ البَيْتِ، نَعْناعُهُ
شُرفتانِ لكلِّ يدٍ تُومئانْ
لم أكن بَعْدُ أعرفُ كيف يُضاءُ المكانْ
بالصّداقةِ . نَجْمي
لمْ يكُنْ دارَ في فَلكِ الأصْدقاءْ
لم يكنْ بعدُ يكْبو، وتَشْحَطُ رِجْلاهُ في مَهْمَهٍ من جِراحْ .
غيرَ أنّ الصّباحْ
كان يُلقِي دفاتِرَهُ، كلَّ يوم
في فراشيَ، بينَ يدَيّ، ويُملي رسائلَهُ لِلفضاءْ، ـ
تنْتَشي تَلّةٌ،
يَزْدَهي ساحِلُ
ألْينابيعُ تقرأُ لِلعُشْب أسْفارَها
وَالغُصونُ تَسُوسُ الهَواءْ .
ـ ما لَهُ ثَوْرُكَ الجافلُ؟
وَجْهُهُ ناحِلٌ، لونهُ حائلٌ،
هل تَنشَّقَ خَمّارَةً؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

I

... رجعَ القول إلى أحوال ثمودٍ /

II

خرجَتْ من أصداف الماء وجاءتْ
في ليلٍ
بردَى زوجٌ ، والأشجارُ ثيابٌ /
لم أعرفْها .
ألوَردُ يدلّ عليها
والفجر الصّاعدُ في درجات الشمس يدلّ عليها
وشفَافيةُ الحزْنِ المرسوم على قسمات الناس ، تدلّ عليها /
لم أعرفها .

وأنا الطّالعُ من أغوارٍ لا أذكرها ، أذكر : في خطواتي
كرَزٌ وحشيٌّ ، في خُطواتي
كوكبُ جَمْرٍ /

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والكرزُ الوحشيُّ يدلّ عليها
والجمرُ يدلّ عليها /
لم أعرفْها .

ما أعمقَ جهليَ ـ لم أعرفْ
كيف أعمِّر من أشلاء الآخر بيتاً
كيف أجاهِرُ أنّ الدمية حُبلى بالأطفالِ ،
وأنّ الدّفلى تمْرّ
لم أعرفْ

كيف أعاشرُ أوراقاً تُسقى
لبناً تحتَ خيام قُريْشٍ
وتُوَزِّعُ بين قصور أميّةْ
عسَلاً ،
وتقول : الصحراءُ الماءْ
بدءاً من هذي الصّحراءْ
والأشياء المرئيّة ليست مرئيهْ ، ـ
لم أعرفْ

كيف أدافعُ ، فيما كنتُ أموتُ /
استسلمتُ كأنيَ طِفلٌ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هل يُسعفني هذا الجهل؟ ولكن
من أين أجيءُ ، وكيف أجدّد للكلمات الجنسَ ، ولِلّغة الأحشاءَ
لأقولَ الأشياءَ؟
. . . أحوال ثمودٍ /

تَعَبَ الماءِ ،
القولَ التّائهَ مثلَ ضبابٍ
والعملَ التائه مثلَ ضبابٍ ،
وأقولَ المقهورينَ ــ البؤسَ الرّابضَ في أعينهمْ ،
والفرَحَ الجامحَ فِي أيديهم .
وأقولَ الولَهَ الإعصارَ ، الشرقَ
اللاّبسَ وجهَ البحرِ /
أقولَ تفجّر أيّامي ــ

جرحاً
يكبر بين العالم والكلماتِ ، وأمحو
ما قرأته أحلامي ،
وأقولَ تباريحي ــ
يأسَ العصفورِ ،
ولكنْ ،
من أين أجيءُ ، وكيف أُجدّد للكلماتِ الجنسَ ، وللّغة الأحشاءَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتقولَ الأشياءَ؟

III

مهيار يقولُ : «الذكرى لا تجدي» .
ويقولُ : «الرّيح توّاتي سُفُني ،
حين يكون البحر بعيداً» /
أشهد أنّ الذكرى لا تجدي
لكن ،
أشعلتُ مصابيحَ الذكرى
لتكونَ لَكَ الصّوتَ المرئيَّ ،
وزهراً
أجنيه ، باسمكَ ، من بستان الجُرحِ ، ونجْماً
يحنو كجبين امرأةٍ
تبكي في شُبّاكٍ /

ورأيتُكَ تنأى . . .
سمّيتَ الأفْقَ ، رسمتَ الدربَ ، وسرتَ حنيناً نحو الأقصى ،
أحبابُكَ ، مثلكَ ، ساروا
أعداؤكَ ، مثلكَ ، ساروا
يفتتحونَ سهوباً أخرى ببريقٍ آخَر ، لكن
في الجهة الأكثر ظِلاً من غاباتكَ ساروا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن
في ضوئكِ ساروا /
سأقول لضوئكَ أن يلقاني
في كلّ مدارِ
سأقولُ له : استظهِرْ حركاتي واستبْطنْ أغواري
. . . في أحوال ثمودٍ /

IV

. . . أحوال ثمودٍ /
١ ـ «هل هذا الكوكب أنثى ، أم ذكرٌ؟
أم تلك قبائل ترشق في الصحراء سهاماً فتعود ذراعاً أو رأساً؟» .

٢ ـ «إن كان صديقك يقرأ أفلاطون ، تنبّهْ واحذرْ
قل : كلا : لا أعرفُه ،
فغداً ، أو بعد غدٍ ،
سيُقاد إلى سيفٍ ،
أو جبٍّ . . .»
٣ ـ «أعطوني .
ـ ماذا يفعل؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ يقتل ، كلَّ مساء ، فَجْراً»

٤ ـ «ما أطوع هذا الأفَّاكَ ،
الطالع من تاريخ القتل ،
الضارب في أحوال ثمودٍ» .

٥ ـ «جاء الناقد يسأل : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون
النثر؟ ويحيا
من بيع الألقاب إلى شعراءٍ ،
يسأل كلٌّ منهم : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون
النثر ، ويحيا في تابوتٍ . . .؟»

٦ ـ «أحوال ثمودٍ ،
تتأسَّس في دكّانٍ :
«تاجرْ ، واستعصمْ بالله ، ولا تتسيَّسْ . . .» .

V

هوذا الدفتردارُ يجيءُ / حشودٌ
والأبواق ارتجلت لحناً /
. . . شهدوا أنّ التّاريخ امرأةٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صلعاءُ بعينٍ واحدةٍ
وبرأسٍ مفتوقٍ .
شهدوا أنّ التاريخَ تقمّص ضبّاً .
شهدوا أنه القنّبَ في الشرفات خيولٌ
والغيمَ وراء السدّة نخلٌ .

شهدوا أنّ الناس رفوفٌ من كتّانٍ
والرّمل سَحابٌ /

مَن يسأل : كيف؟ لماذا؟

يا هذي الجدران المنهارةُ من أسوارٍ تسْترشدها أسوارٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً
من أجل معاولَ أُخرى ،
جَرّافاتٍ أُخرى .
يا هذي الحمم المقذوفة من أحشاءٍ تتقاسمُها أحشاءٌ ،
كوني أكثر صمتاً ،
يا هذا اللّجَبُ النازفُ من أصواتٍ تتخطّفها أصواتٌ ،
كن أكثر صمتاً ،
أكثر صمتاً ـــ
من أجل لُغاتٍ أخرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أزمنة أُخرى . . .
هيَ ذي أيّامٌ قَصَبٌ والجَوفُ هواءٌ /
ماذا يفعلُ هذا الرّائي
لجموعٍ
سَوّاهم
مثلَ هباءٍ
ساواهم بالآلات وبالأدواتِ شِعارٌ
واسْتتبعَهُمْ ظلٌ؟
ـ من يتقدّمُ؟
ـ مُتّهمونَ ، الصّمتُ لهم زهَرٌ ونوافذُ
لكنّ الوقتَ كجمرٍ ،
ويمرّ بطيئاً ،
والألوانُ هي الألوانُ /
شقاءٌ

أن تتجدّد أو تتغيّر أو أن ترغبَ . . . / أعطيني زندكِ ، يا هذي
الأرضُ المسبيّةُ ، وارْميني في موج الأسرار ، ولكن
دون حجابٍ ،
كي يرْقُمَنا
ويصوّرَنا
وَيُوشّينَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويَشي بمدانا

ويَشي بخُطانا

نسّاجٌ أو نمّامٌ

كي نَسْتوشيَ جرْيَ الريحِ /

استْوصيْنا

خيراً ، بِنبات يَنْمو /

ــ مَن هذا السائر ، مطروداً

ويطاردُه شبَحٌ تنّينيٌّ ، وتطارده تعويذاتٌ؟

ــ تلميذٌ

يجهلُ كيف تصير اللفظةُ تمثالاً

يجهل كيف يُربّي ألفاظاً

كأرانبَ أو كدجاجٍ . . . /

هَوْلٌ

أن تتجدّد أو تتغيّرَ أو أن ترغبَ / هذا

وجهيَ في لُجّيٌّ

مثل عُقابٍ

يتطوّحُ

في

مَهْواةٍ . . . / لاقيني ، وأعيديني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا هذي الأرض . . . /
أغيّرُ هذا الزّرعَ ، وأرقدُ هذي اللّيلةَ
في أحضانٍ لا أعرفُها
وأسافر في مجهولٍ
يتكشّف عن جنسٍ سرّيٌّ
يتكشّفُ عن لغةٍ سرّيه
تعرف كيف تترجم هذي الضوضاء الكونيّهْ /
أحوالَ ثمودٍ .

VI

لكن ،
هوذا الشاعر ـ كان ينامُ غريباً
والفجرُ غزالٌ
جسد الأرض يداعبهُ
والشّمس تخيط له
ثوباً قَمْحيّاً /

ـ ماذا يفعلُ؟
ـ يُلقي عن كتفيه النّومَ ، ويمضي . . .
هوذا يمضي
ـ ماذا؟ خانت عينيه الأشياء؟ رأى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قدمَ النّورسِ ضِفدعةً؟
ورأى الزهرةَ وجهَ عجوزٍ؟

ـ ماذا يفعل؟
ـ يرجو
وجهَ غزالٍ آخرَ ،
وجهُ الأرض يرافقهُ
والشمسُ تخيط له
ثوباً قمْحيّاً /

هوذا الآنَ يسافرُ في قنديلٍ مكسورٍ / يسمع همْساً :
«لا تأملْ
ليس النجم الطالع إلا رسماً
يتكرر ، والألوان هي الألوانُ»

الآنَ يقارنُ بين الأشياءْ

ويقول : الأشياءُ هي الأشياءْ
بدءاً من هذي الصحراءْ .
ـ ماذا يفعل؟
ـ يرجو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجه غزالٍ آخرَ ،
وجهُ الأرض يرافقه
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمْحياً . . . /

. . . والأرضُ تعيِّد عيد الرّمل ، وماذا
يُجدي هذا الرأسُ النّافرُ من أنبوبٍ
في نَقّالة أفيونٍ ،
في عُرُسٍ للآلاتِ؟ وماذا
يجدي هذا الطّوقُ ، وهذا الجسرُ ، وماذا
يعرف هذا السائرُ
من أبعاد المجهولِ؟ /
سلاماً ، يا أحزاني

ـ (أحزانيَ ليست أحزاني
هي جرحٌ ينزفُ من تاريخ الإنسانِ
هي أرضٌ تُرفع قُرْباناً
للظُّلماتِ وللطّغيانِ)

والأرض تعيِّد عيد الرمل ، وماذا
يجدي هذا الرأس السّاكن في أنبوبٍ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألهذا ، تسألني كلماتي :
ما هذا التاريخ ، أجرحٌ أم سكّينٌ؟
وهل الكلماتُ سلاسلُ أم يقطينٌ؟
ألهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني . . . /
تسكنُ في أعضائيَ ــ نامي
لكِ مُلكي : هذا الدفترُ ، هذا الحِبْر ،
وهذا الثوبُ العُنّابيُّ ،
ونامي

حتى يأذنَ وقتٌ
أعني
حتى يأتيَ فجرٌ آخرُ
أعني
ماتت ــ

ماتت أزمنة الكلمات / الوَحْيِ ، وماتَتْ
نبرةُ هذا العصرِ ، وماتت
أحلام الرّيفِ ، وماتَت
شهواتُ المُدنِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ،

ولهذا ،
أحمل بين يديَّ ، وبين خطايَ ، بذوراً
والكلماتُ هي الكلماتُ : حمائمُ ، حيناً
وصقورٌ ، حيناً
وخمائرُ ، حيناً

ولهذا ،
يتغيّر شعريَ كالأشياءِ
ولهذا ،
أسكن زوبعةَ الأشياءِ .

VII

يحدث أن أستسلم للطّرقاتِ
فأهبطَ في قيعانٍ
وأجاورَ أغصاناً ، أو أتعبَ مثلَ رمادٍ
بحثاً عن أشباهي ــ
مصباحٍ
يتحدّث مثل فضاءٍ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصفورٍ
يمزج بين أنينِ السّهم وصمتِ القوسِ ،
كتابٍ
يُعلن أنه الحلمَ يقينٌ ، والنّار سماءٌ ممطرةٌ ،
رَعْدٍ
لا يقصف إلاّ من أُفقٍ يتبجّسُ رفضاً ،
تيّارٍ
يروي هذياني
للشطآن ، للُجّ البحْرِ ،
فضاءٍ
يخلط شمسَ الشعر بشمس الله ،
طريقٍ
تبقى حلماً . . . /
أشْباهي –
تصعد بين المعنى وحروف الظّلمة في ممحاةٍ
وتغنّي للمحاة وتمحو
تمحو /
أشباهي –
لا أعرف ، إن كنت أحبّ دمشقَ ، وأسأل : هل
أكرهُها ، حقاً؟
شجرُ الصّفصاف كساني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ببياض الحزن ، وسوّى
جسدي بجعاً /
ماذا يفعلُ هذا العُنُقُ الجامح ، كيف يميلُ؟
وبحيراتُ الحبّ اضطربَتْ ،
أو كادت تنضبُ ، ماذا
يفعل هذا العُنقُ الذّابلُ ، أين يميلُ
والماء شحيحٌ ، والغيمُ قليلُ؟

في قسماتِ شوارعَ ترقد تحت غبارِ السيّافينَ ، أسائل عن أشباهي
في رائحة الحزن الشّاردِ خلفَ زقاقٍ
في صمت عجوزٍ تومئ أنّ الموت قريبٌ
في جرحٍ / جسْرٍ بين سواعدَ ، بين قلوبٍ
في رؤيا
تبقى نوراً وفريسةَ نورٍ ،
أبحثُ
عن
أشباهي –
فلماذا تسأل عني ، يا هذا الباحثُ ، بين حروفٍ
أو خلفَ شعارٍ؟
أشباهي ، –
لتكن كلمات الشّاعرِ ضوءاً ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضوءَ الحاملِ عبءَ الأرضِ ، ويبقى
في الجذْر الأعمق في أقصى موْجٍ
لتكن سَفراً
يترصّدُ كلّ مهبٍّ ،
ويخالط نبضَ الكونِ ، ويبقى
في الجذر الأعمقِ ، في أقصى موجٍ

لتكن جسَداً
لمحيطِ الهَجْسِ بوجهٍ آخرَ
للإنسان ــ بوجه آخرَ
للتكوينِ /

شقاءٌ
أن تتفتّح ، أو أن تكبرَ ، أو أن تهجم نحو الضوء ، وموتٌ
أن تبدعَ أو أن تحيا
في أحوال ثمودٍ /
ولهذا ،
أعذر وجه ثمودٍ
أعني المجذوبينَ إليهِ
الطّافينَ عليه ،
وأقول لهم ، باسم الملعونين الخلاّقينَ من الشعراءِ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما أقسى أن نعرف أو أن نفهمَ كلّ الأشياءِ .

ولهذا ،
لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى ، لا تتركني .

VIII

أشجارٌ ترسمها أقواسُ ربيعٍ يحلمُ ،
واكَبْناها
أيدٍ تمنحُ للعطشانِ الماءَ ، وأخرى
تهدمُ ،
واكَبْناها
وكأنّ بيارقَ تخرج من أشلاءٍ ،
واكبْناها
وكأنّ غيوماً تتدلّى مثلَ ثمارٍ ،
واكبناها /

هل يصدقُ هذا الرملُ؟ أيكفي
أن يأتيَ فجرٌ يسأل عنّا ،
حتى نخرجَ من أسوار الظلماتِ ، أيكفي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن نزرعَ حتى نجني؟

ولهذا ،
لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني
ولهذا ،
يحدث أن أستسلم للطرقاتِ
فأهبطَ في قِيعانٍ
وأجاورَ أغصاناً
أو أتعبَ مثلَ رمادٍ ،

يحدث أن أعطيَ أشكالي
لكتابٍ أو مفتاحٍ ،
وأقول لبيتِ المجهولِ :
«سلاماً
سنُجاسدُ هذا الزمن الآتي ،
ونخالط قلبَهْ
وسنكشف معدن كلّ شرارٍ
ونشقّ ، غداً ، والآن ، طريق الرغبهْ» .
يحدث أن ألقى في الشارع وجهاً
مملوءاً جثثاً

من أحلامٍ أو أعمالٍ أو كلماتٍ
يدنو
ويناديني
ويحرّضني :
«نحن التيارْ
إن كان مدانا من ورقٍ
فخطانا فاتحةٌ للنارْ» .

يحدث أن أتقاطعَ مع ميدانٍ
كالعَرْشِ ،
ومع خلفاءٍ
مع عمّالٍ للخلفاء وأنصارٍ ،
وأرى كيف يكون التّاريخ جليداً
أو زرنيخاً ،

يحدث أن أتحوّل / أحيا
نِسْغاً بريّاً
أمشي في حَشْدٍ
يتحرّك ، يقطع ما وصلته الرّيحُ ، يغذّي دمَهُ
ودمَ التّاريخ الجنسيّ
ويعيد لحنجرة الأيّام الدّهشةَ ، والصّوت الوحشيّ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . ودمشق الأخرى لا تتركني
أخذتها الرغبةُ في شفتيّ، وفي فخذيَّ، وفي حنجرتي
أخذتها لغتي،

سيروا معها ـ
بِاسْمِ الأشلاءْ
لبستَ ورداً أحمرَ في ساحاتٍ مُهدت
في ساحاتٍ لم تمهَدْ /
أتحسّون بموجٍ يطغى؟
بدمٍ
يغزو يَبَس الأرضِ،
ويقرأ فاتحة الأنواءْ؟
سيروا معها ـ
ما أجمل هذا الكونَ الناشئ في الخطواتِ:
الأرضُ سريرٌ
والأشياءُ نقيضُ الأشياء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

IX

أَصْغوا
ها هي تقترب الخطواتُ ، وأَصغوا
لتويجاتِ جذوع
سمّوها زهَرَ الآلامِ ، وقولوا
هذا وعْد الأرض ، وأصغوا –
هي ذي الأصواتُ تعانقُ صوتي :

«يا وجه الإنسان الطالع كالزلزال ، سلاماً
ألهِمْنا
وأبِحْ لِلزَّلزالِ مَدانا
خذنا
نحن الوجه الآخر من هذا الوقت المرفوض ، وأقْنِعْنا
أن جمال الأرض الإفراطُ
وأن الحكمة ربٌّ من ورقٍ
أقنعنا
أنَّ النجمة ماتت ، والعالم يهذي
وتخطَّفْ
هذا الشاعر ، واخلبْهُ
يا هذا الوعد المرسوم كجبهة طفل يولد باسم فضاءٍ
أبهى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واصحبْهُ
في كشْفٍ
كشفٍ ،
كشفٍ . . .» .

X

إن كنتُ أَرجُّ التاريخ ، وأخرجُ من ملكوت الآباءِ
فلأنّيَ طفلٌ أمّيٌّ
يمشي في قافلة الأشياءِ
يتعلّم سحرَ الأشياءِ

طفلٌ يتهجّى سيماءَ الأرض ، ويصرخ : خذني
يا لُجَّ البَشرِ ، الولَهِ ، اغسُلْني
في برْق فضائك ، وامنحني
أسماءً ،
وامْحُ ، وجدّدْ
أسمائي .

هوذا جسدي
مكسوّاً بالأنقاضِ وكلّ غريبٍ ، يمضي
وتواكبهُ أسماكٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبحيراتٌ
وتواكبهُ أنهارٌ ، كالصّيف تهرول نحو خريفٍ / يمضي
وتواكبه
أعراسٌ ،
ويواكبهُ

أحمدُ حنّا يوسف مريمُ ـ
قل للضّارب جذر العَوسج : أهلاً
قل للمأخوذ بقبضة هذا المعول : أهلاً
قل للفاتن والمفتون ، وكل جمالٍ : أهلاً /

ويواكبهُ سحر الأشياءِ
ويقولُ للُجّ البشَر ـ الولَهِ ، اغسُلْني
في بَرْق فضائكَ ، وامنحني
أسماءً ،
وامْحُ ،
وجَدِّد
أسمائي .

(25 تشرين الأول 1976)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصيدة البهلول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

I

(موجز أخبار) :

تدخل الشمس إلى بيتي فراشاتٍ وتمضي

كلماتٍ

ولأيّاميَ في مُفترق الماء حنينٌ :

كيف أُحْيي زَهَراً

يجتاحه الرملُ؟ وهذا

جسدي يختلج الآن كراعٍ بدويٍّ ،

لابساً وجهَ الحقولْ

يكتب الشعر على العشب ، ويلقي

يأسه الطيّبَ في ماء الفصولْ ، —

لا يريدُ الشَّعَرَ السّاقطَ من رأس خريفٍ

أن تراه امرأةُ الصّيفِ ، ويهْوى

قمراً يُولد من تلقائه

بين ساقينِ . . . ويهوى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يرى في عُنُق العصفورِ نَهْراً
ويرى العالم في وجه الحسينْ ،
ويرى ناراً على النّهر ، وملاّحاً ، وتلويحَ ذراعْ
ما على البهلول لو سَمّى يديه شاطئينْ
ما على البهلولِ ، لو يَلبسهُ النّهرُ ، ولو كان الشّراعْ؟

II

(تفاصيل) :
خرج البهلول يسْتقرئُ موت الظّلماتْ
هوذا يرجع والنشوة تمحو الخطواتْ
يُجلس الموتَ على شُرفتهِ
ويُريهِ
كيف يستعرضُ جيش الرّغباتْ ، ـ

إنها أحلامه تكتبهُ :
أدخل الآن إلى السّوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الرّيح ، وأصغي
للخطى تَسْترق الشمسَ ، لأصحابيَ : ماذا
تكشف النّحلةُ من أسرارها
حينما تدخل في الزّهر ، وتلقي
رأسَها فوق تُويْجٍ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهلِ الزّهرةُ ماءٌ أو شرارْ؟
ولماذا تلد الشمس الغبارْ؟

إنها أيّامهُ تقرؤهُ :
أخرج الآن إلى الشارع حلماً ـ
أن يكون الشعراء
هالةً حول جبين الفقراء .
أخرج الآنَ إلى الشارع جرحاً ـ
ألدّمُ الغامر تعويذٌ وتيهٌ
وعلى الجدرانِ تاريخٌ ينامْ

ما الذي يقدر أن يفعله الشعر ، ورجلاهُ قيودٌ
وعلى عينيه أسوار الظّلام؟

أتراهُ يهدم السّورَ بغصنٍ من أراكٍ؟
ما الذي يقدر أن يفعله الشعر لتاريخٍ ينامْ؟
إنها أشلاؤه تسألُه :
ليس من ينطق إلاّ
شُرَطُ الحجّاجِ / هل أعطيكَ حلماً؟
....
(بين أن يرتفع الحجّاج سيفاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليشيدَ الدّولة العظمى ، وتبني
لغة الحلاّج كوخاً ،
أطرح السّيفَ وأختارُ . . .) لماذا

كلّما حاولَ أن ينبض صدقاً
كذبَتْه الكلمات؟
ولماذا
يَحْرِفُ الينبوع مجراه لكي يبقى وفيّاً؟

إنها الأمّة ترتاحُ إلى أشلائها
وعلى الجدران تاريخٌ ينامْ
ليس هذا وطناً / هذا رُكامْ .

ما على البهلول ، لو يصرخ في هذا الظّلامْ :
أيّها العالم ، كفّاي عصافيرُ وكفّاك مَصيدَهْ
إنني أخرج من وجهكَ ، كي أدخلَ في وجه قصيدَهْ .
ما على البهلول ، لو غنّى وحيداً :
هوذا وجهيَ بين السّابلَهْ
يتوارى
حينما تَنْفَتحُ الدّربُ وتمضي القافلهْ
لا لما قلتَ وقالوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل لشيءٍ آخرٍ أكتمهُ ،

كلّ ما أعلن أنّي أتوارى
في زحام السّابلهْ
حينما تنفتح الدّرب وتمضي القافلهْ .

III

(استطرادات) :
ها هنا يروي تواريخ مَحَنْتها
جثثُ الأطفال ، يسقي
شجراً مات . وهذا
نَهرُ الأردنّ يستسلم للظّمي . بماذا
يعِدُ الظّمْيُ؟ الينابيع جِراحُ
والفصولُ انكسرتْ . . .
سكِرَ التّاريخ في حاناتنا
هوذا يخرج محمولاً . شيوخٌ
وتماثيل نساءٍ .

إنها جائحةُ الرمل ، اقتلاعٌ :
أتُرى نضحك أم نبكي ، ولكن أيّ فَرْقْ؟
آهِ ، ما أضيق بغداد وما أنأى دمشقْ!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ها هنا يرقدُ : تأتي جُثَثٌ
ترتمي قُدّامه عاريةً ،
وإذا استيقظ جاءت جثثٌ
وارتمت قدّامه عاريةً /
زمَنٌ يكتبه القتلُ ــ اسألوهُ
اسألوا البهلولَ عن أيّامهِ
كيف تَستأصل جَذْر الذاكره
واسألوهُ :
قدَرٌ هذا المدى ، أم رُقَعٌ
من ضبابٍ ، أم غيومٌ عابرَهْ؟

يخرج الآن إلى السوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الريحُ ويُصغي :
يجلس الهدهدُ في حضن سليمانَ / سليمان ابتهالٌ
يتقرّى جسدَ الغيبِ / وبلقيس عرارٌ
وقناديلُ ، وسِحرٌ عربيٌّ
يتقرّى جسدَ الشّهوة ، والهدهد عينٌ حائره
لا أرى غيرَ وجوهٍ من زجاج
لا أرى إلاّ الدّم ــ التّيهَ ، وإلاّ
قفصاً يملأ سطحَ الدائره ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آه لو يُقلب هذا السّطح ، لو تُكسر هذي الدّائره .

ما على البهلول لو غنّى وحيداً :
لهبٌ يقسو على حزنيَ / حزني
حطبٌ رطْبٌ ،
تقاطيعي تدلّتْ
صوراً مِلءَ الدّخانْ
لم يعد يشغلها وجه المكانْ
يغرق الآخر فيهِ ، وأنا
عابرٌ يشغله وجه الزمانْ .

IV

(مقدمات لأجوبة) :
ما الذي يرتكب البهلولُ إن طالعَ تاريخاً ونادى :
أيّها الفتّكُ؟ وهل يأثم إن سمّى سماءً
باسمِ شخصٍ؟

ولماذا ، حينما يرتحل البهلول في أوجاعهِ
ويقول : الخاصرةْ
شُرُفاتٌ . . .
ويرى أحزانه منشورةً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كالمناديل ، ـ لماذا

حينما تتكئ الشمس على جبهتهِ
ويرى ما ظنّه التكوينَ مأوى عنكبوتٍ ، ـ ولماذا
حينما ينقصف الماضي كغصنٍ في يديهِ ،
يجفل النّاس ويجرون كريحٍ ،
ويفيئونَ إلى سُلطانهم؟

ما الذي يرتكب البهلول إن شاهدَ جندياً ونادى
أيها القيدُ؟ وهل يأثم إن سمّى الكتابْ
باسمِ جلاّدٍ؟ وماذا
لو سقى أحزانَه ماء عليٍّ
وروى للماء تاريخ الترابْ؟
ولماذا يخرج الناس إلى سلطانهم
ويغيبون ، إذا ما
دخل البهلولُ في طقس أغانيه ، وغابْ؟

V

(الموت) :
سقط البهلول في تُفّاحةٍ
جذبتها الكلماتْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان عشبٌ يرسم اللّون ، وماءٌ
يقرأ الخطّ ، وكانت
شفةُ الأرض التي تجذبهُ
تتهجّى الحركاتْ ، ـ
كيف هيّأتَ لأيامكَ بيتاً
ولففتَ الأعمدهْ
بالمصابيح؟ سلاماً
أيها البيت الذي يُرفع بين الأوردهْ
وسلاماً ،
أيها البيت الذي يُهدَم بين الأورده .

VI

(شاهدة على قبر البهلول) :
لغة البهلول في محرابها
وعلى سرّتها قفطانُ ليلٍ ـ
لجأت حيث تكون الأبجديّه
غابةٌ تسكنها ريحٌ خفيّه .

(شاهدة ثانية) :
دخل البهلول في فصل النّباتاتِ ، فأحيا
وَلَهَ الأرضِ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان المهرجانْ :

ورَقُ الصّفصاف منديلٌ وللرّيح يدانْ ـ

إنه البهلولُ في أعراسهِ

ملِكٌ ـ

كرسيّهُ الأرضُ وتعطيه الرّياح الصولجانْ .

(21 كانون الأول ، 1977)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصيدة بابل


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

I

في رأس امرأةٍ من قحطانَ يطير حصانٌ
في رأس حصانٍ طَرْواديٌّ ، عربيٌّ يهذي :
«سترى أحشاءكَ فوق رغيفٍ
سترى زمناً يتقدّمُ قبراً قبراً . . .»

II

دار المجنونُ يُسائل : أين الشمس ، وأين الأفْقُ ، وماذا يحملُ
هذا الآتي :
عُنُقاً أو سكّيناً؟
يسألُ : كيف أظلّ شرارةَ خَرْقٍ؟
من أينَ أتيتَ؟ وكيفَ؟ وماذا؟
أرضكَ مملكة التّدجين ، وأنتَ عَصيٌّ
أتظلّ عصيّاً؟
يبدو أنّ الأشياءَ قطيعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فِضّيهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قابيلُ هنا ، هابيلُ هنالكَ لم يُدْفَنْ
والموتى شَرَكٌ
والأحياءُ سديمٌ . . .

هل تبقى تخبزُ هذا الرّملَ وتحيا
في طُحْلبِ هذا البُرْجِ؟
مَزيداً
من جَمْرٍ آخَرَ ،
من شهَواتٍ أخرى . . .
صَدِّقْني ـ أقدر أن أتقدّمَ في منشارٍ
يا هذا الجذع اليابسُ ، لكن
أعمل كي أتقدّمَ في طوفانٍ . . .

مَن يتقدّمُ؟ صاحَتْ
أجراسُ عُصورٍ
تتلاطمُ في حنجرةٍ بحريّةْ ـ

حسناً ، يا هذا البحر ، ورفْقاً
يا أدواتِ اللّغة القُرشيّةْ

يبدو أنّ الأشياء قطيعٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأفكارَ ذئابٌ فضّيةْ ،
من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟

مُتَّهَمٌ ،
حتى حين تقول اللّيلُ فراشٌ
والشمس امرأةٌ

والحوض يحنّ لماءٍ لا يعرفهُ
والماءُ يحنّ لحوضٍ لا يعرفهُ

مُتهَمٌ
حين تقول الفاتح ليلٌ حيناً
والخاتمُ فجرٌ ، حيناً ،

حين تقول الحزنُ ربيعٌ
والصّفصاف دموعٌ ،

متّهَمٌ

حين تجاهِرُ : بابلُ جرحٌ
يتدفّقُ من دمهِ الفقراءُ
وبابل فَقْرٌ
يتناسلُ في دمهِ الشعَراءُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبابلُ سلطانٌ
والتّاجُ نبيٌّ أو تنّينٌ . . .

مُتّهمٌ

من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟
أتموت وأنتَ جَنينٌ؟

هوذا التّاريخُ ـ بقايا جُثَث
والأيّام تهرولُ في كثبان الرّمل : «تفيّأْ
حلُماً ،

وانسجْ
لِمداك ، عباءةَ حبٌّ ، واجْنَحْ . . .»
آفاقٌ جانحةٌ ، وصحارى
تهذي
ونساءٌ في العَتَباتِ يَلدن الحسرة : «أهلاً ،
لكن ، ماذا نَفعلُ ،
أيدينا
ليست
أيدينا
نحنُ المقتولاتِ ، وكلّ جنوحٍ يحيينا» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

III

قال عليٌّ: «هذي بابلُ . . .»
بابل قَفْرٌ
حيث الكون فراغٌ ـ
مجروراتٌ ومفاعيلُ
شحّاذون على الطّرُقاتِ وشحّاذونَ على الشّرُفاتِ
يفترشون الغَسَقَ الطّالعَ في الأهداب وفي اللّهواتِ
عَرْشاً يتأرجح في لَبْلابٍ
ونخيلَ دماءٍ،

ألِفوا ريحَ الموت، وسالوا
في نَهر العالم جرحاً . . .

بابلُ أنتِ الشرُّ وأنتِ الخيرُ
وأنتِ مدارٌ
ودمي وهواؤكِ طفلانِ
يمحو الثاني دربَ الأوّلِ
يمحو الأوّلُ دربَ الثاني .

IV

يبدو أن الأشياءَ قطيعٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأفكارَ ذئابٌ فِضّيهْ
من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟

قُمْ يا قيسُ ، ترصّد ليلى
قل للنخلة أن تؤويكَ ، وأسْلِمْ
عينيكَ لوَسْوَسَةِ الأحلام :
ليلى صورٌ تتفتّح في أشكالٍ مخروطيّهْ
ليلى أقواسٌ ودوائر جنسيّهْ
قصبٌ عالٍ للأحزانِ ،
وبحرٌ أبيضُ للأوهامِ . . .

قُمْ يا قيس ـ التّاريخ رُكامُ
والحاضرُ وَحْشٌ
تتلبّسه خِرَقٌ وعظامٌ .

مُتّهمٌ
حتى حين تقولُ الأرضُ امرأةٌ
وسواءٌ قلتَ العالمُ عرسٌ
أو قلتَ العالمُ قَشٌّ
مُتّهمٌ
وسواء جئتَ إلينا شرعاً أو جئتَ سِفاحاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُتَّهمٌ ـ

(تُهَمي أنّيَ وجهٌ ،
تُهَمي أنّيَ أكشف عن جُرحي ،

تُهَمي أنّي أرفض هذا العصرَ ، وأكتب
لَعْنَته الكبرى . . .)

متَّهَمٌ
في أحلامكَ ، في خلجاتك ، حين تروحُ وحين تجيءُ ـ
قُمْ ، يا قيس ، ترصّدْ ليلى . . .
من أين أتيتَ ، وكيف نسيتَ غزالَ الزّمنِ :
الجنسَ
الحبَّ /
الموتَ /
الصوفيَّ / وحيدَ القَرْنِ ،
اذكرْني
يا هذا النَّيزكُ ، وامْنحْني
ضوءاً
واسهرْ ، وتألّق في أنحائي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هوذا : أغمضتُ جفوني باسمكَ واستسلمتُ إلى أعضائي
حيث نعانقُ ما لا نعرف كيف نراهُ
حيث المعنى زيتٌ والصّورةُ نارٌ
حيث التّاريخ كلامُ الهازم ، صوت المهزومينَ ،
وحيث مشينا
في أيلولَ
وفي كانونَ
وفي أيّارَ
مشينا
نتلمّسُ أقنعةَ التّكوينِ ، ونحضنُ أزمنةً مكسورَهْ
تذكر؟ لم نسمعْ
لم نلمحْ
إلاّ جسدَ اللّغةِ المجدورَهْ .

قم ، يا قيس ترصّدْ ليلى
عيّدْ عيدَ اللّهب الوحشيِّ ، اللّغة الوحشيّهْ
واقطعْ كلماتِكَ من خُيلاء الزّانِ وأبّهة المرّانِ ،

اسْتنفرْ أضرحَةَ العُشّاقِ ، وقدّمْ
للموت حياتكَ ، وابدأ ــ لا تنتظرِ العَنْقاءَ ،
تكون خُطاكَ لِقاحاً :

ستكون الماءَ مِراراً
ومراراً ، سوف تكون الصّخرَ
مِراراً سوف تكون الرّيحَ ،
وتغدو
مَلِكَ الآفاقِ ، وتغدو
ملِكَ العرباتِ الضّوئيّةْ .
خُذني ، يا هذا التيّار ، امنحني
مدّاً أقصى
هوذا : تغدو فَلَكاً
وتدور كواكبُ في قَدَمَيْكا ،
هوذا : أغمضتُ جفوني
واستسلمتُ إليكا .

V

أعلو وأفكّر في التّشبيه وأنْأى
لا أحتاج إلى ذُرُواتٍ
شَغَفي أن أتواطأ مع أمواجٍ مع كلماتٍ
لا أملك إلاّ أن أقتلَها
. . . في عادة وجهي ،

عادةُ وجهي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا أعطي لغتي إلاّ للجذر ، وعادةُ صوتي
أن يتبَطَّنَ شمسَ الرّغبة ــ بابلَ ، عادةُ صوتي
أن يخلقَ بابلَ كي يتغيّر هذا الزّمنُ
أن يخلقَ بابلَ كي يتبرّأَ هذا الوطنُ /

أخلقُ بابلَ في الأجناس وفي الأنواع وأخلق بابلَ في
الصلواتِ وفي الشّهواتِ وأخلق بابل في الأرحام
وفي الأكفانِ وأخلق بابلَ بين الخالق والمخلوقِ
وأخلق بابل في الأصوات وفي الأسماء وفي الأشياءِ
وأظلّ اللّهبَ الضّاربَ في الأشياءِ
خارج هذا الورق الرّملي ، أُدشّن أنحائي
بالضوء ، برغبةِ أن أبقى
خارجَ هذا الملكِ ، عَصيّاً
لا تعرفني غير النّار كأني جنسٌ شمسيٌّ آخرُ ،
يمحو نَصّ الرّمْل ، يفتّت كلّ مثالٍ
ويقيم الرّغبة نهجاً
وتكون الصّبوة عيداً
. . . في عادة وجهي .

عادةُ وجهي أن يتقصّى
سَفَرَ التكوين ، طريقَ البدء ، يُراهنُ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أين يكون الملْءُ فراغاً ، والآخر أوّلَ؟ أين يكونُ
الشعر طريقاً تتقمّص كلَّ طريقٍ؟

عادةٌ وجهي أن يبقى
أُفقاً ، ويُضلّل حتى الرّيحَ . . . ،
لهذا
أحياناً ،
يطفو وجه الشمس ضباباً
ويكون الضّوء استسلمَ للكلماتِ

أحياناً ،
تولد في الكلمات جراحٌ
ويصير الجسر تراباً
ويكون الجسد استسلمَ للكلماتِ

أحياناً ،
تهجم بابلُ في طاووس أو جلاّدٍ
ويكون التاريخ هشيماً
والغيمُ قِياناً
وتكون الأشجار سبايا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحياناً ،

باِبلٌ قبلُ

وبابلٌ بعدُ

وبابلٌ وجهٌ للأحياءِ وللأمواتِ . . . لهذا

يُولد في أسمائي

بَشرٌ

يزدحمونَ ويقتتلونَ / خُذيهم

دُلّيهم واحتضنيهم

كوني طرُقاً لهم وفتوحاتٍ ، يا أسمائي

فأنا الأبدُ المتشرّد خارج أسمائي

أبديّاً

أعلن شرْعَ اللّهَبِ ، الوَلَهِ ، الحلْمِ ، الأشياءِ .

VI

صَارتْ كفّايَ زنابقَ ، صارت عينايَ صلاةْ

أسّستُ خريفاً واستصْلحْتُ ربيعاً

وجلست مع الشّجراتِ القدّيساتْ

منتظراً بابلَ /

(بابل لا يعرفها أحدٌ / لا يجهلها أحدٌ)
خلع التاريخ قميص النّوم وسار وحيداً
في غابات الذكرى
(بابل لا يذكرها أحدٌ / لا ينساها أحدٌ)
بابل هذي أنتِ ، وهذا خطوكِ ، والطّرقاتُ هي الطرقاتُ
ألرّقمُ يقول ونبْض المعدن قالَ
وقالت لغةٌ والشعر يقولُ :

أين يكونُ ، الآن ، الملكُ الضلّيلُ ، الحسَنُ الضليل؟
أين يكون أبو تمّامٍ والمتنبي؟
ولأيّ طريقٍ قادهمُ المجهولُ؟

سأراهم يوماً
وأُسائِلُ رمْلاً مَرّ عليهم :
أَدِماءُ مسالخَ هذي الأنهارُ؟
أمشانقُ هذي الأشجارُ؟

وأقول لرملٍ مرّ عليهم :
أنتَ رسمتَ خُطاهم
واليومَ ، أجيء لأرسمَ فيك خطايَ ، ولستُ الأحسنَ
حالاً ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكنّي صرت الأعمقَ ضوءاً
مُذ صرتُ الأعمقَ يأساً .

بابل ، هذي أنتِ وهذا عصرِكِ والكلماتُ هي الكلماتُ
«حَيٌّ ، لكنّك ميْتٌ ، يا أحمد» قال عليٌّ
«ستنالُ الخبزَ ، ولكن
كيف ستحيا والرّملُ محيطٌ؟»

«سيقالُ : الثورة أنتِ ، ولكن
أتظلّينَ وراء حجابٍ ، يا مريمُ؟» قالَ عليٌّ ـ
بابل ، هذي أنتِ ، هذا خطوكِ ، والطرقات هي
الطرقاتُ
بابلُ ، هذي أنتِ ، هذا عصرِكِ ، والكلماتُ هي
الكلماتُ

لن يدفقَ ماءٌ يغسلُ وحْلَ دروبكِ ، حتّى . . .
لن يطلع فجرٌ يمحو ليلكِ ، حتى . . .
حتى . . .
(مات الكوفيون ، ومات البصريّونَ
وفي أنفسهم شيءٌ من حتّى . . .)
. . . وعليٌّ عاشقكِ المجنون يؤصّل في ظلماتكِ دربَهْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهذا ، يرسمكِ امرأةً
ويحيطك جنساً
ويزاوج بين الحبّ ، وهذا العصر ، ويعلن : صار
الحبُّ فضاءً ،
واجتاحته رياح الرّغبةْ .

قم ، يا قيس ترصّد ليلى
قمْ ، يا قيس ، التاريخ ركامٌ
والحاضر وحشٌ
تتلبّسه خِرَقٌ وعِظامٌ .

VII

بابل جنسٌ
للموتِ ، وبابل حبٌّ
تهبط نحوي

ضِقتُ عليها / ضاقت
عرفتُ أنّ حنيني تَعبٌ / تعبتْ
عرفتُ أني عَرقٌ أتبخّر فوق سريري / تعبتْ
عرفت أنّ الليلَ فَراشَةُ جنسٍ / تعبتْ
بابل تصعد نحوي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قولوا : هذا زمن الرؤيا ، زمن الأنقاضِ ، وقولوا :
أهلاً بالأطرافِ ، بكلّ عصيٍّ
أهلاً بالتّيه ، بكلّ قصيٍّ

بابل تهبط نحوي
بابل تصعد نحوي . . .
بابل ، أنتِ الطّفل وأنتِ الأمّ ، وأشهدُ
كيف يصير ترابُكِ حلماً
ويصير أباً
ويصير جنيناً .

VIII

أَليومَ ، يحاول وجه الصخرة أن يتزيّا
أليومَ ، سمعت الشّمسَ تخاطب طفلاً
أليومَ ، رأيت طريقي في خطواتِ شريدٍ :
هل أدخل فيّ؟
هل أخرج مِنْ؟
واليومَ ، أهيّء ذاكرتي
للذّبْحِ ،
أحسّ كأنّيَ طفلٌ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بابل ، يكفي
أن تجتاحي مُدُنَ الضوء بغير عيونٍ
يكفي زحفكِ نحو الرّغبة في جمجمةٍ أو في سَيْفٍ
يكفي أن يُقطعَ رأسٌ
كي يُلأمَ جرحٌ /

بابل تنهضُ ــ جئنا
نمنح فيك العاقلَ ذاكرة المجنونِ
ونقودُكِ ، دون ملوكٍ أو حرّاسٍ
لغةً للبدءِ ، هباءً للتكوينِ .

بابلُ جئنا
نبني ملكاً آخرَ ، جئنا
نُعلن أنّ الشّعر يقينٌ
والخَرْقَ نظامٌ .

هوذا نجْمٌ
يتوهّج بين كواحلنا
ثقةً بجحيم خُطانا
ثقةً بفضاءٍ
يتناسلَ ملْءَ حناجرِنا ــ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غنّيتُ / أغنّي
جسَد التاريخِ ، طيورَ الأزمنة المكنونَهْ
وأبحْتُ لكلّ صعودٍ لغتي
وأبحْتُ لكلّ صباحٍ
أن يتقمّص وجهيَ ، أن يُنكرَني –

هل للتاريخ طريقٌ
خارج نَزْفِ الرّئة الملعونَهْ؟
هل للأرض كتابٌ
لا تكتبهُ اللّغة المجنونَهْ؟

(بيروت ، أوائل آب ، 1977)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقت


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاضِناً سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارِ:

ما الدّمُ الضّاربُ في الرّملِ ، وما هذا الأفولُ؟

قُلْ لَنا ، يا لهَبَ الحاضِرِ ، ماذا سنقولُ؟

مِزَقُ التّاريخِ في حنجرتي

وعلى وجهي أَماراتُ الضّحيّه

ما أَمَرَّ اللّغة الآنَ وما أضيقَ بابَ الأبجديّهْ .

حاضِناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارِ:

. . . / أَصديقٌ صار جلاّداً؟ أجَارٌ

قالَ : ما أبْطأَ هولاكو؟ مَنِ الطّارِقُ؟ جابِ؟

أَعْطِهِ الجِزْيَةَ . . أشكالُ نساءِ

ورجالٍ . . . صورٌ تَمشي / أشَرْنا

وتَسارَرْنا ، ـــ خُطانا

خيطُ قَتْلٍ /

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتُرى قتلُكَ مِن ربِّك آتٍ
أم تُرَى ربُّكَ مِن قَتلكَ آتٍ؟
ـ ضيّعَتْهُ الأحجيهْ
فانحنى قوساً من الرُّعْبِ على أيّامِهِ المُنْحَنِيه .

ـ لي أخٌ ضاعَ ، أبٌ جُنَّ ، وأطفاليَ ماتوا
مَن أُرَجِّي؟ هل أضمّ البابَ؟ هل أشكو إلى سَجّادةٍ؟
ـ داخَ ، هاتِ الحُقَّ وامْنَحْهُ الشّفاءْ
مِن عطوسِ الفقهاءْ .

جُثَثٌ يقرؤها القاتِلُ كالطُّرْفَةِ / أَهْراءُ عِظامٍ ،
رأسُ طِفلٍ هذه الكتلةُ ، أم قطعة فَحْمٍ؟
جسَدٌ هذا الذي أشهد أم هيكلُ طينٍ؟
أنحني ، أرتقُ عينينِ ، وأرفو خاصِره
ربّما يُسعفني الظنّ ويهديني ضياء الذّاكره
غيرَ أنّي عبثاً أَسْتقرئ الخيطَ النَّحيلْ
عبثاً أجمع رأساً وذراعين وساقينِ ، لكيْ
أكتشفَ الشّخصَ القتيلْ

ـ لِمن النّملةُ تُعطي درسَها؟
ولِمَ الدَّهْشَةُ؟ شِعْرٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَزْجٌ هذا الشَّرَر الفاجع بالعين ، انْخِطافٌ
أن ترى بيتكَ مرفوعاً إلى اللّه شظايا ، ــ

صَرخت بُومة عرّافٍ على مئذنةٍ
نَسجت مِن صوتِها قوسَ قُزَحْ
وَبكَتْ مخنوقةً حتّى الفَرَحْ .

حاضِناً سنبلة الوقت ورأسي برجُ نارٍ :
. . . / كَشَفَ البهلولُ عن أسرارِهِ
أنّ هذا الزّمَنَ الثّائرَ دُكّانُ حِليٍّ ،
أنّه مُسْتَنْقَعٌ مِنْ أنبياءْ .
كشفَ البهلولُ عن أسْرارِهِ
سيكونُ الصّدقُ موتاً
ويكون الموتُ خُبْزَ الشّعراءْ
والذي سُمّي أو صارَ الوطَنْ
ليس إلاّ زمناً يطفو على وجه الزّمَنْ .

كشفَ البهلولُ عن أسرارِهِ
أين مفتاحك يا أبّهةَ الطّوفانِ؟ لُطْفاً أغْرقيني
وخُذي آخرَ شُطآني خُذيني

سَحرتْني لُجّةٌ لاهبةٌ
سَحرتْني قَشّةٌ تحترقُ
سَحرتْني طرقٌ تجفل منها الطُّرقُ

حاضِناً سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارٍ:
نَسِيتْ نفسيَ أشياء هَواها
نسيت ميراثَها المكنون في بيت الصُّوَرْ
لم تعد تذكر ما تلفظه الأمطارُ، ما يكتبه حبر الشّجرْ،
لم تعد ترسمُ إلاّ
نَوْرَساً يقذفه الموجُ إلى حَبْل سَفينهْ
لم تعد تسمع إلاّ
مَعْدناً يَصرخُ: ها صَدْرُ المدينَهْ

قَمرٌ يَنْشَقُّ مربوطاً إلى سُرّةِ
غُولٍ مِن شَرَرْ
لم تعد تعرف أَنَّ اللّهَ والشّاعر طفلان ينامان على خَدِّ الحَجَرْ.
نَسيت نفسيَ أشياءَ هواها
ولذا يُرعبني الظلُّ ـ الغدُ المُرتسِمُ
ولذا يملؤني الرِّيبُ ويَستعصي عليَّ الحلمُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُوثَقاً أركض من نارٍ لنارِ
غـصـتُ تـحـت الـعَـرقِ الـدّافـقِ مـن جـسـمـي ، وقـاسَـمْـتُ
الجدارْ

أَرَقَ اللّيلِ / (خُطَى اللّيلِ وحوشٌ . . .)
ومِراراً قلتُ للشعر الذي يرسب في ذاكرتي :
أيُّ مِنشارٍ على عُنْقيَ ، يُمْلي
آيةَ الصّمت؟ لمن أروي رمادي؟
وأنا أجهل أن أنتزعَ النّبضَ وأرميهِ على طاولةٍ
وأنا أرفض أن أجعلَ من حزْنيَ طبلاً للسّماءْ ،
فَلأقلْ : كانت حياتي
بيتَ أشباحٍ وطاحونَ هَوَاءْ .

حاضِناً سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارٍ :
شَجرُ الحبّ بقصّابينَ آخى
شَجَرَ الموتِ ببيروتٍ ، وهذي
غابَةُ الآسِ تُوَاسي
غابةَ النّفْي ، ــ كما تدخلُ قَصّابينُ في خارطةِ
العشْب ، وتَسْتَقْطِرُ أحشاءَ السّهولْ
دخلت بيروت في خارطةِ الموتِ / قبورٌ
كالبساتينِ وأشلاءٌ ــ حقولْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما الذي يسكب قصّابينَ في صيدا ، وفي صورٍ ،
وبيروتُ التي تَنسكبُ؟
ما الذي ، في بعدِه ، يقتربُ؟
ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدِّماءْ؟

. . . يبسَ الصّيفُ ولم يأتِ الخريفْ
والرّبيعُ اسْوَدَّ في ذاكرة الأرض / الشّتاءْ
مثلما يرسمه الموتُ : احتضارٌ أو نزيف
زمنٌ يخرج من قارورة الجَبْرِ ومِن كفِّ القضاءْ
زمنُ التّيه الذي يَرْتَجل الوقتَ ويجترُّ الهواءْ ،
كيفَ ، من أينَ لكم أن تعرفوهْ؟
قاتِلٌ ليس له وجْهٌ / له كلُّ الوجوهْ . . .

حاضِناً سنبلةَ الوقْتِ ، ورأسي برجُ نارٍ :
مُنْهكٌ ألْتفتُ الآنَ وأَسْتشرفُ ـ ما تِلك الخِرَقْ؟
أتواريخٌ؟ أبلدانٌ؟ أراياتٌ على جُرْفِ الغسَقْ؟

هُوذا أقْرأ في اللّحظةِ أجيالاً وفي الجُثّةِ آلاف الجُثَثْ
هوذا يغمرني لُجُّ العَبَثْ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جسدي يُفْلِتُ من سَيْطرتي
لم يعد وجهيَ في مِرْآتِهِ
ودمي يَنْفِرُ من شَرْيانِهِ . .
ألأنّي لا أرى الضّوءَ الذي يَنقل أحلامي إليهْ؟
ألأنّـي طَـرَفٌ أقـصـى مـن الـكـون الـذي بـارَكَـهُ غـيـري وجَـدّفْـتُ
عليهْ؟

ما الذي يَجْتَثُّ أعماقي ويمضي
بين أدغالٍ من الرّغبة ، بلدانٍ ــ محيطاتِ دموعٍ
وسلالاتِ رموزٍ؟

بين أَعْراقٍ وأجناسٍ ــ عصورٍ وشعوبٍ؟
ما الذي يفصلُ عن نفسيَ نَفْسي؟
ما الذي يَنقضُني؟
أأنا مُفْترقٌ
وطريقي لم تعدْ ، في لحظة الكشفِ طريقي؟
أأنـا أكـثـر مـن شـخـصٍ ، وتـاريـخـيَ مَـهْـوايَ ، ومـيـعـادي
حريقي؟

ما الذي يصعدُ في قَهْقَهَةٍ تصعدُ من أعضائيَ المختنقه؟
أأنا أكثرُ من شَخْصٍ وكلٌّ
يسأل الآخرَ : مَن أنتَ؟ ومِن أينَ؟
أأعضائيَ غابات قتالٍ
. . . في دمٍ ريحٍ وجسمٍ وَرَقَهْ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أجُنونٌ؟ مَنْ أنا في هذه الظُّلمة؟ علّمني وأرْشِدْني
يا هذا الجنونْ
مَنْ أنا يا أصدقائي؟ أيّها الرّاؤون والمُسْتَضْعفونْ
ليتني أقدر أن أخرجَ من جلديَ لا أعرفُ مَنْ كنتُ ،
ولا مَن سأكونْ ،
إنّني أبحث عن إسْمٍ وعن شيءٍ أسمّيه ،
ولا شيءَ يُسمّى
زمنٌ أعمى وتاريخٌ مُعمّى
زَمَنٌ طَمْيٌ وتاريخٌ حطامْ
والذي يملكُ مملوكٌ ، فسبحانَكَ يا هذا الظّلامْ .

حاضِناً سنبلةَ الوقت ورأسي برجُ نارٍ :
جَدّي السّاميّ مأخوذٌ بما ينسلهُ الدّهرُ العَماءْ
بَبّغاءٌ؟ أم نبيٌّ مُفْرَغٌ في مومياءْ؟
أيّها الجدُّ الذي أعتزل الآنَ طريقَهْ
حسناً ، أنتَ الذي يسكن في جرثومة الماء وأطْباقِ السّماءْ
ومِنَ الحكمةِ أن تمشي ، كما تَمْشي ، شموخاً للوراءْ
وَلأنْتَ السرُّ والمملكةُ المكتنِزَهْ
بالنبوّات ـ أنا العاجِزُ عن فهمكَ ، والسّادِرُ في
الغيِّ ، وأنتَ المعجزهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيّها الجدّ الذي أرفضُه الآنَ وأحببتُ الخليقَهْ
باسْمِهِ الخالقِ ، لن تعرفني بعدُ ، ولن ينسبني شيءٌ إليكْ
غـــيــــرُ ذاك الطَّلَل الراسبِ في نَفْــــسيَ – يَبكيني ، ويُبْكيني
عليكْ .

حاضِناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي بُرْجُ نارِ :
آخِرُ العَهْدِ الذي أمطَرَ سجّيلاً يُلاقي
أوّلَ العهد الذي يُمطر نفطاً
وإلهُ النَّخْلِ ، يجثو
لإلهٍ من حديدٍ ،
وأنا بين الإلهينِ الدّمُ المسفوحُ والقافلةُ المنكفئَهْ
أتَقَرّى ناريَ المنطفئه
وأرَى كيف أُداري
موتيَ الجامحَ في صحرائِه ،
وأقول الكونُ ما ينسجهُ حُلْميَ . . / تَنْحلّ الخيوطْ
وأرى نفسيَ في مَهْوى وأسْترسلُ في ليل الهبوطْ
وأرى الأشياءَ دولابَ دخانٍ
وأرى العالَمَ صَيْداً
مُدّتِ المائدةُ ، ـ الأجسادُ بَقْلٌ
والمواعينُ رؤوسٌ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجلسُ اللّه إلى مائدة الصَّيّدِ ، غزالٌ
كان خبّازاً ، وضَبٌّ
كان جندياً / إلهٌ
يأكل الصَّيّدَ ، أم الصَّيّدُ الإلهْ؟
طُرقٌ تكذبُ ، شُطآنٌ تخونُ
كيف لا يصعقكَ الآنَ الجنونُ؟
هكذا أنتَبِذُ الآكِلَ والأكْلَ وأرتاحُ إلى كلِّ مَتَاهْ
وعَزائي أنّني أُوغِلُ في حلميَ ، ـ أَشْتَطُّ ، أموجْ
وأغنّي شهوة الرّفض ، وأهْذي
فَلَكُ الزُّهرة خلخالٌ لأياميَ ، والجَدْيُ سِوارٌ
وأقول الزُّهر في تيجانِهِ
شُرُفاتٌ . . .
وعَزائي أنّني أخرجُ ـ أستَنْفِرُ أفْعال الخُروجْ .

أَسْرِجوا هذي الرِّياحَ الجامحَهْ
إنّه التاريخ مذبوحٌ وليس الذّبح إلا الفاتحه
واتركوا الذّابح والمذبوحَ والذّبْحَ شُهوداً
واغمروني ببقاياهُ ارْسُموني
طَلَلاً بين الطّلولْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هكذا أغترف الحكمةَ مِنْ مَعْدنها
صارِخاً أهْلاً بأنقاضيَ أهلاً بالأفولْ .

هكذا أَبتدئُ
حاضِناً أرضي وأسرارَ هَواها ، ـــ
جَسَدُ البحر لها حبٌّ له الشّمسُ يَدانْ
جَسَدٌ مُستودَعُ الرَّعْدِ ومَرْساة الحنانْ
جسدٌ وَعْدٌ أنا الغائب فيهِ
وأنا الطّالعُ مِن هذا الرِّهانْ
جَسَدٌ / غطّوا بضوء المطر العاشِق وَجْهَ الأقحوانْ ،

ولْيَكنْ . . .
أحتضنُ العصرَ الذي يأتي وأمْشي
جامِحاً ، مِشْيةَ رُبّان ، وأختطّ بِلادي ، ـــ
إصْعدوا فيها إلى أعلى ذُراها
اهْبطوا فيها إلى أغْوارِها
لن تروا خوفاً ولا قيداً ـــ كأنّ الطّيرَ غُصْنٌ
وكأنّ الأرضَ طِفْلٌ ، والأساطيرَ نِساءْ
حُلُمٌ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أُعـطـي لـمـن يـأتـون مِـن بَـعـديَ أن يـفـتـتـحـوا هـذا الفضاءْ .

ليس جلدي كوخَ أفكارٍ ، ولا
شَغَفي حَطّابَ ذِكْرى ، ــ
نَسَبي رفضٌ وأعراسي لِقاحٌ
بين قُطْبين ، وهذا العَصرُ عصري
الإلهُ الميتُ ، والآلةُ عمياءَ ، وعَصْري
أنّني أسكن حَوْضَ الرّغباتْ
أنّ أشلائيَ أزْهاري ، وأنّي
ألِفُ الماءِ وياءُ النّار ــ مجنونُ الحياةْ .

كاشِفاً للوقتِ أسرارَ هَواهُ :
هكذا يعترفُ
إنّه الضّلّيلُ ، والخارِجُ ، والمختلِفُ .

(بيروت ، 4 حزيران ــ 25 تشرين الأول 1982)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسماعيل


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسماعيل

مُتدثِّراً بدمي ، أسيرُ ـ تقودُني
حمَمٌ ، ويهديني رُكامٌ ، ـ
بشرٌ تموج حشودُهم
طوفانَ ألْسنةٍ : لكلِّ عبارةٍ
مَلِكٌ ، وكلُّ فمٍ قبيلَهْ .
. . . وأنا الذي نبذتهُ كلُّ قبيلةٍ[1] .

وخَرجتُ تحضنني الجراحُ ، وأحضن الأرضَ القتيلَهْ ،
أبْني خيامِيَ في دمي
وأقول لاِسْمي أن يلمّ دفاتري
من بيت اسماعيلَ[2] /

(١) يمشي وحيداً
يمشي أمام زمانه .
(٢) لو كان اسماعيلُ حقلاً ، لسكبتُ غيميَ فوقهُ ،
لو كان إعصاراً لكنتُ لِعَصْفِه أفقاً ، وكنتُ خليلَه . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اسماعيل يطفو
صحراءَ(٣) من كتبٍ تموتُ ، وفوقهُ
قمرٌ تقلَّدَ سيفَهُ
وَمضى يجرّ نياقَهُ . . .

/ . . . وأنا الذي نبذتْهُ كلّ قبيلةٍ(٤)

أَتَسَقَّطُ الشّرر الذّليلَ / بناتُ نعشٍ
يرقدن في زغَب الظلام / رأيتُ وجهيَ شامةً
في ضوئهنَّ ، رأيتُ موتي
طيْراً على كتفِ الظلامْ ،
والرملَ يرتجلُ الكلامْ .

في الجانب الشرقيّ من نهْر الفراتِ لقالقٌ
حَملتْ مفاتيحَ الرّحيلِ ، وقوّضت
أعشاشَها ،

(٣) صحراءُ ـ عِقدٌ من رمالٍ ، والقوافلُ خيطُهُ . . .
(٤) عبثاً تُسائلُ عن صديقكَ / ماتَ ،
وَالبيتُ الذي آواهُ ماتَ / احْفرْ طريقاً
للقائه ، في قلبك الباقي ـ ولكن
أتظنّ أنّ القلبَ يبقى؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الجانب الغربيِّ، ينْهضُ هيكلٌ –
ثدْيان ينتفخان قشاً .

/ . . . وأنا الذي نبذتْه كلُّ قبيلةٍ
هوذا تُفرّقني يدايَ / دمي يُحاربهُ دمي
جسداً يُمزَّقُ في جسَدْ
والحبّ لا أحدٌ، وموتيَ لا أحَدْ(٥) .

منْ أنتَ؟(٦) يصرخُ بي حطامي
ويكاد ينكرني كلامي .
نارٌ تجيءُ إليهِ من أرضٍ تعومُ، تنامُ تحتَ وسادهِ

نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ على رؤوسٍ
حُشيت بألسنةٍ – خليقةِ خالقٍ يُملي الدماءْ
كتباً، ويثبت ما يشاءُ لها، ويمحو ما يشاءْ
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ – يكاد يأخذه الشرارْ
من أين يخرج – كيف يخترق الحصارْ؟(٧)

(٥) لا ماءَ يعرف أين صحرائي، وكيف أذوقها .
(٦) ألقي بأسئلتي ولا ألقى جواباً . .
(٧) يُعطينيَ الشجرُ الكريمُ رداءَهُ
ويمدّ لي نجمٌ يديهِ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودّعتُ / أذكر قاعداً
في بيت اسماعيلَ(٨) ، ــ يربطُ صخرةً
بسحابةٍ
ويشجُّ بالحَجَرِ النجومَ ، ــ يعيشُ بين سلاحفٍ
شطحت ، ونامتْ .
ودّعت / أذكرُ هودجاً
يهذي(٩) بسيدتي ، وأذكر أمّةً
تهذي بآخرِ ما تبقّى :

وحشٌ بلا رأسٍ ، يُتوّجُ نفسهُ
ربّاً ، ويبسطُ ظله
وَطَناً كقبعةِ المهرّجِ . . / ظِلّهُ(١٠) .
أرضٌ تمد حقولها سُرُراً ، وتُهدى . . .

(٨) أحلام اسماعيل جاثيةٌ ، وجبهتهُ ترابٌ /
ما كان اسماعيلُ إلاّ
صوتاً يقاتلُ بعضَه بعضاً ، وليس له فضاءٌ .
(٩) طِهْمازُباي ــ لم يَزَلْ يهذي بذبحِ شقيقهِ
وبقتل كل مخالفٍ .
(١٠) . . . ولظلّه
عَسَسٌ ، وبَنْكجَريّةٌ . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودّعتُ ، وارْتَسمَ الأفولُ على جبيني
ومنحْتُ للزّمنِ المفَتَّتِ نبْرتِي
ومنحتُ نبرتَهُ يقيني .

/ . . . والأرضُ[11] تدخلُ في السُّعال المعدنيِّ / شوارعٌ
رُصِفَتْ بأطفالٍ ـ ذبائحَ[12] / أمّةٌ
تزهو بِعرشٍ من عِظام[13] .

إذهبْ وطُفْ / فكرٌ كأسماكٍ مُعفَّنَةٍ ، مدينةُ ألْسُنٍ قُطعت وَديستْ . إذهبْ وطُفْ ، وَسَلِ الجذورْ كيف ارتدَى جسَدُ المكانِ وحوشَهُ أوْسَلْ غُرابَ الأبجديّةِ ـ جِسمَ إسماعيلَ ، إسماعيلُ خارطةُ العُصورْ . إذهبْ وطفْ / إفتَحْ هنا رأساً ، هنالك فكرةً

(١١) أرضٌ من الأنقاض / غاب قبائلٍ ومذابحٍ
أرضٌ تتوّج عصرنا
مَلِكاً على عرشِ الخرافةْ
أرضٌ توسّعُ بين خطوتنا وهولِ جَحيمنا ، هَوْلَ المسافةْ .
(١٢) ذَبحٌ ، وجلادون يقتسمون جِلدَ ذبيحهمْ .
(١٣) أهدى قرقْماسٌ لزوجتهِ سواراً
من عظم طفلٍ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ستری لوجهكَ صورةً مجهولةً وترى ثيابك فوق جسْمٍ غيرِ جسْمكَ . ربّما صادتْكَ أنيابٌ لها لغة الملائكِ ، أوْ لهَا شكْلُ السّماءْ إذهبْ وطُفْ / سَترى خنازيراً يُحوّلها الكتابُ إلى ظِباءْ .

. . . / ونخافُ من جَسٍّ الرّغيفِ ، وما نقولُ لقاتلٍ
نَسَجَ الدّماءَ وسائداً؟(١٤)

مَنْ أنتَ إسماعيلُ؟(١٥) نازفةٌ خُطاكْ
كُتباً يُلَملِمُها حُواةٌ

(١٤) إجراءُ سلطانٍ / أأنت مُغفّلٌ
أمْ جاهلٌ لتقولَ : لا؟
(١٥) هل كان اسماعيلُ قافلةً
ترى الضدَّ الجميلَ ، وتصطفيه أخاً لها؟
هل كان يرفع رأسهُ
قوساً لموكبِ قلبه
ويرى السماءَ طريدةً لخياله؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فِي كلِّ حَرْفٍ حُفْرةٌ
فِي كلِّ فاصلةٍ سَرابٌ
حَشْوٌ ، وَرَجْمُ خرافةٍ ، ـ

لم تُبْقِ عندكَ لي مكاناً ليخيطَ حِبْرِيَ ثوبَهُ
لِيُؤاخيَ اللّهَبُ المحرَّرُ ما أُحِسُّ وما أقولُ / شَطَرْتَني
وفصلْتَ بين دمي وبيني ، ـ
مَنْ أنتَ إسماعيلُ ، كيف أراكَ لَحْظَةَ لا أراكْ؟

لكنَّ إسماعيلَ جرحٌ وأنا رفيقُ عذابِهِ ، ورؤايَ حانيةٌ عليهْ وأنا رسالةُ مُنتَمٍ ـ لا مُنتَمٍ ، كُتبت إليهْ .

/ . . . والأرضُ تدخلُ في السُّعالِ المعدنيِّ /
نبيُّها هَيٌّ بنُ بَيٍّ(١٦) .

هل قادهُ غيبٌ إلى أسرارِه ، حقاً ، وطوّف باسمِه
حبٌّ لوجه الحبِّ ـ يقرأ في الشعائر حُلمهُ؟
هل كان اسماعيلُ ظناً ، أم كان إثماً؟
(١٦) هيُّ بْنُ بَيٍّ آلةٌ
لا شيءَ يقدر أن يترجمَ سِحرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والأمةُ انحسرتْ وذابت
في جـــدولٍ وحلٍ يســـيلُ يذوبُ في هيٍّ بنِ بَيٍّ .

يا شمسُ ، يا قدمَ النهار ، تركت ليلَكِ عندنا
ونسيتِه . .

ـ منْ أنتَ؟
ـ من تميمٍ .
«ولَوْ أنَّ بُرغوثاً على ظهر قملةٍ
يكرّ على جَمْعَيْ تميمٍ ،لَوَلَّتِ»(١٧) .

ـ لا ، لستُ من تميمٍ .
ـ من أنتَ؟ تغلبيٌّ؟
ـ لا ، لستُ تغلبيّاً(١٨) .

(١٧) كُجُكٌ ـ يسنّ حرابَهُ
هدَم البيوتَ لكي يُقيمَ حصونَهُ .
(١٨) كُزْلارْ آغا ـ قال : أمْوال الصناجقِ للأميرْ
أخذَ السبايا واشترى
تعيينَه بالمال / فرهادٌ خليفتهُ الصغيرْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. . . / والأرضُ تدخلُ في السُّعالِ المعدنيّ / نبيُّها هَيٌّ بْنُ بَيٍّ[١٩] .

منْ أنتَ إسماعيلُ؟ مَسْرحنا[٢٠] يواصلُ عَرْضَهُ
ـ «من أجل مجدكَ في العُلَى!»

عُنق القذيفةِ كاهنٌ
يصلُ الزّمانَ بخيطهِ
ويَخيطُ سِرْوالاً لكلِّ دقيقةٍ
ـ «من أجل مجدكَ في العُلى!»

منْ أنتَ إسماعيلُ؟ قيلَ الشّمسُ عندك جَرّةٌ ، والأرضُ
صَحْنٌ . . .
هل أنتَ قلْعةُ ساحرٍ ، أم رأسُ غُولٍ؟
ـ «من أجل مجدكَ في العُلى![٢١] » ـ

(١٩) جاؤوا بآخرِ من تبقّى
ـ جاؤوا بأرجلهمْ ، وجاؤوا
بأنوفهمْ : حكمٌ بهِ طوْمانُ أفتَى .
(٢٠) حفْلٌ /
وتشربُ كلُّ جمجمةٍ سُلافةَ حبّها من جوف ميتٍ .
(٢١) زبدٌ . . . / واسماعيلُ يطفو
جبّانةٌ تجترّ موتاها وتسكبُ ريقها
مَرْثيةً ، ـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رئةُ العصور تمزّقَتْ
والأرض خِرقَةٌ حائكٍ .

مُتَدثّراً بدمي ، أسيرُ ـ تقودني
حُمَمٌ ويهديني حُطامٌ ـ
حَفلٌ تخصّ به الإبادَةُ نسلَها
حَفْلٌ لاسماعيلَ يختتِمُ الزمان ، تُراهُ يفتتحُ الزمانْ؟
حَفْلٌ يضيقُ به المكانُ ـ وقيل إسماعيلُ جاءَ وقيل غابَ ـ
ضيوفُهُ ملأوا المكان

مِلَلٌ وآلهةٌ يؤاكِلُ بعضها
بَعضاً ، ويأكلُ بعضها
بَعْضاً ، ـ ويختلط الكلامْ

ـ حشدٌ يوزع وَرْدَهُ فرحاً بمقصلةٍ تُقامْ . ـ الأطلسُ العربيّ جلْدُ نعامةٍ غلبت نعامهْ ـ لا غالبٌ إلاّهُ / سَرْجُ حصانِه ذهبٌ ، وجبهتهُ غمامَهْ .

والأرضُ تدخل في السُّعالِ المعدنيِّ / نبيُّها
هَيُّ بْنُ بَيٍّ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ من أنتَ؟ من أميّةْ؟[٢٢]

ـ لا ، لستُ من أميّةْ .

ـ منْ أنتَ؟ هاشميٌ؟[٢٣]

ـ لا ، لست هاشمياً .

حَفْلٌ لاسماعيلَ ، إسماعيلُ جاء وقيلَ وغابَ ، ضيوفهُ
مِلَلٌ وآلهةٌ يؤاكِل بعضُها
بَعضاً ، ويأكل بعْضها
بعضاً ، ـ وتمتزجُ الألوهةُ بالرّصاصْ
أهُوَ الخلاصْ؟[٢٤]

(٢٢) «وَهى من أمية بنيانها
وهانَ على الله فقدانها . . .»

(٢٣) «بني هاشم ، عودوا إلى نخلاتكمْ
فقد صار هذا التّمرُ ، صاعاً بدرهم
إذا قلتمُ : رهطُ النبيّ محمدٍ
فإن النصارى رهطُ عيسى بن مريم»

(٢٤) هل كنت تسألُ عن نجوم قبيلتي؟
أفلتْ / أحبُ الآفلينَ ـ صَدَقْتَ : أجنحة الدجاج ملائكٌ
والشمسُ قشرة برتقالهْ
صدَقْتُ : جنسيَ طحلبٌ ،
والله آله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أدعوكَ إسماعيلُ ، خَمرةُ عَهْدِنا
سُكِبَت ، ومائدةُ الغَسَقْ
في زَهوها ـ
وأنا وأنتَ السّاقيانِ ، وحولنا
حَشَراتُ أسلحةٍ تطوّقنا وتفقسُ بيضَها . . .

أدعوكَ إسماعيلُ ، أفتتح النهايةَ : لست نَسْلَكْ[٢٥] .

أعطيتُ قبلكَ جَنّتي حوّاءهَا
ورأيتُ وَجْهَ الله قَبْلَكْ .

أدعوكَ إسماعيلُ ، أنهي ما بَدأتَ ـ أقيم في بَهْو العُصورِ وَليمتي .
أَجْتَثُّ نفسيَ منكَ / آخِرُ نَوْرَسٍ
قرأَ الشواطئَ جالسٌ
قُرْبي ، وأوّلُ نَوْرسٍ

(٢٥) أجتثُّ نفسي منه ، ـ أهلي :
قتّالُ آلهة ،
وخالقُ غبطةٍ ،
ومحرّرٌ . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كَتَب الشواطئَ جالِسٌ
قُرْبي ، وأفْتَتِحُ البدايةَ ، خالقاً
لَعباً كوجه الله يسبحُ في مياهِ الأبجديهْ :
في كلّ شيءٍ سِرّهُ
يجري ، وليس لمثلهِ
أن ينتشي بجذورهِ
أو أن تحاصرهُ هُويّةْ(٢٦) .

من أوّلٍ ، أتعلّمُ الكلماتِ ، أُتْقِنُ سِرَّها
وأقولُ : جذري
لعبٌ ، وتيهُ مباهجٍ ، ـ
كشْفٌ يُدشّنُ كلّ ضوْءٍ
شغفاً ، ويفترش الترابَ كمثلِ نبعٍ(٢٧) .

وأقول : أسلافي هَوىً
عشقَ الفضاء ، وصاغَ من جسدِ الهواءِ شراعَهُ
والفجرُ يُلبسني مباذلهُ ، وكلّ سحابةٍ

(٢٦) ماذا؟ كأنّ الماء ذاكرتي / أأسكنُ قلبَ نبعٍ؟
(٢٧) أعطيتُ نفسيَ صبوتي ، ونسيتُ نفسي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَطنٌ لحبّي[٢٨] ،

وأقولُ : حبّي
من أولٍ ، يتعلّمُ الكلماتِ ، يُتْقنُ سحرها
ويشاركُ العنبَ النبيلَ بمكرِهِ ؛[٢٩]

أيامه الشّجَرُ الملقّحُ بالفصولِ ــ يَداهُ فجرٌ
لا فجر إسماعيلَ ، بل هذا الدم المسكوب في كأسِ الكلامْ
لا الأمس ، بل هذا الحُطامْ :

جُثثٌ ــ أخٌ وأخٌ ، حدائقُ عاشقينَ وأصدقاءْ
جُثَثٌ ــ مواعيدٌ ، تلهّفُ غائبٍ
وحنينُ منتظرٍ ، وصبوةُ حالمٍ
جُثثٌ ــ مَوائدُ ، نُقْلُها كُتبٌ وخمرتها السماءْ .

(٢٨) خبّأتُ حزني في جدارٍ ــ في بيتنا المهدومِ / نجمٌ
ساهِرٌ يحنو عليه ، ــ
يأسي قناعٌ
غضبي غزالٌ نافرٌ يرعاهُ طفلٌ .

(٢٩) ماذا يقول مُقيّدٌ
يمحو النبيُّ كتابهُ
يمحو الكتابُ لسانَهُ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جُثَثٌ ــ وتعجزُ أن تُميِّزَ : أيُّها
سيفٌ يَجُزُّ ، وأيُّها
عُنقٌ؟ يُجزُّ ، وأيُّها . . .
جُثَثٌ ــ وتخرج من بُخارِ سديمها
سُوَرٌ تقولُ : القتلُ مُبتدأٌ ، ويُخلطُ قاتلٌ بقتيلهِ
ويصيحُ بيتٌ : إنني قبرٌ ويصرخ شاعرٌ :
شعبي فضاءُ دمٍ ، ويلتبسُ الفضاءُ على الفضاءْ .

مُتدثِّراً بدمي ، يسيرُ ــ تقودهُ
حُمَمٌ ، ويَهديهِ حطامٌ :
أتقدّمُ الكلمات نحو سَريرها
لأرى بحيرةَ موْتها ، ــ
قالَ الغَسقْ
عُنُقُ الرّماد مَدَدْتُهُ(٣٠)
جسراً لكلّ نبوءةٍ ، ــ
قالَ الغسقْ
جَسَدُ المدينة قاحِلٌ
لَقّحتهُ ، وجلوْتُ للنسغِ المحرِّر جنسهُ ، ــ

(٣٠) مَزَج الرمادُ ثيابهُ
بالريح / نام : وسادةٌ
أفقٌ وشمسٌ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الغَسَقْ

لو أنّ لي بيتاً لكنتُ دعوتكم
ولقلتُ : فيه تؤمنون وتكفرونْ
ولَكنتُ أرحبَ ساحةٍ لجنونكمْ
ولَكنتُ أصدقَ صاحبٍ ، ـ
قال الغسقْ .

. . . / وأنا الذي نبذَتْهُ كلّ قبيلةٍ(٣١)
ليكونَ لي أنْ أسمع الصوتَ الذي همسَتهُ حنجرة الغسقْ ،
أعطيتُ للحقل الصديق شقائقي
أعطيت أوراق الفصول محابري
أعطيتُ ذاكرتي لكل ثنيةٍ
في ذلك الجسد الذي سمّيتهُ
وطناً ، وعاش بلا وطنْ ،

وَلبستُ شعري كالكفنْ(٣٢)

(٣١) قاومتَ ، ـ حتى الضّوء مات / ألستَ نبضاً؟
في كل شيءٍ نبضةٌ ماتتْ / أتنهضُ؟ كيف أعطي
لخُطاي دربكَ؟ كيف أبدأ؟ أين أمضي؟
(٣٢) جلسَ النهار إلى خواني مرهقاً
وبكى / فرحتُ ، ـ رأيته يبكي معي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعطيتُ قرميدَ الثلوج قصائدي
دفئاً له ،
أعطيتُ شيخ الريح عُكازاً توارَثهُ أبي عن جدّهِ
أعطيتُ أهداب السَّماء نوافذي
أعطيتُ كلَّ مهيَّم شغفي وناري
أعطيتُ هاجَرَ كلَّ ما يُعطيه إبْنٌ
أعطيتُ إسماعيلَ أجملَ ما رأتْهُ طُفولتي ،
ليكونَ لي أن أسمعَ الصّوتَ الذي هَمَسَتْهُ حنجرةُ
الغَسَقْ .
غَسَقٌ وإسماعيلُ يدخلُ في الغَسَقْ
إملاءَ صَحْراءٍ ، ورأسكُ ـ طائحاً ، إيقاعُها(٣٣) .

غَسَقٌ وتبتهجُ الطبيعةُ بالغسَقْ
ودمي نشيدٌ للغسَقْ
صفصافةٌ فَرَشَتْ جدائلها لتحتضنَ الغسَقْ
ماءٌ يفارقُ نبعَهُ ليرى الغسَقْ

(٣٣) مازال حِبرُ الكهف يرسمُ فأسهُ
في قلب عصري : لست منه ، أنا نقيضٌ :
حَفّارُ أحلام ، ـ غيومٌ
وعدت ببرقٍ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في كلّ شيءٍ زهرةٌ
تحنو على كتفِ الغسَق ؛(٣٤)

غَسَقٌ وترتطم السماءُ بخطْونا ، ـ
هُوَذا أصافحُ خالقاً
جَمدت أصابعه ، وأُعطي
لُغتي لحبر الموت ، ـ أتْبعُ هذه الكُرةَ الخفيفةَ
من خيوط العنكبوتْ
وأقولُ : أرضي عاشقٌ ميْتٌ وعاشقةٌ تموت .
هوَذا ، سأرسم كوكبَ الغَسَق المضيءِ على يديَّ ،
لكي أحيِّيَ وردةً
ذَبُلَتْ ، وكنتُ قطفتُها
من شُرْفةِ الزمنِ الذي آخيته ،
ولكي ألامسَ طينها بكراً ، يردّ إلى العناصر سحرها
ويقول لِلُغةِ اتبعيني
هذا هوَ الغَسَقُ الجميلُ قَتيلُهُ يَرِثُ القتيلْ
هذا هُوَ الغَسَقُ الدليلْ(٣٥) .

(٣٤) أين اتجهتُ ، أرى قلوباً
ثُقبت ، ـ أرى رأساً تدلّى . . .
(٣٥) كتف النهار جريحةٌ ، والليل يعرُجُ / حيْثنا
قبرٌ ، ـ سأقطف وردة وأضمها لرسائلي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متدَثِّراً بدمي ، أجيءُ ـ يقودُني
حُلمٌ ويهديني بريقٌ ، ـ
هَيَأتْ بيتيَ لابنِ رُشْدٍ
وأبي نواسٍ ، والرَّضيّْ
وكتبتُ للطائيِّ أن يأتي ، وقلتُ لذي القروح : أبو العلاء أتَى ،
وأحمدُ ، وابنُ خُلدونٍ ، ـ
سنعلنُ آيةَ الأحشاءِ ، وسوسَةَ السَّديم الأوَّليّ
ونفكِّكُ اللغةَ الدفينهْ
في غابة الأشياءِ ، ـ نقرأ صخرةً
غَمُضَتْ ، ونسمع ما تُوَشوِشُ ياسمينه
ويدورُ في خَلَدِ الحقولْ :
ألحبُّ زهرةُ رغبةٍ
والشعر فاتحة العُقولْ(٣٦) .

بيروت ناقة هاربٍ ، والموت هودجها / رأيت جرائماً
ترعى ، رأيتُ خِرافها
ورأيتُ رقص معادنٍ . . .
وأرى : الخيامُ هي الخيامُ ، أرى : الطّلولُ هي الطلولْ
طرُقٌ مُزنَّرةٌ بعصف سديمها
والنارُ تعرف ما أقولْ . . .
(٣٦) قِردٌ على حجر التنبؤ جالسٌ
يرنو إليَّ كأنني قديسةٌ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

... / وأنا الذي نبذتْه كلّ قبيلةٍ
أدعوكَ ، اسماعيلُ ، أكْمِلْ ما بدأتُ / أُقيمُ في بهْو العصور وليمتي

لم يبقَ من جسد المكان سوى التراب / حضنتهُ
طيناً ، وضرْبةَ خالقٍ ـ
لعِباً يذوّب في دَمي تِرْياقَهُ ، ـ

ببراءةِ اللّعبِ التَبسْتُ ، ـ رأيتُ في الحجر الجناحَ ، رأيتُ جسمي وردةً

تملي كتابَ رحيقها ، والكونُ حِبْرٌ
ببراءةِ اللعِبِ اتّحدْتُ ، وغيَّرتُ
صُوَرَ الطبيعةِ ـ قلتُ لِلّعبِ اسْتَبحْ جسدي وخُذني
يا شيخَ حبّي ، أيها البحرُ المنوّرُ ، أعطني

أأقولُ اسماعيلُ ناريَ ، هاجرٌ
بيتي ، وابراهيمُ بردٌ؟
ماذا أقول له؟ أأزعمُ أنني
ربٌّ؟ وأعلن جنّتي :
حواء تفاحٌ ، وآدم شهوة
والموت مفتاحُ السماءْ؟
أأقول : لي قدمٌ هنا ، ويدٌ هناك ،
ولي خيول في الهواءْ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضناً يشاركني جُموحي
لَكَ صورةٌ ـ أطْرافيَ ارتسَمَتْ على أطرافِها
وأنا وأنتَ مُضَرّجانِ بعهدِنا[٣٧] .

وأنا هوىً بطِرٌ يُحَصّنني ـ أنا حُلمي أخطُّ غيوبَهُ
صُوراً تُكاشفني
أنا جسَدي ، وللجسد ابتهالي
والحلمُ زهرُ موائدي
والحلمُ خبزيَ واحتفالي ،
فأرى كأنيَ طينةٌ
جُبِلت بغير غُبارها
وَيضمّني جسدي إلى جسَدي ، ويسألني سؤالي .

وأرى كأنّي
آخيتُ بُهلولاً ، وسُقْتُ إلى المياهِ قطيعَ نخْلِ[٣٨]
(لو أنّ اسماعيل يُعْتِقُ نفسهُ من نفسه)
آخيتُ بهلولاً وسخْتُ ، صَحبتُ سَرْخَسَ نشْوةٍ

(٣٧) عهدٌ يُنوِّرُ صورة الزمن الجديدْ ، ـ
زمنٌ ـ هيامٌ خالقٌ ، وبهاءُ عيدْ .
(٣٨) لِلنّخْل أقواسٌ وليس له سهامٌ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولبستُ صفْصافاً، وقلتُ الوردُ خيمةُ عاشقٍ
(لوْ أنّ اسماعيل يُعتِقُ نفسهُ من نفسه)
آخيتُ بهلولاً وكنتُ الجسر بين غوايةٍ وغوايةٍ
(لو أنّ اسماعيلَ يُعتِقُ نفسَه من نفسهِ)
آخيتُ بهلولاً وأسكنتُ الخليقةَ في ردائي
وجَهرتُ: أَوْلى أن يكون الحقُّ مِعراجاً ورائي
آخيتُ بهلولاً لأدخلَ في الأفولْ
وأضمَّ آخِرَ زهرةٍ لتكون أولَ ما أقولْ[٣٩]

ما كان كانْ

حَضَرٌ وبدْوٌ ـ معجَمٌ لِخُرافةٍ
(جَنحَ الغرابُ إلى البياضِ / فلانَةٌ
كتبتْ طفولتها رقيمَ هوىً وأَرَّخَهُ فُلانْ
بيتاً لإسماعيلَ ـ حقلَ دمٍ) / أقولْ
أعطيتُ عَصْريَ للغُبارِ، دخلتُ في رَحِمِ الأفولْ
طيفاً لتاريخٍ يجيءُ، ـ أكاد أسمع خطوهُ:

(٣٩) سأقول إسماعيل وادٍ من حجرْ
سأقول إسماعيل فَخَّارٌ تَشَقَّقَ وانكسَرْ
سأقول إسماعيل صَنْعة صانعٍ
وأقول هاجَرُ لم تهاجرْ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا صورةً ستجيءُ ، يا لغتي وحبي
إن كنتِ واحدةً ، فباسمكِ ــ باسم هاجسكِ الكثير ، أنا أنا ، ــ
وأنا سوايَ (كأنّ اسماعيلَ يخلعُ نفسهُ من نفسهِ)

غَسَقٌ وتبتَهجُ الطبيعةُ بالغسقْ
ودمي نشيدٌ للغسقْ ، ــ
بحْرٌ يموجُ إليّ مُشْتَعِلاً يكرّر موجُهُ
هذا هو الغسقُ الجميلُ ــ قتيلهُ يَرِثُ القتيلْ
هذا هوَ الغسَقُ الذّليلْ .

(بيروت/ تموز ــ تشرين الأول 1983)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبل أن ينتهي الغناء


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1

عُنُقٌ جامحٌ ، عُنُقٌ ، حائرٌ ـ
ألغيومُ تَحيكُ عباءاتِها ،
والرِّياحُ تجيءُ خِفافاً على صهَواتِ الحُقولْ .

لِسُهولٍ جبالٍ
تَتدلّى القُرى مِن ذُؤاباتِها ،
لِنساءٍ يُزنِّرْنَ خَصْرَ الفـ: ماءْ
بمناديلِ أحْزانِهنّ ، وللحزْنِ يقرأُ ما كَتبْتهُ الفُصولْ ،
لِمحابرَ جَفّت ، لِحِبْرٍ يُنَقِّط وَجْهَ السَّماءْ ،
يَنحَني الشّاعِرُ ،
يتذكّرُ : لِلفَقْرِ حكمةُ شمْسٍ ،
والدّروبُ على قدَميْهِ
عُنُقٌ جامحٌ ، عُنقٌ حائرٌ .
أَشْعِلوا لِلمُشرّدِ في فَلواتِ الكلامْ
نارَ أشواقِهِ ،

وانْقشُوا صَخرةَ النّهرِ، عِرْزالَهُ
والبياضَ المخبّأَ في لوحِ أيّامهِ ـ انْقُشوها
بالحَنينِ، وبالشّمسِ تَخلعُ في وَرْدةٍ
ثوبَها كيْ تُفيقَ، وتَلبَسُ رُمّانةً كيْ تنامْ.

حَبَقُ البَيْتِ، نَعْناعُهُ
شُرفتانِ لكلِّ يدٍ تُومئانْ
لم أكن بَعْدُ أعرفُ كيف يُضاءُ المكانْ
بالصّداقةِ. نَجْمي
لمْ يكُنْ دارَ في فَلَكِ الأصْدقاءْ
لم يكنْ بعدُ يكْبو، وتَشْحَطُ رِجْلاهُ في مَهْمَهٍ من جِراحْ.
غيرَ أنّ الصّباحْ
كان يُلقِي دفاتِرَهُ، كلَّ يوم
في فراشيَ، بينَ يدَيَّ، ويُملي رسائلَهُ لِلفضاءْ، ـ
تنْتَشي تَلّةٌ،
يَزْدَهي ساحِلٌ
ألْينابيعُ تقْرأُ لِلعُشْبِ أسْفارَها
وَالغُصونُ تَسُوسُ الهَواءْ.
ـ ما لَهُ ثَوْرُكَ الجافِلُ؟
وَجْهُهُ ناحِلٌ، لونهُ حائلٌ،
هل تَنشَّقَ خمّارَةً؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لم يُطِقْ ، مرّةً ، نِيرَهُ .
ـ والرّهانُ؟
ـ خسِرْتُ الرّهانْ .

2

ساحَةُ القريةِ احْتفاءٌ ـ
يَجلِسُ المُتعَبونَ : حِوارٌ ، ذِكْرياتٌ ، همُومٌ ،
مَجْلِسٌ
تتعانَقُ فيه الجِراحُ ، وينْسى النّهارُ النّهارَ . طيورٌ
تتحدّثُ مَع ريشِها .
غَسَقٌ يتَمرْأى
بينَ ساقَيْ فتاةٍ ، والمُصَلّونَ تحت الشّجرْ
يَعقدونَ مع الغيْبِ أحْلافَهم .

غيرَ أنّ الحُقولَ يَباسٌ ، والعَزيزُ المطَرْ
لمْ يَجئْ منذُ دَهْرٍ .

ـ تحتَ تلْكَ العَريشةِ كَنْزٌ .
ينْبُشونَ القبورَ ، ولَكنْ . . .
ـ مرّةً ، وَجَدوا هيْكلاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دُهِشوا : رأسهُ مثلُ تُفّاحةٍ
ويداهُ رَقيمٌ :
«بين رِدْفِي ونَحْرِي
فَلَكٌ دائرٌ ، فلَكٌ قاتلٌ» .

ألمساءُ يَلمُّ المقاعدَ . ليلٌ
حالِكٌ ، لِلنّجومْ
أوْجهٌ قيل عنْها : ملائِكُ ، منْها
ما يدومُ ، ومنْها
كَبني آدَمٍ ، لا يدُومْ .
بعضُهُم يتذكّر أسماءهَا
بعْضُهُم يتفقّهُ فيها ، ويقولُ : إليْها
يَنْتهي كلّ عِلْمٍ .

بعضُهم يدّعي
أنّ نجْماً هوى
فَوقَه ،
ورآهُ يبدّلُ قُمْصانَهُ .

يسمَعُ الطّفلُ ، يَنهضُ ، يمْضي
ساعَةُ الدّرس حانَتْ ، والقناديلُ لا زَيْتَ فِيها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شَمْعةٌ حامِلٌ
وَضَعَتْ نُورَها
بين أهدابِهِ ،
نُورُها عاشِقٌ ناحِلٌ
لنْ يكونَ له أن يُحيّي
هذه اللّيلةَ ، المُتَنبّي :
ألْهِلالُ الذي يَسْتَضيء بهِ آفِلٌ .

3

عِندما ينْزلُ الشّتاءْ
من ذُراهُ ، ويَرْبِضُ في العَتَباتِ ، وخلْفَ النّوافذِ ،
تأْوي الحقولُ إلى عُرْيِها
وينامُ الحَجَرْ
بينَ أجفانِها .

كان بيني وبين الحقولْ
لعبٌ غامِضٌ ، حَديثٌ
لم أعدْ أتذكّرُ مِنْهُ
غَيْرَ هَرْجِ العَصافيرِ تَغْزو
وتخْتارُ أشْهى ثِمارٍ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنتُ أختارُ : أيُّ البُقولْ
يَتَخيّرها العاشِقونْ
لِصباباتِهمْ
مِثلما حَدّثَ الشّيوخُ ، وأكّدَهُ العارِفونْ .

عِندما كان جيشُ الشّتاء يُرابطُ بيْنَ النّوافذِ ،
تأوي النّساءْ
لِمقاصيرِ أحْلامِهنَّ . المقاصيرُ تَرْوي
ما رَوَتْهُ السِّيَرْ
عن قُلوبٍ ـ كواكِبَ ، عنْ عاشِقاتٍ
مِن غُبارِ الزُّمرّدِ ، أو مِنْ حَريرِ الزّهَرْ
في المقاصيرِ يَعْشَقْنَ ، يُسْلِمْنَ لِليلِ أجسادَهُنَّ ،
وللشّوقِ أكبادَهُنَّ ،
وأهدابَهنَّ لموْجِ الصُّوَرْ ، ـ

ـ دمُها كان بِكْراً .
ـ لم تَخَفْ . تحْتَ زَيتونةٍ أتاها
وضَعتْ ناهِدَيْها
بين غُصنَيْنِ ، رَمْزاً :
في يدَيهِ سَلامٌ وَدِفْءٌ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ جذْعُها جذْعُ نَخْلٍ
والضّفائرُ صَفْصافَةٌ .
ـ خرجَتْ مِن مُحيطِ السَّوادِ إلى مَركزِ البَياضْ
عِنْدما جاءَها المَخاضْ .
والمقاصيرُ قَشٌّ وطينٌ
وتعازيمُ حاءٍ وبَاءْ .

4

يَجلسُ الفَجْرُ كالشّيخِ في كوخِهِ :
ألْقبورُ تُرَشُّ على الأرضِ ، والقمْحُ يَصْدأُ ، والسُّنْبلَهْ
هَجَرَتْ عُنْقَها .
لمْ تكُن قَدمايَ كما يحْدُثُ الآنَ تَرْتجِفانِ ـ
تُرانيَ في هُوّةٍ؟
زمَنٌ يتَقدَّم فيهِ الجَوابُ ، وتَنْهزِمُ الأسئِلهْ .
يجلِسُ الفجْرُ كالشّيخ في كُوخهِ :
ليسَتِ الأرضُ إلاّ
فَلَكاً مِن طُهاةٍ ، فَلَكاً مِن طُغاةٍ .

يَجلسُ الفَجرُ كالشّيخ في كوخهِ :
يَسْتعيدُ ويُمْلي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دَرْسَهُ المُخْتَصَرْ :
قَلَمُ الحبِّ قَوّسَ في كفِّهِ وانْكسَرْ .

5

أخَذَتْني رياحيَ ، واللّيلُ طِفْلٌ
في ثيابي ، وأَلْقَتْ
لغطاءٍ رقيقٍ صِبايَ : شُموسٌ
وغيوبٌ
وأرضٌ
تَتَبطّنُ ذاكَ الغطاءْ
وأنا الآنَ فيهِ ومنهُ ، نَسيجٌ
يتَمزّقُ . ماءُ التّعلّلِ شَحٌّ . مَنِ القائِلُ :
طَعْمُ حوّاءَ مُرٌّ
وآدَمُ سُمٌّ؟
شَحٌّ ضَوءُ الطّريقِ ــ المعَرّي
رَسَمَ الأرضَ قارورةً
ورَماها إلى اللُّجِّ ــ يا أيّها العادِلُ
ما الذي يتَراءى لِيأْسِكَ؟ لا ، لَسْتُ أسألُ ،
عفْوكَ ، عيْناكَ لا تُخْطِئانِ :
الخليقَةُ شِعرٌ
وصَوتُكَ ديوانُها الكامِلُ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

6

قُلْ لأمْواجِكَ اسْتقرّي
أيّها الشّاعرُ المُغَطّى
بالحُطامِ ، وكرِّرْ
ما يقولُ النّواسِيُّ : دَاؤكَ هذا الدّواءْ .

والطّريقُ إلى بيتِنا ، نَزلَ الزّهرُ عنْ كَتفيْها –
أتذكّر : كانَ المسَاءْ
يتَمدّدُ في حضْنِ أمّي
مُلْقياً رأسَه عنْدَ رأسي ،
أيُّها الوقتُ حَرِّكْ رَمادي
فأنا مُطْفَأٌ ونَسِيتُ الغناءْ .

7

ألنّبوّاتُ تَجترُّ أشْلاءَها
والزّمانُ حَصاةٌ
تَتَدحْرجُ في رِئَةِ الأنْبياءْ .

(باريس ، أوائل أيلول 1992)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البرزخ


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للأساطيرِ التي تَحْضِنُ أيّامي وللْحُلْمِ الذي يحْنُو عَليّ
أغسِل التاريخَ ـ ما قال ، وما أنْكَرهُ
بالإشَاراتِ التي يُرسلُها الفَجْرُ إليّ .

1

خرجَ الحاضِرُ مِنْ أسمائهِ
يَخرجُ الشيءُ على أسْمَائِهِ ـ لا أسمّيهِ ، ولكِنْ
قلَّدَ الوردُ يدَ الشاعرِ واستَسْلمَ للماء الذي قلَّد نهْرَ الرّغباتْ
فَقُلِ الآن لِليْل الكَلماتْ :
أنتَ نورٌ آخرٌ يقْتحِمُ الفَجْرَ عَليهْ
سأُحَيّي وزْدةً يحْمِلُها الشّعْرُ إلَيهْ ـ
هُوذا ، أيْقظتْ أعماقي وصِحْتُ الحبُّ جاءْ
عاشِقاً ، أصْغي إلى جِسْمي ، وأسْتقرِئُ ما يكْتُمهُ
وحَصادي دائماً جهْلي بهِ .
سأُحيّي وزْدةً يحمِلها الشّعْرُ إليهْ ، ـ

أُكْتُبِ الجنسَ الذي فيكَ لِكَيْ تقْرأَ تاريخَ الأبَدْ
لا تعيشُ الرّوحُ في الغِبْطةِ إلاّ
عِنْدما يكتبُها تيهُ الجسَدْ .
سأُحَيِّي ورْدةً يحمِلُها الشّعرُ ، سأبْقَى
أرْتقُ الغَيْمَ ، وأبْقَى
أسْحَبُ الأُفْقَ بخيْطٍ
وأجرُّ الشّمسَ مِنْ أردانِها .

أوِّلُوني
جَسَدي رِقٌّ ـ كتابٌ
كَتبتْهُ أبجديّاتُ نُجومٍ وغُيُومٍ
جَسَدي مَسْرَى إلى النُّورِ وأشْلاءُ دروبٍ
جَسَدي يُولِمُ لِلسِّرِّ الذي يتّكِئُ الآنَ على سُرَّتِه ـ
أوِّلُوني /
يكتبُ النَّورسُ عنْ عائلَةِ البحْرِ كِتاباً مِنْ زَبَدْ
أوِّلُوا صَوْتيَ ، قولُوا
لَم يَعُدْ يعرِفُ أن يبْسمَ أو يُومِئَ أو يُصْغيَ للفَجْرِ أحدْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2

تَخرُجِ الأشياءُ منْ أسمائِها ، لا أسمّيهَا ولكِنْ
إبْتَكِرْ ما صَنَّفَ الماضي ، أعِدْ إعجامَهُ
وأعِدْ تصْريفَهُ
وأعِدْ إعرابَهُ ـ
ألَيقينُ الآن شَحّاذٌ . أُحيّي
شاطِئاً يكتُبه البحْرُ ويرْويه إلى أمواجِهِ
وأحيّي خِرْقَةً
مسَح العاشِقُ فخذَيْهِ بِها
وأُحيّي طحْلَباً
وأُحَيّي قَشّةً
ربّما علّمني السّيرُ على الطّحلبِ أهواءَ المكانْ
وحسابَ الوقتِ ، والرِّحلةَ في إسْفَنْجةٍ
ربّما علّمني القَشُّ الرِّهانْ ،
وأُحيّي كلَّ ما يَهْوي
ولا يحْضنُه أيُّ قرارٍ .
هَلْ أُسَمّي ألِفَ الحيْرة مِفْتاحاً ، وياءَ اليأْسِ بَاباً
وأقولُ ارتَسمتْ دائرةُ الصِّدقِ ، ودَارُ الأصدقاءْ؟
ولماذا لا أقولُ الزّبَدُ الحِبْرُ ، ومنْ أيْنَ أتاني
أرَقُ المعْنَى ، وتأْتينيَ هذِي البُرَحاءْ؟
أتَرى حَظّي حَصىً أرْمي بِهِ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فَرَس السّرِّ ومعْراجَ السّماءْ؟
في فُقاعاتٍ منَ الصّمْتِ الذي يَلْقَحُ بالموْتِ الهَواءْ
يُوغِلُ الشّاعِرُ في أهوالهِ ـ
ليْسَ لِلنّورِ أخٌ إلاّ الفَضاءْ .

3

تَخْرجُ الأشياءُ مِنْ أسمائِها ، لا أُسمّيها ، ولكِنْ
إسْألُوا الشّرقَ : ألَنْ يضْجَرَ مِنْ مَزْجِ خُطاهُ
بِالدّمِ الدّافقِ مِنْ أبنائهِ
ومِنَ السُّكْرِ بهِ
ومِنَ النّومِ علَى أشلائِهِمْ؟

قامَةُ التّاريخِ مالَتْ في يَديّ
إنّه الإنسانُ ـ مذْبُوحاً على صَدْرِ نَبيّ
أقرأُ الرّملَ وأسْتأنِسُ بالرّيحِ التي تَذْرو وتَنْأَى
وأقولُ الحلْمُ ضوءٌ ولِقاحٌ
وعلى الحلْمِ تأسّسْتُ ، وفي الحُلْمِ بَنيْتْ
أيّها الواقعُ من سَمّاكَ ، مِن أين أتَيْتْ؟

لِسُلالاتٍ مِنَ الجُرْحِ
الذي يجْهلُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هَل يَضْحكُ أم يبْكي ،
دَمي طِفلُ سُؤالٍ .

4

تَخْرجُ الأشياءُ منْ أسمائِها ، وأنا أَعشقُ أشيائي ــ قَميصِي ،
قَهْوَةَ الصّبْحِ ، وأقلاميَ ، والأسْودَ مِنْ حِبْريَ ،
أشيائي بقَايا عتَباتٍ
وأنا أعشَقُ ليلَ العَتبَهْ
كلّما شَرّدني عنْها غِيابٌ
شَردَتْ عنّيَ نفْسِي ،
وأنا أعشقُ نَوْمي / عنْدما أدخُل في دِفْءِ سَريري
تَفْتَحُ الشَهوةُ لي أحضَانَها
وأرَى أجْمَل أحزانيَ في أغوارِها المُصْطَخِبَهْ .
ينْتمي عهْدِي مَع التّيهِ إلى فجْرِ دمشقٍ
وإلَيْها تنْتمِي نَارِيَ ، أحْشائيَ قوسٌ
هائِمٌ فوقَ دمشْقٍ .

كلّما حدّثني حقلٌ ، سألتُ العُشْبَ : هَلْ تغْفِر ليَ رَمْلي ،
وهَلْ يقدرُ سيفُ الماء أن يَبْتكِرَ الجُرْمَ البَريءْ؟
لمْ أعُدْ أنتظِرُ الأخْضرَ / في الزُّرقةِ أشْتاتُ سَوادٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والبَياضُ انْفتَقتْ هَالاتُه
هَاجِسُ الغيْم يَرجُّ الأَلقَ الباقيَ في صَحْوي / دُخانٌ
في البُحيراتِ التي يكْنزُها الظَّنُّ ،
ولا يُوقِظ عيْنيَّ سوَى اللّونِ الذي أجهَلُ مِنْ أيْنَ يَجيءْ .
غير أنَّ الأفْقَ يستأْنسُ بالرّيح التي تخلطُ في وجهي ،
غباري ورُؤايْ
ما الذي يحْضُنُني ـ يحْضنُه الآن هَوايْ؟
هِيَ كانتْ مِثْلمَا يأخذُكَ الحلْمُ إلى ليْلٍ صديقٍ
يأخذُ اللّيلَ إلى حلْمٍ صديقْ
وأنا كُنْتُ كمَنْ يرسُمُ عيْنَيْه علَى العُشْبِ ،
ولا يسْألُ مِنْ أين ولا أنّى ولا كيفَ الطّريقْ؟
زَهَرُ الحُبِّ على طاولةِ الرّيح مَناديلُ هَباءْ
أيُسَمَّى فَشَلاً أن يعْجزَ الماءُ عنِ النُّطْقِ ، وألاَّ
يَقْدرَ البحرُ على قَتْلِ حصَاةْ؟
كيْفَ لا تَخْترِقُ الرّيحُ البُكاءْ؟
. . . إنّها ذاكِرَتي تُبْحِرُ فِي مَاء الصُّوَرْ ـ
بَيتي الأوّلِ ، مرْسوماً على
جَسدِ العشْبِ وأوراقِ الشّجَرْ
جَسدُ مدّت لَهُ الذّكْرَى يداً
كَيدِ الشّمسِ علَى وَجْهِ المطَرْ
ما الذي يُعْتِقُني منْهُ ، وماذَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فِي دَمي يرفضُ نَبْضَ الإنْعتَاقْ
جَسَدٌ يخنقهُ شَرْيَانهُ
آهِ ما أطولَ هذا الإخْتنَاقْ .

5

تَخْرجُ الأشياءُ من أسْمائها ، لا أُسمّيهَا ، ولَكِنْ
سَأقولُ الشّيء مَا أكْرِمَهُ
هُوذَا يأخذُ أعمَاقي إلَى وَحْدتهِ
ويُؤاويني أنا الطّيفُ الذي يَعْبُرُ في أجْفَانهِ
وأنا الصّامتُ وهْو الكَلمهْ
وأقُولُ : الشّيءُ ــ ما أعلمَ هذا الجهلَ ، يَرْوي
لُغَةَ الكوْنِ ، ولا يعرفُ رغْبَ اللّغةِ المُنْفَصِمَهْ .
وَهْو لا يَسْأل مِنْ أينَ ولا كَيْفَ يكون الأُقْحُوانْ
شامَةً يرسمُها اللّونُ على وَجْهِ المَكانْ .

تَخْرجُ الأشياءُ مِنْ أسمَائِها ، لا أُسمّيها . لغاتٌ
ولِكُلٍّ صَوْتُهُ
كُلّما حدّثني شيْءٌ ، سمِعْتُ الموتَ يُصْغِي
كُلّما حدّثْتُ شيئاً
خَرجتْ نفسِيَ من دِجْلَتِها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَمشَتْ مشطورةً في الصّفحتَيْنْ
مثلَما يَنْشَطِرُ التّاريخُ في قَبْر الحُسَيْنْ .
تخرجُ الأشياءُ من أسمائِها ، لا أسمِّيها ، ولكِنْ
لِيَ في أَرض الأَساطيرِ التي اسْتصْفَيْتُها
وطَنٌ ضاقَ على خَطْويَ لا أقدرُ أن أمشيَ فيهِ
(ألأنّي دائماً فَاجَأْتُ بالفَجْر خُطاهُ؟)

وهْوَ لا يجْرؤُ أن يحْضُنَني . . .
عَجَباً ، هذا الوطَنْ
كيْفَ لا يكبُرُ في أرجائهِ غيرُ الكَفَنْ .

تخْرجُ الأشياءُ مِنْ أسمائِها ، لا أسمّيها ولكِنْ
قُلْ لهَذي التِّينةِ السَّوداء كَفَّاكِ نجومٌ
قُلْ لشَعْبٍ يحملُ الحِكْمةَ في أنفاسهِ :
إنّ هذَا الأملَ النّاشِبَ في أعماقهِ ،
مُخٌّ بَعُوضٍ .

آهِ يا مائِدةَ الموْتِ الذي يحْصُدُ أعْناقَ حُقُولِي
إنّني أعْجزُ أن أَزْرعَ إلاّ في سَديمٍ –

هُو ذَا أخْرجُ من هَاوِيةٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لَيْسَتْ أنَا ،

هُوذا أدْخُلَ في هَاوِيةٍ

لَيْسَتْ أنا

كُلُّ أشيائيَ آختنيَ في الشّيء الذي عَاديتُهُ

كُلّ أشيائيَ عادتْنيَ في الشّيْء الذي آخيتُهُ ،

وأنا أعرِفُ أنّ الشّيْءَ لا يُصْغي ، ولكِنْ

كَمْ أناديهِ لِكَيْ يحضرَ عُرْسَ الكَلِماتْ

ولَكَمْ غَطّيتُ قَبْرَ الزّمنِ المَيْتِ بثَوْبِ الكَلِماتْ

ولَكَم غنّيتُ للشّيْء الذي ضيّعهُ في أوّلِ الدّرْبِ قطيعُ الكَلِماتْ

وتحَدّثتُ معَ الشيْء لكَيْ أنقلَ أحْزاني

إلى اللاّشَيْء ــ موْصُولاً بِخَيْطِ الكَلِماتْ

وأنا أعرِفُ أنّ الشّيءَ مِفْتاحٌ ولا يَفْتَحُ إلا الكَلِماتْ .

إقْرعِ البابَ لَكَيْ تُوقِنَ أنَّ الكَلِماتْ

جَسَدٌ آخَرُ لا يلْبَس غيرَ اللّيلِ ، إقْرَعْهُ لَكَيْ تُوقِنَ :

ما يحْضنهُ التّاريخُ

يُسْتَنْبَتُ في العُشْبِ

الذي يحْيا

بماء الكَلِماتْ .

تَخرُج الأشياءُ مِنْ أسمائِها ، لا أُسمّيها ولكِنْ

لُغتي تصْنعُ أعدَائي نَسْجاً
مِنْ خيُوطٍ غَزلَتْها شهوةٌ ،
مِثْلَ دُمىً ـ
كُلّ أعدائيَ كانوا أصدقائي ـ غيْرَ أنّي
شَطَحَتْ قافلَتي
وتوغّلْتُ إلى أعْلى وأنْأى ،
إنّني أعجزُ أن أمشيَ إلاّ في جحيمٍ.

تخرجُ الأشياء من أسمائِها ،
لا أُسمّيها ولَكِنْ
لمْ أقلْ غيرَ الذي قالَتْه أشيائيَ
في موْعديَ الأولِ في نَهْرِ الحياةْ
عِنْدما سَمّيتُ قصّابينَ أرْوادَ ونينارَ ،
وكان الوَرْدُ في دجْلةَ عِطراً في الفُراتْ
عِنْدما أَعطيتُ للريح تَمارينيَ في الصّفّ ،
وآثرتُ على النُّزْهَةِ في ما تَجْهَرُ الأحرفُ ،
أَنْ أُصْغي إلى هَمْسِ حَصَاةْ ،

لمْ أقُلْ غيرَ الذي قالَتْهُ أشْيائيَ
فِي رَيّا أساطِيري وأحلامِ يَديّ
وأنا أنْسَى وأسْتَغْفِرُ ما أنْساهُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَحْمولاً على الموْجِ الذي يهْدِرُ في غَوْرِيَ مجْهولاً خَفِيّ
رُدَّ عنّي نَوْميَ الآسِرَ نَمْ في مُقْلَتيّ
أيّها الشّيءُ الذي أجْهَدُ كيْ أدْخلَ فيهِ
أيّها الشيْءُ الذي أجْهَدُ أن أخرجَ منهُ .

6

تَخْرجُ الأشياءُ مِنْ أسمائِها ، لا أُسمِّيها ، ولكِنْ
لمْ يَرِثْ شيئاً دَمُ الآجُرِّ (لم يَنْسَ المَعَرّي
أنْ يقولَ الموتُ مزروعٌ
هُوَ الآخرُ في الأرْضِ ،
كما يُزْرَعُ وَرْدٌ)
كلُّ شيْء يأخذ الدّرْبَ إلى صحْرائها ، دونَ أن يَتْركَ آثاراً / تَقدَّمْ
أيّها الشّاعِرُ واسْتَسْلِمْ لتيهِ القَافلهْ
عَبثاً تَضْنى وتَسْتَبْسِلُ في رَسْمِ خُطاكَ النّاحِلَهْ .

تَخرجُ الأشياءُ مِنْ أسمائِها ،
لا أُسمِّيها ، ولَكِنْ
آخُذُ الشّيءَ كما يأخذُ فلاّحٌ رَغيفاً

وعَلى وجْهيَ رُؤْيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تَتقرّى خُطْوة الوقْتِ ، ـــ
يَكونُ اللّيلُ في عَينيَّ ضوْءاً
سَكَبَتْهُ أنجمٌ أخْرى على خَطْويَ ـ ضوْءاً
أبيضَ الخُطوةِ
نَشْوانَ ، يَنامْ

في سَريرٍ أبيضٍ ،
ويكونُ اللّيلُ في حُنْجرةِ الضّوْءِ كَلامْ .

وبعينِ الشّيء حَدّقْتُ لِكَيْ أشْهَدَ
أنَّ القَصَبَ المائلَ آهاتٌ
وأنَّ الموْتَ للعابرِ في قافلَةِ المَعْنى حُقولٌ مِنْ خزَامْ .
هَكذا أدخلُ بِاسْمِ الحبِّ فِي المَوْتِ ،
كَما يَدخلُ فِيَّ الموتُ ،
أوْ بِاسْمِ حياةٍ مُرْجَاةْ
فأرى نَفْسي كأنّي مِثلَه ـ صخَبٌ مُوّهَ في صَمْتِ شُموعٍ مُطْفَاةْ
وأراهُ نائماً مِلْءَ سريري ، يَقِظاً مثليَ ، والعالَمُ في أهدابهِ
حُلُمٌ يعْبرُ في شكْلِ امْرأهْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

7

تَخرُج الأشياءُ مِنْ أسمائِها ، ـ

أ ـ أن تُحِبَّ الآنَ مفتاحٌ مِنَ الحكْمةِ أن تجهلَ مِنْ أينَ أتى .

ب ـ لَيْسَتِ الرّيحُ يداً بلْ رايةٌ .

ج ـ لا يَعيشُ العِطْرُ إلا تائِهاً .

د ـ خُذْ من الإنسانِ ما شابَه أهدابكَ : نُوراً ،

ومِنَ الأشياء ما شابَه أحزانَكَ : ناراً .

تَخْرجُ الأشياءُ مِنْ أسمائها ، لا أُسمِّيها ، ولَكِنْ

مِنْ يَدَيْ نافِذَتي

يَذْهبُ الأُفْقُ إلى شُطآنهِ

مَعهُ تذهَبُ أعشاشٌ ، وأبراجُ حَنينٍ

مَعهُ تذهَبُ أيّاميَ : هَلْ هذا خريفٌ

أمْ ربيعٌ؟

شَجَرُ الزّيتونِ أعْطى الجَذْعَ لِلجُدْجُدِ ، والزّيتَ لَنَجْمٍ

لمْ يزَلْ يكْتبُ لِلشّاعرِ تاريخَ الأرَقْ

وَيَرى أيّامَهُ تَهبِطُ في تيهِ الوَرَقْ

نَحْوَ . . . / جاءَتْ وَرْدَةٌ

ورَمَتْ زُنّارَها بيْنَ يَدَيْهْ

وَهْوَ ، الآنَ ، سَحابٌ

شَفٌّ كالضّوء ، ـ يُؤاخي وَجْهَهُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويُغطّي مُقْلتَيْهْ

. . . مَعهُ تذْهَبُ أيّاميَ : هَلْ هذا خَريفٌ ، أمْ ربيعٌ؟
(إنّها شَهْوةُ مِعراجيَ تَمْحُو
سُلَّمَ اللّون ، وتَمْحو
آيةَ الوقْتِ) ، ويمْضي
مَعَه دَوّارُ شَمْسٍ ، ورَياحينُ ، وأسرارٌ ، وتَمْضي
مَعَهُ قافِلةُ المغْنَى / إلى نافِذَتي
شَكَتِ الشّمسُ طَريقي
هكَذا أنظرُ مِنْها
وأرى نارَ انْكِساراتيَ تعْلو ،
فكأنّي لمْ أعشْ إلاّ رَبيعاً
وكأنّي لَمْ أكنْ أكثرَ من رِفّةِ هذْبٍ
وكأنّي صِرْتُ شيئاً
عائِماً في لُجّةِ الضّوْءِ الذي يَسْطَع في نافِذَتي
أغْوِني ، يا شاطِئَ الضّوءِ وَهيِّئْ ساعدَيْكْ
خُذْ يدي ، خُذْنيَ ، أرْجعْني إلَيْكْ .
تَخْرجُ الأشْياءُ من أسْمائِها
لا أُسمّيها ــ أقولُ البَحرُ كانَ البحرُ طفلاً
عِنْدما سافرَ في وَجْهي ودوَّنْتُ صَداهُ
وقَرأْتُ الأُفْقَ . . . / هَل أسْأل تِلْكَ السُّنْبلَهْ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَنْ رآها بذرةً ، أوْ مَنْ رَماهَا؟
أمْ تُرَى أُطْفِئُ نارَ المسْألَهْ؟

بَرْزَخٌ ،
والتِّيهُ مرْسُومٌ
علَى كُلِّ فَضاءٍ

واليَقينُ
الآنَ
شَحّاذٌ

وأشيائيَ آخَتْنيَ : بابٌ
رَدَّني منْ هِجرَةِ المعْنَى إليَّ
وأرى الكُرْسيَّ مهْمُوماً
كَمَنْ يحملُ عنّي كَتفيَّ .

(باريس 20 حزيران ـ بودابست 14 تموز 1991)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وردة الأسئلة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى أ.ق.

الأكثر بهاءً بين صديقات الشعر

1

يخرجُ العطرُ حيرانَ من وَرْدةِ الأسْئلهْ
تخْرج الأمثلَهْ
مِن فَمِ الأرضِ مَخنوقةً ،ـ

سَيكونُ ظهورٌ على شاطِئ الفُراتْ :
آدَمٌ مِنْ حَديدٍ ، وحَوّاءُ جَبّانةٌ .

إنّها أرضُنا تَتمرْأى في تآبينهَا
مَرَّ فِينيقُ فِيها   وتَنوّرَ أبعادَهَا   وتَغنّى بِها
ورواهَا
وغَنّى لَهَا
واحْترَقْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لِلغَسَقْ ،
لِلقبـائلِ والقَـابِلينَ لكلاًّ كـمـا قلتَ يا سـيّـدي لنَعَمْ مـثلَمـا قلتَ يا سيّدي ولِلْمُدنِ
العائماتِ على لُجّةِ القَتْلِ للقَتْلِ طُوبَى وزُلْفَى لِرُؤوسٍ تَسيرُ شمالاً وأجْسامُها تَسيرُ يميناً

لِلّذي نَتشرّدُ مِن أجْله
ونُقاتِلُ ـ نُقْتَلُ مِن أجلهِ
ونَقْتُلُ مِن أجلهِ
والذي لا مكانَ لهُ في المكانِ ـ لمِعْراجِ أسْلافنا
والجيادِ التي حَملتْهُمْ وإسْراء تاريخِهِمْ
والقَوافلِ والعَتَباتِ وأضْرِحةِ الأولياءْ
لِلتّوابعِ والتّابعينَ ومَنْ يتْبعُ التّابعينَ ، لِهَلْ
تُولَدُ الرّوحُ في المَاء أمْ في الهَواءْ؟
لِلْمدَارِ الذي قذَفْتنا الحُروفُ إلى طِينهِ
وعجَنّا بِه الأرضَ مخْتُومةً بِالسّماءْ
ولَنا ، يَائِسينَ كَعَظْم ،
لتَقُلْ قَولَ صِدْقٍ
لتَقُلْ أيَّ شيْء
أيّها الشّاعرُ الذي شاءَ ما لا نَشاءْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مِثلَما يَنزِلُ الوحيُ مِنْ لَوْحهِ
مثلَما يصعدُ اللّهَبْ
وأكرّرُ : تبّتْ يَداهُ وما أجْمَلَ الغَضَبْ
ليْسَ بيْني وبيْنَ أبي لَهَبٍ غيرُ جِسْرِ اللّهَبْ .
إنّها أرضُنا تتَمرْأى في تَجاعِيدها ، ـ
كلُّ ما قالَهُ الفقهاءُ النُّحاةُ عَن الشُعراء هُراءٌ وأُسْجوعَةٌ
وسأقتلُ هذا الزّمانَ الذي يتَمدَّدُ فِيَّ ويَعرُجُ مِنْ رأسهِ
قُلتُ عنْهُ : دَمٌ فاسِدٌ ولم أتردَّدْ
أنْ أكرّرَ : هذا الزّمانُ دَمٌ فاسِدٌ
ونقولُ لجَلْقامِشٍ :
أتُرى ، أرضُنا
خُلِق النّاس فيها لكي تَتَفيّأَ أجسادُهم كلماتٍ؟

ونقول لجلقامشٍ :
شَمسُنا تتنزّه في خِرْقةٍ
مِنْ طحَالبِ هذا الوجُودِ ، الوجُودُ عمودُ رمادٍ
ونَخافُ مِن القَوْلِ أكثرَ ممّا نخافُ مِن القَتْلِ
نكتبُ تَعزيمةً
لِلْفَراغ الذي يتَنَبّأُ لَكِنْ بأظْفارهِ
فأنا مُبلغٌ والبَلاغْ
أنّني أكتبُ الفراغَ أخاطِبُ هذا الفرَاغْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زَمَنٌ ــ رأسهُ قَدماهُ
والفضَاءُ على وجْههِ آلَةٌ
سَنقول لجَلْقامِش :
بَعْدُ لَم تَكْتَشِفْ أيَّ سِرٍّ
والظّلامُ الذي كان يولَدُ حولَك يَنْمو
ونَجهلُ مِنْ أين يأتي
ونَعجزُ عنْ أن نُشيرَ إليهِ
ونقُولُ : انتظَرْتَ الطّفولةَ في وَجْهِ غُولِ
وتَوقّعْتَ أن ينزلَ الشّرقُ والغربُ مِن نَجْمةٍ واحِدَهْ
في مصابِيحِكَ الخَامِدَهْ

اِسْمَع الآنَ ــ تِلْكَ هيَ الرّيحُ تَهْذي وتنْسجُ ثوبَ الفَضاءْ
خَيْمَةً لِلبكاءْ .
ونَقولُ لجَلْقامِش :
ما تَرى في الصِّرَاطِ الذي يتلبَّسُ وَجْهَ الجَحيم ووجْهَ النّعيمِ ويبْدأُ مِنْ حُفْرة؟
في السَّحابِ يَصيرُ كتاباً
في الكتابِ يُموّج ألفاظَهُ
كالسّلاسِلِ ، مِنْ أيْنَ يُؤْتَى
بسَجّادِ هذا الخضُوعِ ، لمَنْ يفْتحُ الغيْبُ أبوابَ هذا الشّقاءْ؟

إنّها أرضُنَا ـ

سَيَجيءُ الغِناءْ

الغِناءُ الذي يَحسَبُ النّايَ رمْحاً والمَرايا حُصونْ

سَيَجيءُ ويَصْنَعُ مِن وحْلِها مِثالاً

ويُوحِّد بيْنَ الحياةِ وأشْلائِها

سَيَجيءُ ويَشْرَبُ ترْياقَهُ

حُكَماءُ المدَائنِ والأتْقياءُ رُعاةُ الشّوارِعِ ، والرّاسِخونَ

يدورونَ في شَكْلِ قَوْسٍ وشكْلِ هِلالٍ

يَهرِفُونَ ولا يعْرِفونْ .

ضجِرَ الماءُ مِنّا

ضَجِرَ المَاءُ والشّمسُ والرّيحُ مِنّا

وأُدَحْرِجُ هذا الكَلامَ إلى قاعِ حُزْني

ليْسَ للماءِ حِبْرٌ سوَى نفْسِهِ

ليْسَ للشّمسِ ظلٌّ سِوَى نارِهَا

ليْسَ للرّيحِ بيتٌ سِوَى صَوْتِهَا

هَلْ أقُولُ إذَنْ : هَا هِيَ النّارُ بَرْدٌ علَى المَاء والمَاءُ رَمْلٌ

وأقولُ المَلائكُ مِنْ كَهْرَبَاءٍ

وأقولُ القمَرْ

غُصُنٌ كانَ أُرجُوحَةً

لِتباريحنا

فانْحَنى تحْتَها وتَقوّسَ مِنْ عِبْئِها وانْكَسَرْ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيّها الموتُ ـ شيْخاً على الرّيحِ
طِفلاً على المَاء
والنّارُ أمْواجُه القائدَهْ ،
إنّنا لَحْظةٌ واحِدَهْ .

والحياةُ صَحائفُ لِلشُّكْرِ والحَمْدِ والبَسْمَلَهْ
مُنْزَلاتٌ كمثْلِ الصّحائفِ والكُتبِ المُنْزَلَهْ
فِكْرةٌ ـ دُمْيةٌ ، فكرةٌ ـ مِقْصلَهْ

ونَقولُ لِجَلْقامِشِ :
إفْتَحْ هذِه اللُّغةَ المُقْفَلَهْ
أَعْطِنا شاهِداً لا رقيباً
أَعْطِنا ما تقُول الحَياةُ وما يتَوهّجُ في غُرْبةِ الأسئلَهْ
لا تَزَالُ جيوشُ الخُرافةِ تغْزُو بِلادك ، آتيةً مِنْ سَدُومْ
أَعْطِنا ما تقُول العناصِرُ لا مَا تقولُ الغُيومْ .

هَلْ نُطيعُ الدُّخَانْ؟
هَلْ نُصالحُ بيْنَ السّرابِ وهذَا المكَانْ؟

ونَقولُ لجَلْقامِشِ ـ للفُرَاتْ :
لا نُريدُ الخلودَ نُريدُ الحياةْ .

هكَذَا نحنُ هذا المَسَاءْ
نَلعبُ النَّرْدَ مع نَجْمةٍ
تَتَشرَّدُ في عَتماتِ السَّماءْ .

(ضَعْ بلادَكَ في زَفْرةٍ وتَضمَّدْ بِجُرحِكَ) أسْرَى
بِهَواهُ شمالاً فَسارَ يَميناً
وتَوَجَّهَ شرْقاً فغَرّبَ أخْفَى خُطاهُ
وتوقّع أن يفْتحَ الغَيمُ كفَّيْهِ في أرضهِ الظَّامِئَهْ
فَوّضَ الأمْرَ للْكَلِمَاتِ ـ تُراهُ سَيخرُجُ مِنْ سِجْنِها؟
سِجْنُها سُرّةٌ
ولَها فَخِذٌ دافِئَهْ .
وأقولُ لجَلْقامِشٍ :
أنْتَمي لا لإسْمٍ ولا مِلّةٍ
لُغَتي مِلّتي
كَرِهَ الشّعرَ أبناءَهُ كلُّ أحلامهِ تَتساقَطُ في صدْرِهِ حُطاماً
وَالحُقولُ التي عَشِقَتْهُ تتمزّقُ مكسوّةً
بجِراحَاتِهِ
يَدهُ ورْدَةٌ
وَالمَسَافاتُ في وجْهِهِ قيودٌ

ونقولُ لجَلْقامِشٍ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كَيْفَ مِن أين تَنْفِي رايةٌ مِن خُزامَى
رايَةٌ مِن حديدِ؟

إنّها أرضُنا
أَمَةُ الأنبياء وحَمّالةُ الحَطَبْ
لَيْسَ بيْني وبَيْنَ مَداراتِها غيرُ نارِ الغَضَبْ .
أيُّها القَصَبُ المُنْحَني
أيُّها القَصَبُ المتكسِّرُ يا صُورَتي
عَجَباً كيف تَعرفُ أنّك تَفْنَى وتَجْهلُ أنّك تَحْيا؟
عَجباً أيّها العابِرُ
كيفَ لا تَشْهَقُ الأرضُ فيكَ ويَنْفَجِرُ الشّاعِرُ؟

وأقولُ لجَلْقامِش :
أتَعدَّدُ فيك وفي وَحْدَتي –
وَحْدَتي دَرَجٌ في الهَوَاءْ
وَحْدَتي كلُّ هذا الفَضاءْ .

أمْطَرتْ فوقَ أنْقاضِ أيلولَ أيلولُ جِسْرٌ بين عَيْني وعَيْني
وأيلولُ بيتُ الخريفِ الذي أخذَ الآنَ يَهبط في ذُرُواتِي فَاجعٌ أنْ أقولَ
علَى سُلّم الموْتِ لاقيتُ حُبّي غيرَ أنّي علَى سُلّم الموتِ لاقيتُ
حبّي وموتيَ صوتٌ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يَتَغنّى بِظلّي يُغنّي لَهُ وأنا مِثلُهُ : مِهْنَتي أنْ أُغَنّي لَتجاعيدِ قَيْسٍ
لَمَراراتِهِ التي تَتناسَلُ بيْنَ حُروفِ الهِجاءْ
أقْرأُ السِّحْرَ والكيمياءْ
أنْتَشي في مَدارِ البُكاء على الطَّلَلِ العَربيّ وأُجْري رِياحَ الحَنينْ
في الهَباء وتاريخهِ الأمِينْ .

وأقول لجَلْقامِش :
أتَسَلحُ بِالشّعرِ كيْ أتحدّثَ مع كَبدِ الأرضِ مع زَهْرةٍ
مع بقَايا رحيلٍ لأبْقى
تائِهاً بين عَيْنيْ غَزالٍ
لأخوضَ حُروبي
بَيْنَ وَجْهِ الكلام وَوَجْهِ الطّبيعةِ بينَ الأُرومَةِ والغُصْنِ بيْن الصّدى والنِّداءْ
أتسلّحُ بِالشّعر كَيْ أتنوّرَ ليلَ الخَفَاء ،
وكَيْ أنْشُرَ العِطرَ مِنْ وَرْدةٍ في الخَفَاءْ
مِهْنَتي أن أكونَ على شَفةِ الهَاوِيَهْ
لُغةً دَانيهْ

وأقُول لجَلْقامِش :
وقتُنا لنْ يَجِيءَ انْتَهى وقْتُنَا
ألوَدَاعَ الودَاعَ ـ قرأتُ شُموسَكَ ، مَا كتَبتْهُ
شُموسُكَ أطْبقَتْ هذَا الكتَابْ
لَن أصدّقَ غيرَ السّرابْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّها أرضُنا

مُلْكُ صوْتٍ وَحيدٍ
وَالصّدى رأسُها ويَداهَا
كَيْ ترَاهَا
يَنبغي أنْ تَتحوّلَ فيهَا إلَى . . .

هَلْ سَيَبْقى لِحُزني مَكانٌ في تقَاطِيعِهَا؟

ونَقولُ لجَلْقامشٍ كيْ يقولَ لآياتها :
أيّها اللُّغةُ ـ الظَّبْيَةُ الهَارِبَهْ
لَمْ تكُوني سِوَى نجْمَةٍ كاذِبَهْ .

هِيَ ذِي تَتكسَّرُ أجْنحةُ المَعْصِيَهْ :
لنْ يَتمّ العُبورُ علَى الجِسْرِ لن تَكمُلَ الأُغنيهْ .

(باريس ، أوائل شباط 1991)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغنية إلى حروف الهجاء


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هَبَطوا مِنْ أسَاطِيرَهِمْ
مِنْ كَوَاكِبَ كَانَت نِساءً
وَأنا كُنْتُ رَصْداً يُواكِبُ تَرْحالَهُمْ
كُنْتُ حِبْراً تَخَبّاَ فِي لَيْلِهِمْ
كُنْتُ فِي الخُطواتِ الشَّرِيدَةِ وَقْعَ الهَباءْ
أكْتُبُ الظنَّ والْمُستَحيلَ وَيُمْلي عَليَّ الفَضاءْ .

نَسِيَتْني خُطايَ ، رَمَتْني قافِلَةُ الذّاكِرَهْ
في خَلاءٍ تَآخَى معَ الْمَوْتِ ،
في الرّبع ـ لا مَنْ يَروحُ ، ولا مَنْ يَجيءُ ،
رَمَتْني قافِلَةُ الذّاكِرَهْ .

أيُّها اليَأْسُ ، يا نَارِيَ السّاهِرَهْ
فَجِّرِ اللَّهَبَ الميْتَ فِيَّ ، لِكَيْ أتَفَجَّرَ فِي مَوْقدِ الذّاكِرهْ .

هُوذَا طَيْفُ تَرْحالِنا ، ـ
إبلٌ مِنْ كَلام
وهَياكِلُ مَجْرودَةٌ : قافلَهْ
تَتشَحَّطُ في اللَّفْظِ ، تَنْحَلُّ في الحِبْرِ ، أرْنو
دَمُنا حَوْلَها هالَةٌ
وسَمِعْتُ الصَّدَى يَتموَّجُ فيها
قُلتُ : هَذا صَدانا ، وَهذِي
نَجْمَةٌ آفِلَهْ .

والطَّريقُ حِصارٌ ، ـ
ما الَّذي يَفْتَحُ الأرْضَ إنْ أُغْلِقَتْ في سَماءٍ؟
هُوذَا طَيْفُ تَرْحالِنا
مَرَّ وَفْدُ الرِّيَاحِ عَليْهِ ـ لا صَدىً ، لا أحَدْ
والنُّبوءاتُ مَطْروحَةٌ
في الشَّوارِعِ ـ مَنْ ذلِكَ المُتَنَبِّئُ
مِنْ ذُرْوةِ الطِّينِ ،
مِنْ عَتَماتِ الْجَسَدْ؟
ضَرْبُ رَمْلٍ ، ونَفْثٌ جَامحٌ في العُقَدْ ،
وتَباريحُنا
كالفَراشاتِ ـ سَوْداءَ بيضَاءَ ، تَقْرأُ قِنْديلَها
في ظلامِ الأبَدْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هُوذَا طَيْفُ تَرْحالِنا
ثَدْيُ دِفْلى ، عجيزَةُ رُمّانةٍ ، كاحِلٌ مِن عَرَارٍ ،
زَمَنٌ ليس إلاّ قيوداً ، وأَغْلاقَ لَفْظٍ :
ما الّذي يفْتَح الكلماتِ إذا أُغْلِقَتْ في كتابٍ؟

ذَكَراً كنتَ ، أمْ كُنْتَ أنْثى
أيُّهذا الرّجيمُ ، النّذيرُ ، المَلاكْ
لستَ إلاّ ضَياعاً
والمسارُ إلى كلّ شيءٍ شِعَابٌ
خَصَّرَتْها الرّمالُ ، وزَنَّرَ قاماتها
شَجَرٌ عاشِقٌ دَرْبَ لَيْلَى
شَجَرٌ عاشِقٌ تيهَ قَيْسٍ ،
لا شَمِيمٌ ، ولا نَجْدُ . جُرْحٌ
سَابحٌ في خُطاكْ
أيُّهذا الرّجيمُ ، الكريمُ ، المَلاكْ .

وسواءٌ ــ حَلَمْتَ وَفِئْتَ إلى بارِقٍ
أَوْ نَزَلْتَ على دارِ لَيْلى ،
سَتَرى أنّ مَنْفاكَ في كلّ شَيْءٍ ، ــ
خُطواتُكَ مَنْفى ، وحبُّكَ مَنْفى ، وجنونُكَ مَنْفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَجسْمُكَ ، في أَوْج أفْراحهِ وأغانيهِ ، مَنْفَى
ستَرى النّفْيَ يَنْبعُ مِمّا تيَقّنْتَهُ
مَوْئلاً ومَلاذاً ،
ستَرى أنّ مَنْفاكَ هذا التّرابُ وهذَا الهَواءْ
ستَرى أنّ مَنْفاكَ أَبعدُ مِمّا يقولُ الفَضاء .

لَنْ تنامَ قريرَ الوِسادَةِ إلاّ علَى ساعِدَيْكْ
لَنْ تُسافِرَ ، مَهْما توغّلْتَ ، إلاّ
في السّرابِ الذي يَتراءَى
آسِراً ، خاطِفاً مُقْلتَيْكْ .

هُوذَا طَيْفُ تَرْحالِنا ، ـ
جَسَدٌ يَتدلّى
في بلادٍ تَدلّتْ
لا قَرارَ لِغَيْر الحِبالِ التي تُمْسَدُ
لا انْبِجاسَ لِغَيْر الدِّماءِ التي افْتَضّها الأمْسُ
والآنُ كَيْ يتمرّغَ فيها الغَدُ .

وأنا ليس لي غيرَ أنْ أكتبَ الرّمْلَ ، أنْ أتَمرْأى
في رَمادِ الصُّوَرْ
لَيْسَ لي غيرَ أنْ أتَدثّرَ هذَا الشّرَرْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأُمَوْمِئ حَالي
وأقُولُ : الطَّريقُ بِلا مَنْفَذٍ طَرِيقِي
والسُّؤالُ بِدونِ جَوابٍ سؤَالِي .

يَتمَرَّدُ تَحْتَ لِسانِيَ ، يَجْمَحُ فِي شفَتَيَّ اسْمُهُ
سأقولُ : اسْمُهُ
لَوْنُ غاباتِهِ لَوْنُ شُطآنِهِ
سأقولُ : اسْمُهُ
خُطُواتُ الفُصُولْ
والجِبالُ اسْمُهُ والغُيومُ وأمْطارُهَا والحُقولْ ،
وَطَني كُلُّ هَذا الفَضاء الذي يَتشَظَّى
حَيْرةً مُرَّةً تتشظَّى
لُغةً مُرَّةً حائِرَهْ ،
أيُّها اليَأسُ ، يا نارِيَ السَّاهِرَهْ
ما الّذي قُلْتُ؟ ما قُلْتُ لَيْسَ اسْمَهُ
إسْمُهُ كُلُّ ما لَمْ أقُلْهُ ، وما لَنْ أقُولْ .

كُلَّما ازْدَدْتُ بُعْداً أُحِسُّ كأنّي أزْدادُ قُرْباً
كُلّما جَرَفَتْني أمْواجُ تِيهِي عَميقاً إلى اللُّجِّ ،
أشْعُرُ أنَّ الشَّواطِئَ تَدْنُو ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما الّذي يَتَفَتَّتُ في خُطُواتِي لِكَيْ يَتماسَكَ فِي كَلِماتِي؟

يَتقوَّضُ ماضِيَّ ، لَكِنَّهُ صُورَتِي
أَتقوَّضُ فِيها ، ولَكِنْ
ما الّذي فِيَّ يَعْلُو؟
ما الّذي فِيَّ يُمْسِكُ بالأَرْض مِنْ مَنْكِبَيْها
ويُكِبُّ عَلَيْها ، ويَحْنو
ويَلمُّ بأَهْدابِهِ ثَوْبَها ،
ويُزَرْكِشُ أَطْرافَهُ
بِتخارِيمِ أَحْلامِهِ؟

أَتُرَى هذِهِ الصَّحارَى بَيْنَ نَفْسِيَ وبَيْنِيَ خَلاَّقَتِي؟
أَتُراها الرِّمالُ التي غَمَرَتْني
تَتحوَّلُ غَمْراً وطُوفانَ خَلْقٍ؟
سأُوَسْوِسُ تِلْكَ الجِبالَ التي لَبِسَتْها خَطايَ ،
لِكَيْ تَترحَّلَ مِثْلي ، لَكَيْ تَلْبِسَ الرَّحيلْ
سأُوَشْوِشُ عُقْبانَها ويَنابيعَها والنَّخيلْ
أَنَّني أَتماهَى بِها ، ـ
لَسْتُ ما شِئْتُهُ
لَسْتُ ما لا أَشاءْ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قَلَقٌ راكِبٌ مَوْجَهُ
أتنقَّلُ في غَيْمَةٍ
وأنامُ على ساعِدِ الهَواءْ .

أيُّهذا الأنَا ، يا أنَايَ الذي يتَناءى
عُدْ إليَّ ، أعِدْني إلى ما أنَا ،
نَهَرُ الحُبِّ والشِّعْرِ مِنْ مائِنا يَجْفَلُ
والْحَياةُ عَلى خَطْوِنا
عَرَقٌ أدْكَنٌ مِن تَجاعِيدِنا يَهْطِلُ
ما نَقُولُ ، وما نَعْمَلُ؟
والكَلامُ هُوَ القَيْدُ ، والأرْضُ قُفْلٌ
والزَّمانُ هُوَ المُقْفَلُ .

عُدْ إليَّ أعِدْنِي
لِلْحَصى فِي الطَّرِيقِ إلى بَيْتِنا
لِمقاعِدَ مِن حَجَرٍ فَرْقَدِيٍّ
لِمَغاوِرَ تُلْقِي مَنادِيلَها
فَوْقَ أكْتافِنا ،
لِدُرُوبٍ قَرَأْنا عَلَيها تَعازِيمَنا
مَنَحَتْنا النُّجومَ وأسْرارَها وتآوِيلَها ،

لِلسَّماء تُضيءُ قَناديلَها
في مِياهِ الطُّفولة ؛ قُلْ لِي
ما أقُولُ ، وما أعْمَلُ؟
ألصَّباحُ هَزيلٌ وأعْشَى
والمَساءُ مَريضٌ ،
والجُذورُ التي تَكْنِزُ الضَّوْءَ ، تُسْتَأْصَلُ .

يَمْلأُ النّاسُ ساحَاتِهِمْ
بِهَياكِلِ مَوْتاهُمُ
بِرؤوسٍ مِنَ الشَّمْعِ تَطْفو وتَرْسُبُ في بُرَكٍ مِن كَلامٍ ،
لا تَزورُ السَّماءُ بُيوتاتِهم ومَقاصيرَهُمْ والمَنابِرَ إلاّ
في رداءٍ حَديدٍ ، وعَلى وَجْهِها شُواظٌ ،
يَعْجَبُ الزَّمَنُ الأوَّلُ
يَعْجَبُ الكاغِدُ ـ الحِبْرُ ، والحَرْفُ ، والقَلَمُ الأوَّلُ
يَعْجَبُ الحَقْلُ ، والقَمْحُ ، والمَنْزِلُ الأوَّلُ .

لَمْ نَعُدْ غَيْرَ ما يُشْبِهُ القَشَّ في مَوْقِدِ الأُفولْ ،
دُلَّنا ، إهْدِنا الصِّراطَ إلى كَلِماتٍ نُسافِرُ فيهَا
سَفَراً غَيْرَ ما ألِفْنَهُ ، ونُوغِلُ فيهَا ـ
أيُّها الشَّاعِرُ المُزَمَّلُ بِالوَحْيِ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واقْرأْ لِتِلْكَ القَبائِلِ مَرْثِيَةَ الطَّلُولْ .

أتغرَّبُ عَنِّي وأنْأى
وأعُودُ إلَيَّ : مَنِ الأوَّلُ ـ
ما تَجَدَّدَ ، أوْ ما مَضى؟
أأنا كُلُّ ما لَسْتُ أجْهَلُ ، أمْ كُلُّ ما أجْهَلُ؟
ولِمَنْ سأفِيءُ؟ لِمَنْ كانَ قَبْلُ؟
لِمَنْ صارَ بَعْدُ؟ التَّنازُعُ فِيَّ احْتِرابٌ ،
وكُلِّيَ مُسْتَبْسِلُ .

صانعٌ رُقْعةً مِنْ تُرابْ
خَيْمةً ونَوافِذَ مِن شَطَحاتِي
خالِقٌ جَنَّةً مِنْ رَمادْ
أتغلْغَلُ فِي عُرْيِهَا ، وأُمَثِّلُ نَفْسي
طائِراً ، مَرَّةً ، حَجَراً مَرَّةً
وأُمَثِّلُ نَفْسي
ألِفاً ، مَرَّةً ، ويَاءْ
مَرَّةً ،
وأُكاشِفُ هَذي الصُّوَرْ :
عَيْنُ صَقْرٍ تُبارِكُ عَيْنيَّ بَيْنَ البَشَرْ ،
ولِيَ الأبْجَدِيَّةُ بَيْتٌ ولِي حِكْمَةُ العَذَابْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيُّهذا المَدَى العَرَبيُّ، المَدَى الغَيْهَبِيّ
كَيْفَ أُعْطِي لِوَجْهِيَ وَجْهَكَ مِنْ أوّلٍ،
ولِسانِيَ أمْسَى غَرِيباً
وعَصْرِيَ هَيٌّ بْنُ بَيّ.

لَسْتُ ما شِئْتُهُ، لَسْتُ ما لا أشاءْ
لَيْسَ لِي سِيرَةٌ، لَيْسَ لي مَوْطِنٌ
غَيْرُ هَذا التَّشرّدِ بَيْنَ حُرُوفِ الهِجاءْ.

(باريس، نوفمبر، 1993)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصيدة غير المكتملة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَمْزوجاً
بِالأنقاضِ ، بِكلٍّ غبارٍ مَنْثوراً
في كونٍ يَتفتَّتُ بيْنَ يَديَّ أُعانِقُ يَومي أمْشي وأرى جَسَدي
خلْفي وأرَى جَسدي قُدّامي أأنَا مَن يتكلّم هذي اللّحظةَ؟ شَخصٌ
آخَرُ يَسْكنُ فِيَّ؟ بأيّ خُطىً أتقدّمُ نَحْوي وأَنا الطّالعُ مِن إشْراقِ المعْنَى
أجهلُ حتّى وَجْهي؟
هَلْ في الأمْس صَلاةٌ
تَرْوي عطَشَ اليومِ ، وأينَ سيجْلسُ هذَا الفَجرُ الآتي؟

وَالوقتُ غروبٌ والأشجارُ تُزَرِّرُ ثوبَ الشّمس وهذَا حَرْفُ العين
وحَرْفُ اللاّم وحرْفُ اليَاء ولَكِنْ هُوَ في مُعجَم هذَا الوقتِ حُروفٌ أُخْرى
وَاسْمٌ آخَرُ ، لكنْ هُو ذا يتَبخّرُ في أنفاسِ الوقتِ سَجيناً
مَسْجوناً بين يَدَيْه
مَسْجوناً في ما يلفظهُ
وَاليومَ سَقاهُ إبْريقٌ يَهْذي / يَهْذي مَعَهُ ، ـ
أَليومَ أموتُ لنفْسيَ داخِلَ نفْسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأجاهِرُ أنّ الميّتَ حيٌّ فِيَّ وأنّيَ حيٌّ فيهِ
أَليومَ أخطُّ وَصيّةَ شعْري في دَفترِها (لا أعرفُها)
لنْ يفهمَها غيرُ جُنوني ،
أَليومَ أطعتُ جُنوني
مَنْ تأْخذُني
مَنْ مِنكُنّ تَجيءُ تُضيءُ ، وأغْني
شجَراتٍ تنْمُو في ذُرُواتي ومهَبّ رِياحِي
وبُحيراتٍ
رَسَمَتْها وارْتَسَمَتْ فِيهَا شُطآنُ جِراحي .

ماذا يُجْدِيني
أنْ آتآلفَ معْ وقْتي ، أوْ أنْ أغْسلَ صَدْريَ مِنْهُ؟
لُغَتي تَتوثّب ضِدّيَ تَنْأَى عنّي ، ودروبِي تَنفرُ منّيَ ، لكِنْ
هَلْ يُجدي صَمْتٌ في هذَا الصّخَبِ الرّمليّ المزروعْ
في كلّ مكَانٍ؟ هَلْ تُجْدي سُنْبلةٌ
يَلْتفُّ بِها رأسٌ مقْطوعْ؟

لَوْ كُنْتُ ملَكتُ السِّحْرَ ، ـ خفاءَ السِّحر وفِعْلَ السِّحرِ ، وقلتُ : الصّخرةُ غَيمهْ
والرّغبة شمسٌ ، والفِكْرةُ خَيْمَه
هَلْ كنتُ سأقدرُ أن أبْني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أُسطورةَ حبٍّ؟ وأصيرَ رفيقاً
لأَدونيس أَوْ عَشْتار في ذَاك الوطنِ الإنْسيِّ المَنْسِيّ؟
هَلْ كنتُ سأقدرُ أن أسْتأصِلَ جَذْر الخِنْزيرِ الوحْشِيّ؟
ماذا يُجْدِيني
أن آتآلفَ معْ وَقْتي ، أوْ أن أغسلَ صَدْريَ منهُ؟ كلاّ
لا يَغْنيني فيهِ إلاّ قرصُ الشّمسِ وإلاّ قرصُ الشّمسِ وقرصُ الشّمْسِ ،
ولَكِن
سأَظَلُّ أُعاشِرُ موتيَ ــ أحْيا غَوْصاً في أشْلائي
هُوذَا أخرُج ، أُغْلِقُ خلفيَ بابَ المعْنَى
أدْعُو الغيْمَ وأدعُو الرّيحَ وأدعُو
شَجَراً وحُقُولاً وخَلائقَ أُخرى   ومعاً سَنَقولُ سلاماً
للأشْياء تمُوت وتُولَدُ في الكَلِماتِ ، ولِلْكَلمات تَموتُ وتُولَدُ في الأَشْياءِ .

أعْرِفُ ما سَيقولُ الرّملُ لِشعْري
وسأقبلُ ما سَيقولُ وأبقَى فِي صَمْتٍ .
لا أعرف كيْفَ أُحاورُ ، كيْفَ أردُّ ، ــ حِواري
غَوْصٌ فِي ما أجْهَلُهُ ، ورُدودِيَ تَشهدُ ضِدّي
أحْواليَ صَمْتٌ يَسْتَنكِرُني ، وأوافِقهُ
ويُوافِقُه شِعْري
عالَجْتُ أمورَ الشّعْرِ أمُورَ النّثْرِ ، وأجْهل كيْفَ أُعالجُ أمْري .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أنتَ اليومَ وَحيدٌ والوقتُ يَضيقُ تُفيقُ فرائِسُ تَصرَخُ فيكَ ، فَرائِسُ تَهْوِي فيكَ فرائسُ
تَسْأَلُ عَنْكَ ، ـ

الأرضُ أسيرَةُ فَلْكَتِها
والمَغْزولُ كمِثْلِ الغازلِ ، طِينٌ .

ـ جُرحٌ يتأجّج فيهِ ، ويُحاصِرهُ
يَغْرَقُ فيه ، يطْفُو ، ويُلابِسُهُ
ويُنابِذهُ ، ويُؤالِفهُ
ويُهاجرُ مِنْهُ ، يعُودُ إلَيْه
جُرحٌ يتفتَّقُ بيْن يَدَيْه
في قدَميْهِ ، وفي شَفتيْهِ ، وفي عَيْنَيْهِ
يَتموّجُ بيْن ضِفافٍ
لا تتآخَى ، لا تَلْتئِمُ
والأيّامُ حِرابٌ تتكسَّر فيهِ ، والشّمسُ دَمٌ .
ـ أنتَ اليومَ ، وَحيدٌ في نَبْضِكَ فِي ما تأْتِي ما تحْكِي وعلى كَتِفَيْكَ بيُوتٌ لِعناكبَ
تخْرجُ منهَا أشْباحٌ تخرجُ منْها
آلاتٌ تخْرجُ منها أرضٌ كُبرَى
تَتلَجْلجُ فيهَا تَتزلزلُ فيهَا هَذي الأرضُ الصُّغرَى .
ـ أعْطَيتُ ذِراعيَ للمَقْهَى ولكُرْسِيٍّ

ذَبُلَتْ عيناي علَى جُدْرانِ المقْهَى
ذبُلَت قدمَايَ على أبوابِ المَقْهَى
نامَ الكرسيُّ ونامَ المقْهَى
جَسدِي حَشْدٌ مِن أجسَادٍ تتزاحَمُ ، أُصْغي
هذا وَرَقٌ هذا أَرَقٌ هذا يهْبِطُ ذلِكَ يَعلُو
والوقتُ خيوطٌ
والغَزْلُ كرِمْيَةِ نَرْدٍ .
أنتَ اليومَ وَحيدٌ وهْو اليومَ وحيدٌ لا تَبْحَثْ عنهُ لَنْ تَلقاهُ حيثُ تَظنُّ
ولَنْ تَلْقاهُ
حَيْثُ يظنُّ ، رُؤاهُ
عَملٌ يبْحثُ فيه عَمّا قالَ وعَمّا سَيقولُ ، خُطاهُ
صُوَرٌ يبْحَثُ فيهَا عمّا يَعملُ : لَيلٌ
يَتنوّرُ ليلاً .
حَقّاً ،
لَمْ أتعلَّم شَيئاً مِن هاويةٍ أتقرّاهَا بيْن عُروقِيَ فِي كَلمَاتي
لمْ أتَعلّمْ إلاّ وَرقاً يَتساقَطُ مِنْ أشجَارٍ لا تَنبتُ إلاّ فِي خُطواتي
لا شيءَ هنَا لا شيءَ هُنالكَ إلاّ لُغةٌ / ألفاظٌ
تتشرّدُ في ألفاظٍ ،

لا سَبَبٌ
إلاّ ريحٌ تأْتي وتَروحُ وإلاّ مَوْجٌ يَضْطَرِبُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هَلْ تعرفُ كَيْفَ يُقيم وكيْفَ يُسافرُ فيكَ اللّهَبُ
كَيفَ يكُونُ الأحْمرُ لُجاً ، والأخضرُ موْجاً؟
لكَ وَجْهُ اللّيلِ دليلٌ
ولِوَجْهِكَ هَذا السِّرُّ ، وهَذا السّيرُ ، وهذَا التّعَبُ .

لمُصادَفة
تَسقطُ مِنْ أحْضانِ ملاكٍ أوْ تَصعَدُ منْ أغوارِ حَريقٍ أسْلمْتُ طريقي ،
وسأتركُ للكَلِمَاتِ تَسيلُ كنَهْرٍ أو تتبَجّسُ مِن صَخْرٍ وتُلابِسُني ، وتُلابِسُ
أشيائي ،
ولَئِنْ رَسَمَتْني بخطوطٍ أوْ ألوانٍ أوْ أشْكالٍ أوْ أفكارٍ تُخْطِئني
ولَئِنْ أخْطَأتُ ،
فلَسَوْفَ أقولُ : الآنَ بَدأْتُ .

هَل تَقْضِي الحكْمةُ مِنّي
أنْ أملكَ رأْساً آخرَ؟ لكِنْ
لَنْ أعْرفَ كيفَ أُطيعُ ــ وهذَا ،
هذا الجسَدُ اللّمْفاويُّ ، الجسَدُ الماكِرُ يَسْخرُ مِنّي ، ويُغاويني
ماذَا لَوْ قُلْتُ : سَأُعلِنُ حقّاً آخَرَ للإنسانِ : أذوّب عَقليَ فِي وَسْواسِي وأذوّبُ
وسْواسِي
فِي عَقْليَ ــ آلةَ عِلْمٍ
وجسورَ وِصالٍ
بيْنَ الأشْياء وبيْنِي ، وأعِيشُ غَريباً

كَديوجين في بَرْميلٍ
أوْ سَمْعانٍ فوقَ عمودٍ .
ماذا لَوْ قُلْتُ لذاكَ الطِّفلِ النّائمِ فيَّ : استيقِظْ وَالبَسْني
واجْمعْ كُتبي ـ لا تَنْسَ الأوراقَ الأُخْرَى
ومحَابِرهَا ، ومَماحِيهَا ، والأقْلامْ
ذَوِّبْ فيها هذا الشّيخَ المتبرّمَ فِيَّ العائِمَ في زَبَدِ الأيّامْ
ولْتَضْحَكْ أسْنانُ المِشْطِ : النّاسُ ، الأشياءُ ، سواءٌ
في حِبْرِ التكوينْ
قُدُّوسٌ هذا الجَسَدُ المتكوّنُ مِنْ صَلصالٍ
قُدّوسٌ هذَا الطّينْ .
أضَعُ الآنَ يديَّ علَى كَتفيْها (لا أعرفُها) وأُنادي : يا مَوْجًا جَفافٌ
والأحلامُ سُقوفٌ تَهْوي
والبلْدانُ تَضيقُ وتَنْحَلُ ، تَغْدُو ـ لا أعْرِفُ ماذَا ،
وأقُولُ : الشّرقُ غبارٌ
والغرْبُ هواءٌ مَسْمومٌ ،
أيْن الأرضُ؟ وأَسْأَلُ : كَيف تُغَيِّرُ تلكَ الصُّوَرُ؟
هَلْ كَتِفاكِ نَبوءةُ جِسْرٍ
أهُما أرضٌ تأْتِي؟
هَلْ أنتظِرُ؟
كلاَّ ، لا شَرْقَ ، ولكِنْ
لُغةٌ في الشّرقِ ، رأيتُ الدَّمعَ يسيلُ كَحِبْرٍ فيهَا ، والحِبْرَ يَسيلُ كَدَمْعٍ حيثُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزّيتونُ خِيامٌ
يتنزّه فيها قمرٌ يَسْهَرُ فيهِ عُشّاق اللّيلِ (قميصي
ما زالَ كَما لَبِسْتهُ أيّامُ شَبابِي
مَقْدُوداً ، لَكِنْ مِنْ قُبُلِ)

ما أبْعدَ ذَاكَ الشّرقَ ـ الزّيتونَ ، الحبُّ ، الوَعْدَ ، البابَ ، العَتَبَهْ
شَرْقٌ لا يمْلكُ إلاّ
وَعْدَ الموتِ ، وإلاّ
تلكَ الخَشَبَهْ .

تأْتي طُرُقي مِنْ غيْر رجاءٍ تَمْضِي لا أشْعرُ أنّي خِبْتُ ، وأعْرفُ ماذا كانَ الرّملُ وما
سيَكونُ / الحبُّ يُؤاخي
بينَ الملْحِ ورِغْوةِ هذَا الزّبَدِ ـ الزّبدِ النّافرِ منْ أمواجِ خُطايَ
الرّاقصِ حول ضِفافِ الأبَدِ ـ الأبدِ المتكسّر مَوْجاً
فِي لَحظاتيَ فِي صَبَواتي ـ
قُلْ شَيئاً يا هذَا الغَيبُ الآتِي
أأَقولُ النّجمُ هدَانيَ أوْ يَهْديني
هَلْ أترصَّدُ ما يَقتلُني؟
هَلْ أرْصُدُ وَجْهاً يَنْفيني؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سَأفِيءُ لِخَيْطي ـ
أَدْخلُ سُمَّ خِياطٍ
مِلْءَ تخُوم العُزْلةِ ، في مِنْديلٍ ـ آخِرِ ما نَسَجتْهُ
فِي قَوْلٍ ـ آخِرِ مَا قالَتْهُ
حَيثُ يكونُ الجهْلُ كمِثْلِ العِلْم ، وحيْثُ تكُونُ الحيْر
وأخيطُ فتوقَ زَماني
حُبّاً حيناً ، شِعْراً حيناً .
سَأفيءُ لخيطيَ / خَيطٌ
مِنْ أشْجَارٍ
تتدلّى في شُبّاكي ،
والأغْصَانُ سَواعِدُ ، لا ـ أعْناقٌ تُوغِلُ فِي أعْناق .

سَأفِيءُ لِخيْطي
وأرَى كيفَ يَصيرُ الدّاءُ دواءَ
والوجهُ فضاءَ
وتَصيرُ الأذنُ مُحيطاً والعينُ سَماءَ
وأرَى كيفَ يُنقِّل ذاكَ القَمرُ الطِّفلُ خُطاهُ
في طبقاتِ اللّيلِ ، وكيْفَ يُسافِر حُزْني
في طبقَاتِ اللّيلِ ، وفِي أخْلاطِ هَواهُ
ويُعبِّئُ كلّ حقائبهِ ألواناً يَسْتَثْني منْها لَوْني
وأرى كيْفَ أصيرُ الآخِرَ حينَ يكُونُ الأوّلُ بَعدِي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويَصيرُ العالَمُ زِقّاً لا يشربُ منهُ إلاّ بَحّارٌ لم يَعرفْ بَحْراً
أتطهَّرُ في هاويةٍ ، أغْني أنْعَمُ في لا شَيْءٍ ـ في كَلماتٍ تَتنَزّلُ مِن تيهٍ ، أو
ممّا يُشبهُ
تيهاً .
سَأفيءُ لخيْطيَ ، في لُغَتي
أحْني كتفيَّ عليْهَا وتُسافِرُ فِيَّ أُسافِرُ فيهَا وتَحفُّ بنَا أضْغاثُ
تُخومٍ تَتمطّى في شُرُفاتِ المؤتِ طيورٌ لا يَعرفُ أنْ يقرأَها إلاّ
بَحّارٌ لا أرْضَ لَهُ لا بيتَ لَهُ .

أحْني كتفيَّ عَلَيْها ــ لغةٌ تَتحدّرُ مِن أعلَى وتَغورُ وتَعلُو فِي التّاريخِ ، ــ
أسُومَرُ تَصعدُ فيها؟ هل لبنانُ ، أمْ يونانُ؟ لُغةٌ لا تُثمرُ إلاّ لغةً
تَتقرّى الوجهَ الآخرَ مِن أنْقاضِ المَعْنى
لغةٌ تَسْكَرُ باللاّشيء وباللاّمَعنَى ، وبكلِّ هَباءٍ تُفْتَتَنُ .

شُفِيَ القِرميدُ وطابَ الأصْفَرُ لكِنْ
مازَال الأزرقُ يَشْردُ بيْن المَوْج وليلِ الشّاطِئ ، لكِن
لمْ يزلِ الأسوَدُ طِفْلاً ،
أخذَ الفِتنةَ ، واسْتَنْسَبها ، وتَغرّبَ فيهَا .

هَلْ أكتبُ تاريخاً لِلأسودِ أو للأحْمرِ ، أو تاريخاً لا لونَ لَهُ؟
هَل أنسى نفْسيَ مِنْ أجْلِ الشّيء؟ أأنْسَى الشَّيءَ وأذكرُ نَفْسي؟ هَلْ ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَلمَسُهُ

يُغْني عَمّا لا ألمسهُ؟

ولمَاذَا أحْيا فِي هذَا النَّقْصِ ، إذن؟
وَلِمنْ ، ولِماذا أكسِرُ غُصْنَ الأرضِ لِغيْرِيَ ، أو أنكسِرُ؟
لكِنْ ، أيْنَ الكامِلُ؟ كَلاّ
لا كامِلَ إلاّ هذا الحَجَرُ .

سأُقدِّمُ أرْضِي (مِنْ زَمنٍ قَدّمتُ سَمائِي)
باقةَ زَهْرٍ
لقَصيدةِ حبٍّ ، لامْرأةٍ ، ـ
هِيَ ذي آفاقٌ لَمْ ألمحْهَا قَبْلُ ، وأُوقِنُ هذِي اللّحظةَ أنّي طِفْلٌ
وأُحسّ كأنّي
أتكوّنُ بيْنَ يدَيْها ـ تلكَ المجْهولةِ ـ في حِضْنِ المعْنَى فِي فَرْجِ أحْضَنَهُ المَعْنى
جَسَدانا الواحِدُ ، هَذي اللّحظةَ ، والتكوينُ يَجيءُ ويَمْضِي فِي هذَا الواحِدِ ، مَثْنَى مَثْنى .

ـ أسِّسْ غدَكَ الآنَ ، تَكلّمْ .
لَمْ أتكلّمْ
في شَفَتيَّ خَنادِقُ فِي شَفتيَّ كُهوفٌ لَمْ أتكلّمْ وفَمِي قَبْرٌ .
مكسوراً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فِي كلِّ مَكانٍ منْ جَسَدي
فِي كلِّ مَكانٍ منْ لُغَتي
شيءٌ يدخلُ فِي كَلماتِي   يخنقُها
شيءٌ يخرجُ من كَلِماتي   ينْفِيها
مَنْ آواهَا يَتشرّدُ فيها
مَنْ طارَدَها تُؤْويهِ

والرّيحُ تجدّدُ شيْخُوخَتها فِي مَوْتِ خُطايَ / خُطايَ تُجدّد شيْخُوخَتها فِ
مَوْتِ المعْنَى
والسّاحَةُ قَشٌ وفُتاتُ قُشورٍ
وأكادُ أُحِسُّ الجذْرَ يَئِنُّ ، وماذَا؟
أسَلاماً أُلقي ، أمْ نَاراً؟
وأقولُ : سأُطْبقُ أهْدابي ، وأُحاولُ أن أسْترجعَ ما كنتُ رأيتُ عِياناً ، ـ
هُو ذَا ـ لا ألمحُ إلاّ ثُقباً   إلاّ
قِنديلاً يُشْبهُ رأْسي
ولِحافاً وَرْدياً ـ
كَلاّ ، خمْرياً . كَلاّ ، أسودَ؟ أبيضَ؟ أخضرَ؟ كلاّ
لا أقدرُ أن أُعطيَهُ
لَوْناً أو شكْلاً

وأرَى الأرضَ تَصيرُ سماءً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأُوشوشُ نفسِي داخلَ نفسِي : أأَرى حَقّاً ، أم أتراءى؟

فَرغَ المسرحُ والأصواتُ بلا أجسام والأجسامُ بلا أصْوات
سَقَطَ الجِسْمُ الصَّوتُ (المسْموعُ هَباءٌ والمرئيُّ خيالٌ والسّامعُ ظِلٌّ) سَقطَ المسْرَحُ : كُلٌّ
يَتغَلْغَلُ في وَحْدتهِ
كُلٌّ يوغِل في سَقْطتهِ
لُغةٌ تَتناسَلُ رَمْلَ لُغاتٍ
لا نَبَراتٌ ، لا أسْماءْ
ما أغربَ هذا الإعْصارَ الجارِفَ أشْرِعةَ الأشياءْ .

قولوا لِلمَنْبوذِ : اسْتَخْلِصْ
رُكْناً ، أوْ زاوِيةً
قولوا لِلتّاريخِ : اسْتَسلِمْ
لِلرّيحِ ، وقولُوا
لِلصّحراء : المُفْرَدُ أنتِ وأنتِ الجَمْعُ ، وقولُوا :
هُوذَا الوطَنُ
مَخْلوقٌ مِن عَرَبَاتٍ مِنْ أشْلاءٍ
لا الشّمسُ تراهُ ، ولا يَتجرّأُ أن يتحرّكَ فيهِ الزّمَنُ .
عَفْواً ـ لا أعرفُ مِنْ أيّ لُغاتٍ جِئتُ ، لأيِّ لُغاتٍ
سَوفَ أجيءُ ، نسيتُ حَياتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأكادُ أقولُ لهَذي اللّحظةِ : لمْ أبدأْ
وطريقِي نَثْرٌ
يَذْروهُ العَصْفُ ، سِهامٌ ــ والقوسُ انْكسَرَتْ
ومَجازٌ ، لَكِنْ لا ألْمَحُ جسْراً .

شكراً ــ لِلرّيح تُلامِسُ وَجْهي وتُعلّلُني
وأمدّ إليها كفّيَّ ، وشُكراً
لِلرّمْلِ ينامُ علَى كتِفَيْها مِثْلي
شكراً ــ لِلرّبع خَلاءً
ولِرّبع يخْلُو
شُكراً ــ لِلصّحَراءْ
مِرآةً أقرأ فيها وَجْهِيَ أقْرأُ فيها
وَهْمَ خُطايَ وَوَهْمَ الماءْ .

أتكلّمُ ــ هَلْ يَسمَعُني
إلاّ نَسَمٌ يَتحرّكُ في أشْجارِ فضَائي
أكتبُ ــ هَلْ يَقرؤُني
إلاّ هذَا اللّهَبُ القاتِلُ أرْضِي اللاّبسُ أرْضِي
بِاسْم سَمَائي؟
ألحقّ أقولُ : اللّيلُ صبَاحِي والفَجرُ مَسائي
وسَأَخرُجُ مِن نَفْسِي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأرَى نَفسي –
تَخرجُ منْها أرضٌ كُبْرى
تَجْهلُ كيفَ تَسيرُ عليْهَا ، أو تسْكنُ فيهَا
هَذي الأرضُ الصّغْرى .

(باريس ، أواخر أيار 1993)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

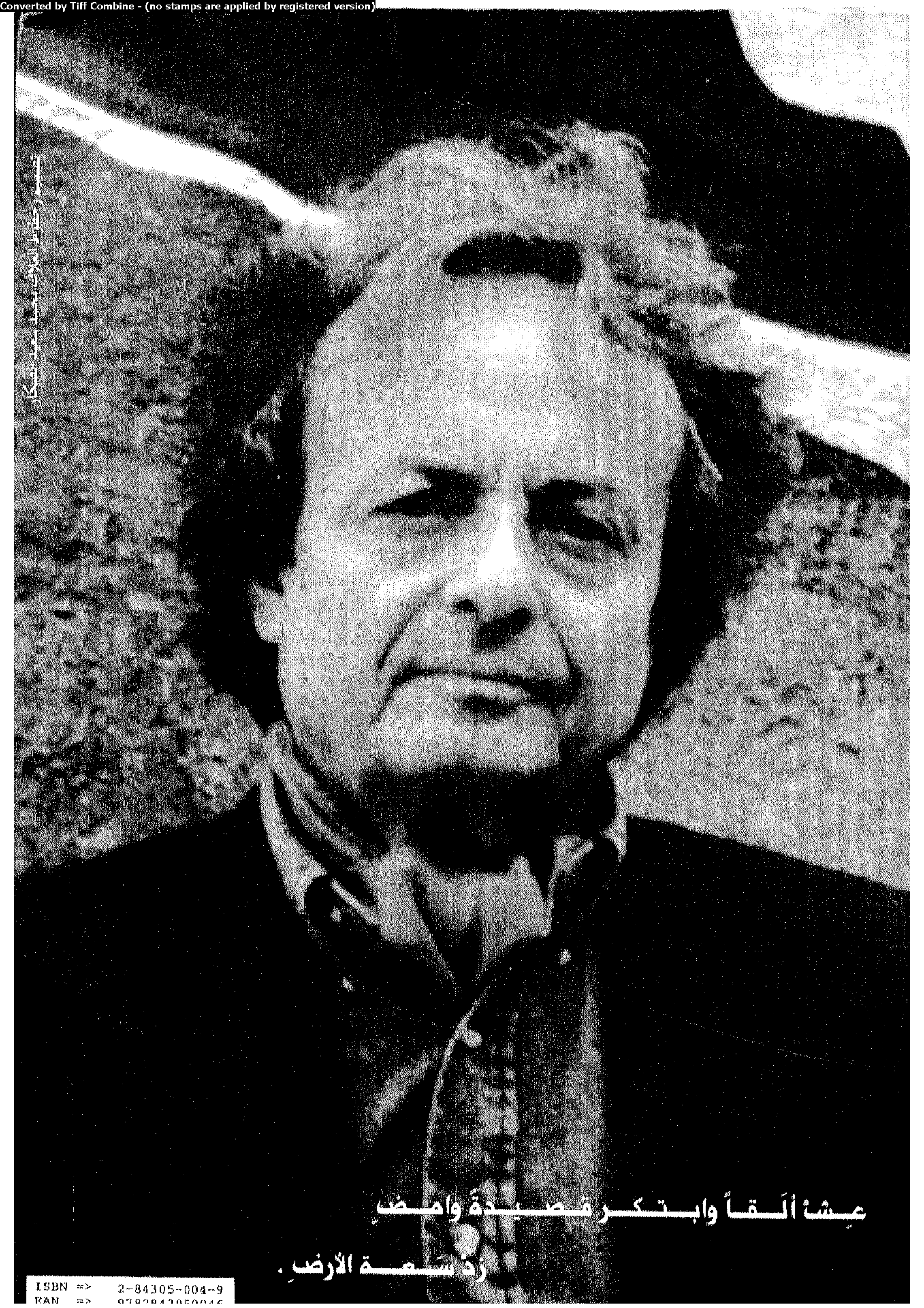
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرست

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ISBN => 2-84305-004-9
EAN => 9782843050046